مدارسة
القرآن الكريم

﴿الم (١) ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ
هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾

مدارسة سورة البقرة
دراسة إجمالية

مع الأستاذة

أناهيد بنت عيد السميري

بسم الله الرحمن الرحيم

تقدّم لكم مدوّنة (عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ) تفاريغ من دروس الأستاذة الفاضلة

أناهيد بنت عيد السميري حفظها الله

ونسأل الله أن ينفع بها.

https://anaheedblogger.blogspot.com/

تنبيهات هامة:

– منهجنا الكتاب والسّنة على فهم السّلف الصالح.

– هذه التّفاريغ من عمل الطّالبات ولم تطّلع عليها الأستاذة حفظها الله.

– الكمال لله –عزّ وجلَّ– ، فما ظهر لكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهر لكم من خطأ فمن أنفسنا والشّيطان، ونستغفر الله.

والله الموفّق لما يحبّ ويرضى.

مدارسة سورة البقرة

"دارسة إجماليّة"

أ. أناهيد بنت عيد السّميري

"الجزء الرّابع"

اللّقاء السادس عشر: الخميس ٩ جمادى الآخر ١٤٤٠ هـ

"تابع مدارسة المقصد الثّالث (١٦٣_٢٨٣)"

بسم الله الرّحمن الرّحيم

المقدّمة: دلالة ترتيب المقصد الثّالث:

بيان مفهوم أنّ الشّرائع مبنيّة على العقائد ولا تصحّ الشّرائع إلاّ إذا صحَّت العقائد

السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على سيّدنا محمّد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

بسم الله، توكّلنا على الله، نبدأ من حيث انتهينا في الكلام حول سورة البقرة، وقد وصلنا في الكلام إلى أحكام الصّيام.

نحن الآن في المقصد الثّالث، وموضوع المقصد الثّالث: الشّرائع. وموضوع الشّرائع مبنيّ على موضوع العقائد.

لا تنسوا هذا أبدًا: أنّ الشّرائع مبنيّة على العقائد؛ لا تصحّ الشّرائع إلّا إذا صحَّت العقائد.

إذَا أردت تعليم الطّفل العقائد ستبتدأ بتعريفه أفعال الله؛ فكّر: من أين تبدأ؟ ما هي أفعال الله الّتي تبدأ بها؟

أنتم –إن شاء الله– في مستقبل الأمر، ستُرَبُّون أولادكم؛ طوال الفترة الّتي قبل البلوغ، ستؤسِّسين فيه: العقيدة.

الطّفل عمره ثلاث سنوات الآن، بدأ يتكلّم، ويجيب؛ أوّل شيء ماذا ستعلّمينه؟ العقيدة. هذه العقائد ستبدأ بتعريفه الله. كيف ستعرّفونه بالله؟

هل ستعلّمونه الأسماء، أم ستعلّمونه الأفعال؟ **أوّل شيء الأفعال؛ لأن الأفعال أظهر شيء، يعني:** الصّغير الّذي أمامك الآن –حتّى وأنتم تذهبون إلى رياض الأطفال– ماذا يرى؟ يرى أفعال الله؛ **المفترض أنّ هذه الأفعال الّتي يراها، تفسّرونها له، منسوبة إلى الله، وبعد ذلك يبدأ الكلام عن الشّرائع.**

لأجل ذلك هناك خطأ كبير يحصل: ونتيجة هذا الخطأ؛ أنّه حين يكبر الصّغير؛ تهتزّ عقيدته! ما هو هذا الخطأ؟ الاهتمام بالشّرائع قبل الاهتمام بالعقائد، يعني: يعيش لا يدرك بأنَّ كلّ شيء حوله يشهد له: أنَّ الله لا إله إلّا هو.

ولذلك: فإنّ أوّل ما بدأنا في الشّريعة؛ كانت أوّل آية قرّرنا: أنّها من الآيات الدّالّة على الشّريعة: {وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ}[1] هذا المعنى الّذي لابدّ أن يفهموه: أنَّ كلَّ شيء حولنا؛ إنّما هو من رحمة الله: (أنَّ هذا فعل الله، وهذا فعل الله، وهذا فعل الله).

نفترض أنّك تريدين أن تعلّميه الألوان: (هذه تفّاحة خضراء، وهذه حمراء، وهذه صفراء) فالآن هذه فرصتك: أنَّك ستتكلّمين عن الله، وتتكَلّمِين عن الألوان؛ ماذا ستقولون له؟ أنّ: (كلّ هذا التّفاح؛ إنّما خلقه الله، وأعطى هذه التّفّاحة، هذا اللّون! وهذه التّفّاحة، هذا اللّون! وهذه التّفّاحة، هذا اللّون!)، **فتصبح الأفعال الّتي حوله:**

- **دالّة على الله.**
- **وسبب لتعليمه، أيّ شيء؛ تريدين أن تعلِّميه إيّاه.**

فأيّ شيء تريدين أن تعلِّميه إيّاه على الإطلاق يبتدئ: من فعل الله، وأنتم فكّروا –وإن شاء الله– يصير لنا اجتماع خاصّ، تأتونني فيه بأفكار، تقولون فيها: (لو أنا أريد أن أعلّمه كذا؛ أبتدئ من هذا الفعل لله، وإذا أردت أن أعلّمه كذا، أبتدئ من هذا الفعل لله) الآن في المثال؛ علَّمناه الألوان من خلال أفعال الله، **يعني** لن أحضر له ألوانا خشبية، مثلًا، وأقول له: (هذه هي الألوان)، لا! وإنّما أحضري له وردًا طبيعيّا –على تعبيرنا– وقولي له: (هذا، وهذا، وهذا، من فعل الله) وعلّميه الألوان من خلالها.

---

(١) سورة البقرة: ١٦٣.

مدخل إلى متابعة مدارسة المقصد الثّالث: بيان دلالة ابتداء الشّريعة بالقصاص وعلاقته بآية البرّ (١٦٣)

نحن انتهينا إلى الكلام: حول الصّيام، وهو تابع للشّرائع. وقد مررنا على أوَّل شريعة، وكان فيها شيء غريب، أن تُبدأ به الشّرائع! ماذا كانت أوّل شريعة جاءت بعد الآية الجامعة للشّرائع؟ القصاص.

ما السّبب؟ لماذا يُبتدأ بالقصاص في الشّريعة؟

إذا نظرنا لنفس القصاص، مُجرَّدًا؛ سنجد أنَّ أعلى شيء في الشّرائع، هو: المحافظة على الدماء؛ فلذَا أتت الشّريعة، وأوّل شيء ذكرته: مسألة الدّماء، والقصاص؛ خصوصًا أنَّها كانت مشكلة كبيرة عند العرب: مسألة القتال، والثّأر، والغضب الشّديد، إلى آخره.

هذا لو نظرت لها مجرّدة، ولو نظرت لها على أنها تابعة لآية البرّ؛ ستجدين: أنَّ أوَّل البرّ العملي الّذي اتّفقنا عليه: وجود قيمة الصّبر. ألم نتّفق في النّهاية: **أنَّ البرّ العملي فيه ثلاث قِيَم:**

١) **قيمة الصّبر.**

٢) **والإحسان.**

٣) **والوفاء بالعهد.**

فالإحسان: يدخل فيه الإنفاق، ويدخل فيه كلّ هذا.

فكانت أهمّ قيمة في هذه القيم الثّلاثة، هي: قيمة الصّبر، وأوّل شيء يجب أن تصبر عليه، كان: [حالتك وأنت صاحب قوّة]؛ لأن كذلك الصّبر فيه ثلاث أحوال: {ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِ}.

فبدأت الآيات: {حِينَ ٱلۡبَأۡسِ}:

١. {حِينَ ٱلۡبَأۡسِ}: ابتدأنا بالقتل.

٢. و{حِينَ ٱلۡبَأۡسِ}: انتقلنا إلى مسألة الوصيَّة.

فهذه النّقطتان، كانتا في: {حِينَ ٱلۡبَأۡسِ} أي: حين يكون لك سلطة، لك قوّة، لك حقّ.

انتقلنا من هذا إلى الصّيام، والصّيام كان صبرًا في {ٱلضَّرَّآءِ}؛ لأنَّ الإنسان ماذا يحصل له؟ يتضرَّر بالصّيام، يتضرَّر في تفكيره؛ لأنَّ الصّيام سيمنع عنه شهواته، فيشعر بضعف البدن؛ فكان الصّيام هو الصّبر، متى؟ في {ٱلضَّرَّآءِ}.

إلى أن وصلنا إلى الآية (١٨٧):

مدارسة الحالة الرّابعة: الصّيام رمز لعبادة الصّبر على {ٱلضَّرَّآءِ} (١٨٧_١٨٨)

يقول الله عزّ وجلّ: {أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (١٨٧) وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ}.

بسم الله، الآن حصل انتقال في أحكام الصّيام إلى بيان أعمال في بعض أزمنة رمضان، قد يُظَنُّ أنَّها تنافي عبادة الصّيام؛ فجاءت تفاصيلها في الآية.

أهمّ شيء: أنّنا سننظر في آخر الآية (١٨٧): ماذا يقول الله عزّ وجلّ؟ {تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ} معنى ذلك: أنّه نُظِّم للنَّاس أحوالهم في رمضان؛ أُمِرُوا بالصّيام، وما يترتّب على الصّيام من أعمال، وبعد ذلك قيل لهم: {تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ} ماذا يُطلب منكم؟ {فَلَا تَقْرَبُوهَا} إذًا معنى ذلك: أنَّ الله –عزّ وجلّ– لا يترك عباده بدون أن يُظهر لهم كلّ التّفاصيل، في كلِّ الأحكام، ثمَّ أنَّ هذه الأحكام تُعتبر حدودًا: {تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا}.

انتقلنا من الكلام عن حدود الله، للكلام عن الغاية في بيان الحدود، فإذًا ما هي الغاية، كما في الآية؟

{كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ} لماذا بيان الحدود {لِلنَّاسِ}؟ {لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ}: إذًا هذه هي الغاية؛ فمعنى ذلك: أنَّ التّقوى ليست أمرًا بعيدًا، ولا يستطيعه الإنسان؛ بل الله -عزّ وجلّ- قد بيَّن الأحكام؛ بحيث أنّه تحصل التّقوى.

بعد هذا، أتت الآية الّتي بعدها، تَذْكُرُ شيئًا، يجب أيضًا أن نَتَّقِيَه، وأن نعتني بتقواه.

عُطفت، أي: {وَلَا تَأْكُلُوٓاْ} الواو هنا؟ عاطفة؛ عُطفت الآية على ما قبلها بين قوسين: ({تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا}) تحذيرًا من الجراءة على مخالفة الصّيام، بالإفطار الغير مأذون به، وهو: ضَرْبٌ من الأكل الحرام.

ما هو الضَّرْبُ من الأكل الحرام؟ الإفطار الغير مأذون به، حين تأكل في رمضان في وقت غير مأذون به: هذا أكل حرام؛ فعُطف عليه أكلٌ آخر محرَّم، ما هو كما في الآية؟ {وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ} وهو: أكل المال {بِالْبَاطِلِ}. **إذًا في رمضان، هناك أكل مُحرّم**، متى؟ الإفطار الغير مأذون به، **وطوال الأيّام هناك أكل محرّم**، ما هو الأكل المحرّم؟ أكل أموال النّاس بالباطل.

إذًا معنى ذلك: إنّ المنهي عنه في الوقت المحرّم:

١. الأكل المحرّم [في رمضان].

٢. وأكل أموال النّاس بالباطل [دائمًا].

دعونا نرى الآية (١٨٨) ما هو الشّيء المنهي عنه؟ {وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ}، طيّب، هذه: {أَمْوَالَكُمْ} وليست أموال النّاس؟! ما معنى هذا التّعبير القرآني: {أَمْوَالَكُمْ}؟ **يعني**: أموال بعضكم البعض؛ فمن أجل الأخوّة الإيمانيّة، صار كأنَّ مال أخيك هو مالك؛ فلا تأكله {بِالْبَاطِلِ}.

وأيضًا: {وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ}: هنا يُشار إلى حُرمة الرّشوة؛ أي: يَرْشُون[١] بعض أصحاب السّلطة؛ من أجل أن يسمحوا له أكل أموال النّاس {بِالْبَاطِلِ}!

مثلًا: يكون هذا في البلديّة، عنده مخطّط هذه الأرض؛ فَيَرْشُوا هذا الّذي في البلديّة؛ لأجل أن يتوسَّع شبرًا في أرض جاره؛ فيأكل أموال النّاس {بِالْبَاطِلِ} عن طريق الرّشوة! أي: إمَّا أنّه يأكلها مباشرة، وإمَّا أن يأكلها من خلال واسطة، ما هي الواسطة؟ الرّشوة إلى من بيده شيء من الحكم.

(١) معجم المعاني الجامع رَشا: (فعل)، يَرشو، رَشاهُ لِيُسَهِّلَ أُمورَهُ: أَعْطاهُ رَشْوَةً.

انتهينا الآن من هذه المسألة التّابعة للصّيام؛ بهذا نكون انتهينا من الحكم الثّالث.

- كان الحكم الأوّل هو: القصاص.
- والثّاني: الوصيَّة.
- والثّالث: الصّيام وما يتبعه من تحريم أكل أموال النَّاس {بِالْبَاطِلِ}.

الآن سيأتينا كلامًا متداخلًا: بين الحجّ، وبين القتال؛ وسيتبيّن لماذا قُدّم هذا على هذا؟

يقول الله عزّ وجلّ: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١٨٩) وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (١٩٠) وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ (١٩١) فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٩٢) وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ (١٩٣) الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ (١٩٤) وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٩٥)}[1]

بسم الله، سنرى التّنقّل في الآيات بين مسألة الحجّ، وبين مسألة القتال:

أوّلا: السّؤال لم يكن عن الحجّ؛ وإنَّما كان عن الأهلَّة. وهذا أمر يُلتفت إليه، يعني: في القرآن ورد: {يَسْأَلُونَكَ} بتكرار.

نحتاج: أن نجمع المواطن الّتي ورد فيها: {يَسْأَلُونَكَ} لكن أشير إليها إشارة:

أين وردت {يَسْأَلُونَكَ} في القرآن؟ وردت **١٤** مرّة.

٨ منها في سورة البقرة، الأولى والثّانية، هما اللّتان قرأناهما، والبقيّة اجمعوها في سورة البقرة، **أي:** وحدها سورة البقرة فيها **٨**.

الآية الأولى: {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ} الّتي هي: الآية (١٨٦).

---

(١) سورة البقرة: ١٨٩_١٩٥.

الآية الثّانية: في هذا الموطن: (١٨٩).

إذًا في البقرة ٨مرّات ذكرنا منهم: الآية (١٨٦) والآية (١٨٩)؛ سنبدأ بالتّاسعة الآن.

الآية التّاسعة: سنجدها في المائدة الآية (٤).

الآية العاشرة: سنجدها في الأنفال الآية (١).

الآية الحادية عشر: في الإسراء الآية (٨٥).

الآية الثّانية عشر: في الكهف الآية (٨٣).

الآية الثّالثة عشر: في طه الآية (١٠٥).

الآية الرّابعة عشر: في النّازعات الآية (٤٢).

معنى ذلك: في البقرة ٨ مرات، وفي القرآن ١٤ مرّة، وهذه، لها شأنها، سيتبيّن لو تناقشنا؛ {يَسْأَلُونَكَ}: على ماذا ستدلّك؟ على ماذا ستدلُّك في الصّحابة؟ وعلى ماذا ستدلُّك في معاملة الله لخلقه؟

مدارسة الحالة الخامسة: القتال رمز لعبادة الصّبر {حِينَ ٱلْبَأْسِ}

(١٨٩_١٩٥)

سنترك: {يَسْأَلُونَكَ} وننتقل إلى المقصود: هم الآن سألوا عن {ٱلْأَهِلَّةِ} عن مقصد وجود {ٱلْأَهِلَّةِ}؛ فماذا أُجِيبَ عليهم؟ أُجِيبَ عليهم بفائدتها الشّرعيّة. ما هي فائدتها الشّرعيّة؟ {مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ}؛ أي: من هنا أتى مدخل الكلام عن الحجّ.

فالسّؤال عن {ٱلْأَهِلَّةِ} أتى مدخلًا للكلام عن **الحجّ**، ثمّ حصلت الانتقالة إلى **القتال** في الآية (١٩١) والآية (١٩٢) والآية (١٩٣) والآية (١٩٤)، والآية (١٩٥)، وفي الآية (١٩٥) انتقلنا كذلك إلى **الإنفاق**.

دعونا نرى الآيات الّتي بعدها: متى عدنا مرّة أخرى **للحجّ؟** بعدها مباشرة في الآية (١٩٦) كأنَّ السّؤال الّذي سيأتينا: لماذا فُصل بين مَدخل الحجّ؛ الّذي هو: {ٱلْأَهِلَّةِ}. كيف دخلنا للحجّ؟ بالسّؤال عن {ٱلْأَهِلَّةِ}، لماذا فُصل بين مَدخل الحجّ، والحجّ، بالكلام عن القتال؟

لأنّك حين تحفظين؛ ستأتي في الآية (١٨٩)، ينتقل ذهنك للحجّ: {يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ}. {مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ} يعرفون شهرهم، يعرفون دَيْنهم، إلى آخره.

ولذلك نؤكّد على أنفسنا: أنَّ التّاريخ الهجري، هو: التّاريخ الموافق لشرع الله، ولسُنّة الله الكونيّة؛ لأنَّ الشّهر في التّاريخ الهجري، مبنيّ على {ٱلْأَهِلَّةِ}، في مقابل أنّ أيّ تاريخ آخر –غالبًا– مبنيّ على غير {ٱلْأَهِلَّةِ}.

ومسألة التّوقيت فإنّها في كتاب الله، يعني: من أين عرفنا أنّ السّنة؛ اثنا عشر شهرًا؟ هناك طريقان لمعرفة أنَّ السّنة اثنا عشر شهرًا: إذَا أتيت للنّاحية الشّرعيّة، ستسمعين: {إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا}.

كيف صارت عند النَّاس؟ لأنّ السّماء فيها بروج الشّمس، والشّمس لها اثنا عشر بُرجًا، وبعد ذلك تعود الشّمس من جديد إلى البرج الأوّل؛ فهذا في دين الله، ولا يوجد أحد يستطيع أن يُغيّر السّنة من اثنا عشر شهرًا، إلى غيرها، لأنّها ستتبادل فيها فصول السّنة، من الصّيف، والخريف، والرّبيع، والشّتاء.

الشّهر الشّرعي: هو الشّهر الّذي جعله الله –عزّ وجلّ– معتمدًا على {ٱلْأَهِلَّةِ}؛ فصارت السّنة معتمدة في تقديرها على بروج الشّمس، والشّهر معتمد على القمر الّذي هو: {ٱلْأَهِلَّةِ}. ولذلك: {يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ}.

ولذَا لابدّ من المحافظة على التّاريخ الهجري. طبعًا هذا سبب كونه هو: الميقات الشّرعي؛ الّذي جعله الله كونيّا: كونيّ من جهة تقديره كونًا، وشرعي من جهة أنَّ الله أخبرنا أنَّه الميقات.

هذا من جهة، والجهة الأهمّ: أنَّ التّاريخ الهجري مقابل التّاريخ الميلادي، سيكون التّاريخ الهجري من هجرة النّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم– في مقابل أنّ التّاريخ الميلادي كأنَّه اعتراف بميلاد المسيح! فهم يعتقدون في ولادة المسيح، أنّها ولادة ابن الله.

فالتّعامل بالتّاريخ الميلادي في المعاملات العامّة بين النّاس، وترك الهجري؛ نوع من أنواع هجر الشّرع، وإذَا بقينا بهذه الطّريقة، في خاصّةِ أمرنا، ستكون النّتيجة في النّهاية: بأنّنا لن نعرف رمضان مِنَ الحجّ،

مِنَ القعدة، مِنْ رجب! وستكون النّهاية أنّنا لن نعرف الأيّام البيض! وستكون النّهاية طمس لكثير من معالم الشّريعة!

فأنت الآن عليك بخاصَّةِ شأنك –وأكثر من ذلك فإنّه ليس من مسؤوليّتك– فأنت حين تعرفين الأيّام، تعرفينها بالتّاريخ الهجري –وأكثر من ذلك فإنّه ليس من شأنك– ورتبِّي كلّ شيء، تعبُّدًا لله، بالتّاريخ الهجري. {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ} لابدّ أن تبقى {مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ}. ولا يغرّك كون النّاس انتشر بينهم غير التّاريخ الهجري.

سنرجع لسؤالنا: {ٱلْأَهِلَّةِ} الّتي: {هِيَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ} وهي مدخل لنا للكلام عن الحجّ، أتى بعدها الكلام عن القتال، ثمَّ عدنا من جديد للكلام عن الحجّ، رجع السّياق من جديد يكلّمنا عن الحجّ. ما هو السّبب؟ لا تنسوا أنَّ هذه الآيات نزلت والحرم الّذي هو مكان الحجّ، في يد الكفّار.

السّبب في فصل الكلام عن الحجّ، بالكلام عن القتال؛ هو أنّ القتال، وسيلة للتّمهيد للحجّ؛ لأنَّ من شروط الحجّ: الاستطاعة، والأمن هو السّبب الرّئيس للاستطاعة. أي: لو لم يكن هناك أمن؛ فإنّ كلّ النَّاس لن يستطيعوا، لكن لو كان هناك أمن؛ ستأتي أسباب أخرى للاستطاعة، يعني: يصبح: "س" و "ص" و "ع" لا يستطيعون، والباقون يستطيعون؛ لكن لو لم يكن هناك أمن؛ فعندها كلّ النَّاس لن يستطيعوا!

ولذَا أتى الكلام عن القتال، قبل الكلام عن الحجّ –وهذا واضح– مثلاً: في الآية (١٩١)، ماذا يقول الله عزّ وجلّ؟ {حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ}، وبعد ذلك؟ {وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ} إذًا أتى الخبر عن المسجد الحرام، وعن القتال، وهذا هو المقصود.

بذلك عرفنا: لماذا أتت مسألة القتال؟ أتى كذلك مُتعلِّقًا بها: القتال في الأشهر الحرم، وأتى مُتعلِّقًا بها: مسألة الإنفاق.

فإذًا رَتِّبُوا عليها: الآن القتال في الأشهر الحرم، سيكون تابعًا للقتال، وتابعًا لمسألة الحجّ، من جهة أخرى؛ لأنَّ الحجّ سيقع في الأشهر الحرم، وفي نفس الوقت يمكن أن يحصل القتال بسبب هذا الحجّ.

كما تعلمون: كون النّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم– خرج من مكّة، وذهب في شهر ذي القعدة؛ من أجل العمرة؛ فردَّته قريش! فهنا ترتّبت أحكام القتال في الأشهر الحرم، متعلّقة أيضا بالحجّ، والعمرة.

والإنفاق: ما علاقته بالقتال، والحجّ؟ الإنفاق هو عصب القتال، والإنفاق هو عصب الحجّ؛ ولذلك قيل: {وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ} يعني: {التَّهْلُكَةِ} هي ترك الإنفاق في سبيل الله، {وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ}.

إذًا هكذا بالإجمال: أتى الكلام عن القتال متقدّما على الحجّ لأنَّ الحجّ لا يكون إلّا بالأمن؛ فالقتال بمثابة التّمهيد لتحقيق هذه الغاية، وتعلَّق به الكلام عن الأشهر الحرم، وتعلَّق به الكلام عن الإنفاق.

بذلك القتال، سيكون صبرًا {حِينَ ٱلۡبَأۡسِ}.

مدارسة الحالة السّادسة: الحجّ رمز لعبادة الصّبر {حِينَ ٱلۡبَأۡسِ} (١٩٦_١٩٩)

سنبدأ الآن في آيات الحجّ:

يقول الله عزّ وجلّ: {وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (١٩٦) الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ (١٩٧) لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ (١٩٨) ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ}(١).

سنبدأ أوّلا بقوله تعالى: {وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ} وكان واضحًا جدّا؛ أنّه لمّا خُتمت آيات القتال، بمسألة الإنفاق، افتتحت آيات الحجّ.

(١) سورة البقرة: ١٩٦_١٩٩.

انظروا: هنا يوجد اشتراك واضح: القتال جهاد في سبيل الله؛ والحجّ نوع من أنواع الجهاد في سبيل الله، وهو خاصّة بالنّسبة للمرأة يُعتبر جهادها؛ يشترك الاثنان في ماذا؟ أين الجهاد؟ أنتم لا تفكّروا في أهل جدّة في الجهاد، وإنّما فكّروا في الأمصار، وليس في وضعنا، وإن كان وضعنا فيه ما فيه، لكن عمومًا؛ فإنّ السّفر، وقطع المسافات الطّويلة، والصّعوبات؛ بحيث أنّه لمّا كان الحاجّ يخرج من دياره حاجًّا؛ يُوَدِّعُ توديعَ من لا يَعلم إنْ كان سيعود مرّة أخرى.

فاشترك الحجّ والجهاد في أنَّ كلاهما مشقّة، وأنَّ كلاهما يحتاج إلى صبر، وأنَّ كلاهما يحتاج إلى نفقة.

فانتهى الكلام عن الجهاد، أو انتهى هذا الجزء؛ لأنّ القتال بعد ذلك في سورة البقرة، يأتي في كلّ مرّة مقدّمة لمنفعة معيّنة؛ فهنا أتى القتال: مقدّمة لمنفعة الحجّ. وبعد ذلك سيتبيَّن لنا: كيف أنّه يأتي مقدّمة لمنفعة أخرى.

ويشترك القتال مع الإنفاق؛ فعلى طول السّورة هناك القتال، والإنفاق، أو الجهاد والإنفاق، لماذا؟ لأنَّ عصب القتال، هو: الإنفاق، جاء هنا القتال، والإنفاق، مقدّمة للحجّ، وأُمِروا بأن يُتمُّوا {وَأَتِمُّواْ ٱلۡحَجَّ وَٱلۡعُمۡرَةَ لِلَّهِ} ونحن كنّا قد اتّفقنا: بأنَّ المرور على آيات الأحكام سيكون مرورًا مُجملًا.

الشّاهد الآن: أنَّ الله -عزّ وجلّ- فصَّل في أحكام الجهاد في هذا الموطن، وذكر -سبحانه وتعالى- علاقة الحجّ؛ الّذي هو: {أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞ} بـ {ٱلۡأَهِلَّةِ} يعني المدخل للحجّ كان: مسألة {ٱلۡأَهِلَّةِ}، و{ٱلۡحَجُّ أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞ} له علاقة بـ {ٱلۡأَهِلَّةِ}.

(١) انقسام النّاس في الحجّ من جهة إراداتهم من الله (٢٠٠_٢٠٢)

ثمّ سينقسم النّاس الآن، إلى أقسام، بعد الكلام حول الحجّ؛ سنبدأ الآن من الآية (٢٠٠).

بهذا نكون مَرَرْنَا مُرُورًا عامّا على الحجّ، ابدئي بالآية (٢٠٠):

يقول الله عزّ وجلّ: {فَإِذَا قَضَيۡتُم مَّنَاسِكَكُمۡ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكۡرِكُمۡ ءَابَآءَكُمۡ أَوۡ أَشَدَّ ذِكۡرٗاۗ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٖ (٢٠٠) وَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ (٢٠١) أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ نَصِيبٞ مِّمَّا كَسَبُواْ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ}[١].

(١) سورة البقرة: ٢٠٠_٢٠٢.

الآن لمّا انتهى الكلام عن الحجّ: {فَإِذَا قَضَيْتُم} أي: إذا انتهت {مَّنَٰسِكَكُمْ}؛ المتوقّع أنَّ النّاس سيستريحون حين تنقضي المناسك -هذا هو المتوقّع- فقيل لنا: لا! الحياة ليست كذلك! {فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ} كانوا هم حين ينفضّون من الحجّ، يخرجون للمفاخرة بالآباء، بمعنى أنّ العرب لمّا كانت تحجّ؛ كانت تغتنم فرصة الحجّ ليظهر بعضهم على بعض، أي يجعلون الحجّ بعد كلّ هذا الذّلّ الّذي في الحجّ لله؛ يأتون ويُنهونه بالكبر على الخلق! بأن يقولوا: (كلّ واحد يذكر مفاخر قبيلته، وآبائه)، فقيل لهم: {فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ} أي: {كَذِكْرِكُمْ} الله؛ الّذي كنتم تفعلونه؛ وهذا بعد قضاء المناسك، **معناها: أنَّ العبد سيبقى ذاكرًا لله حياته كلّها.**

وهنا ظهر انقسام النّاس في الحجّ من جهة: إراداتهم من الله:

القسم الأوّل، ما صفته؟ {فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا} يدعو {رَبَّنَا}-إلى هنا جيّد- ماذا يريد؟ {ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا} بدأنا نرى أنّه: {ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا} هل الّذي يهمّه فقط: {ٱلدُّنْيَا}؟

قال الله: {وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ} ليس له نصيب، أي: عندما يدعو؛ فإنّ كلّ تفكيره في: {ٱلدُّنْيَا}! وهذه المشكلة ليست فقط عندما يدعو؛ وإنّما هذه المشكلة في كلّ حياته! صحيح أنّه يعترف بالله رَبًّا، وصحيح أنّه يعبد ربّنا، لكن {مَا لَهُ فِي} هذه العبادة إلّا إرادة الدّنيا، فقط هذا الّذي يريد! يريد {ٱلدُّنْيَا}! لكن الآخرة ليست على باله؛ ولذلك فإنّ هذا قليلًا ما يكون تقيًّا، لا يتّقي، يريد من ربّنا أن يعطيه كلّ شيء؛ وإذا ما أعطاه؛ وقع في قلبه السّخط! وإذا وجد فرصة يخون فيها، وينهب يمنة ويسرة؛ فعل! لأنَّ الآخرة ليست في فكره أبدًا! بدليل أنّه إذَا دعا ربَّه أراد منه الدّنيا.

ما علاقته بالحجّ؟ النّاس في الحجّ هذا شأنهم: أنّهم يذهبون للحجّ، يقومون بالأعمال، وعندما يقومون بالأعمال؛ فإنّهم يريدون من ربّهم إرادات -فليسأل نفسه الّذي يذهب للحجّ! أو العمرة: ماذا تريد من ربّك؟- فإذا كان لا يريد إلّا الدّنيا، والآخرة ليست في فكره؛ فإنّه سيدخل في هذا الصّنف مادامت الآخرة ليست في فكره؛ إذًا في الآخرة لن يكون له نصيب!

فإذًا خُتِمت آيات الحجّ، بالكلام عن أقسام النّاس في إراداتهم من ربّهم.

القسم الأوّل، قالوا: {رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا} ما هو الشّيء الصّحيح في كلامهم؟ أنّهم قالوا: {رَبَّنَآ} هذا هو الصّحيح؛ أنّهم ما دعوا إلّا الله، إلى هنا صحيح ما فعلوه، و{ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا} نفسها صحيحة؛ إذًا أين الخطأ الآن؟ أنّه: {مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ}: هذا هو الخطأ: أنّه ليس للآخرة مكان في ذهنه، وإذًا ليس له نصيب فيها أيضًا!

إذًا حال النّاس مع ربّهم في الدّعاء، ينقسم إلى قسمين:

القسم الأوّل: ذُكر في آخر الآية (٢٠٠) يريد من ربّه الدّنيا، والآخرة ليست في فكره، فقط: (أعطني الدّنيا)!

أنت أحيانًا تقولين: (أنا عندي الآن قضيّة، وأريد الدّنيا، ألا أقول: يا ربّ أعطني الدّنيا؟) نعم، تقولين: (يا ربّ أعطني الدّنيا) -ليست هناك مشكلة- لكن هناك طريقة صحيحة؛ لأجل ألّا تكون الدّنيا أكبر همّك، ستظهر في الكلام عن الثّاني.

القسم الثّاني: {وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ}: سنرى هذا، ما هو تفكيره الّذي ظهر في دعائه؟

{يَقُولُ رَبَّنَا}: إذًا بداية صحيحة {آتِنَا فِي الدُّنْيَا}: وأيضًا، لا مانع من أن تطلب الدّنيا، لكنّه زاد دعاءه حُسنًا؛ بأنّه قال: {رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً} أي: ليس كلّ ما تريده في الدّنيا في صالحك، فزاد دعاءه ضبطًا، وقال: {رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً} هذا يُبيّن أنّه فاهم أنّه ليس كلّما اشتهيت شيئًا، فإنّ الخير في هذا الشّيء الّذي اشتهيته؛ **لا مانع اطلب ربّنا، لكن مع تفويض الشّأن لله** {آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً} بمعنى: ما يكون سببًا لحُسن دنيانا، المُقرّب لك، وليس المُبْعِدِ عنك -والعياذ بالله- وكم من أشخاص طلبوا أمورًا، والله من حكمته ما أعطاهم إيّاها، ثمّ حين تقدموا في السنّ، ورأوا الأمور، عَلِمُوا أنّ لله الحكمة البالغة أنّه ما أعطاهم إياها؛ فصار الحمد على أنّهُ ما أعطاهم إيّاها.

فعقل الإنسان القاصر، دائما يظنّ أنّ الّذي يشتهيه هو الصّواب!

قارن بين هذا وبين السّابق:

- الأوّل قال: {رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا} فحتّى في {الدُّنْيَا} أطلق المسألة.
- وهذا قال: {رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً}، {وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً} **معنى ذلك:** كما أنّ الدّنيا في تفكيره، كذلك الآخرة في تفكيره، بل الآخرة في تفكيره، أكثر من أن الدّنيا في تفكيره؛ لأنه قال: {وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ}.

إذًا سأل سؤالين للآخرة، وسؤالا للدّنيا. ماذا كان سؤاله للدّنيا؟ {رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا} وضبط ذلك أنّها: {حَسَنَةً}، {وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ}.

إذًا ما شأن هذا، وهذا؟

الأوّل: الدّنيا هي أكبر همّه.

والثّاني: مشتغل بالآخرة، لكن هذا لا يمنع أن يطلب للدّنيا.

لمّا أريد الدّنيا، هل ممنوع أنّني أطلب الدّنيا؟ لا! ليس ممنوعا، اطلبها، لكن لا تكن ذاك العبد الّذي لا يشغله مع ربّه إلّا الدّنيا، ولا يفكّر في مكانه في الآخرة؛ وهذا ما هو إلّا من ضعف اليقين بالآخرة! لكن ينكشف ضعف اليقين بالآخرة عن العباد؛ كلّما زادهم الله -عزّ وجلّ- إيمانًا، وزادهم تجربةً، وعرفوا الحقائق، وتبصّروا، **إلى أن يصلوا إلى: أنَّ الدّنيا لا تستحق، أن تكون أكبر الهمّ!**

قال الله عزّ وجلّ: {أُولَٰئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ}[1] الكلام هنا عن من؟ عن الّذي قال: {رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً}.

عاد الكلام مرّة أخرى عن تفاصيل الحجّ، ولمّا انتهينا من التّفاصيل أتى الكلام كذلك، عن صنف ثالث من النّاس، كم صنف مرّ عليك سابقًا؟ صنفان:

الأوّل قال: {رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ}.

والثّاني قال: {رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ}.

وسيأتينا الآن الصّنف الثّالث من النّاس:

(٢) انقسام النّاس في الحجّ من جهة إراداتهم من الله (٢٠٣_٢٠٧)

يقول الله عزّ وجلّ: {وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِى يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ لِمَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٢٠٣) وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ (٢٠٤) وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ (٢٠٥) وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ

(١) سورة البقرة:٢٠٢.

فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۖ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ (٢٠٦) وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ}.

بسم الله، سنبدأ من عند: {وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا} لاحظي، أنّه فيما مضى أتى الكلام عن ذكر الله، وعن كثرة إشغال الوقت بالكلام النّافع؛ أي أنك أنت تخرُجين من الحجّ وهذا أكثر شيء واضح سواء لمن حجَّ، أو لمن عَمَرَ العشر من ذي الحجّة بما يجب.

الّذي سيخرج من العشر من ذي الحجّة ماذا سيجد؟ المفترض أن يكون لسانه لاهجًا بذكر الله، والّذي يحجّ؛ له هذا الشّأن أيضًا.

هناك جماعة آخرين، ستجدهم في الحجّ، وخارج الحجّ، ما هو وصفهم؟ {يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا} يعني: لهم كلام، الكلام هنا يُعجب المؤمنين، يعني: لهم من الكلام الطيّب؛ الّذي فيه خير، وصلاح، نصيب كبير، يعني: يتكلّم بكلام كثيرٍ، من هذا النّوع! ولا يتكلّم فقط؛ وإنّما ينتقل من الكلام، إلى أن يُشهد النّاس على ما في قلبه، يعني: يقول للنّاس: (أنا أُشهِد الله على ما في قلبي، من حبّي للصّلاح)، يعني: يُظهر الصّلاح بلسانه، وأيضًا {يُشْهِدُ ٱللَّهَ} أمام النّاس {عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ} من الصّلاح، ثمّ يحكم الله –عزّ وجلّ –عليه بماذا؟ أنّه: {أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ}! هنا الكلام عن المنافقين.

- **لو حكمنا على الأوّل: الّذي لا يريد إلّا الدّنيا؛ بأنّ إيمانه: ناقص تمامًا.**
- **وحكمنا على الثّاني: الّذي يريد الدّنيا والآخرة أنّ: عنده إيمان.**
- **سنحكم على الثّالث بأنّه منافق.**

ما حالة المنافق؟ بدلًا من أن يذكر الله بقلبه ولسانه، يذكر بلسانه ما يُعجب السّامعين. وبقلبه تكون حالته: {هُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ}. {وَإِذَا تَوَلَّىٰ} ماذا يفعل؟ {سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا} **معنى هذا:** أنّ هذا الشّخص في ظاهره، وعند كلامه مع النّاس، أحسن ما يكون، لكن في أعماله، وأحواله {إِذَا تَوَلَّىٰ} أيّ شيء أفسده؛ أفسده من جهة مصالحه: {وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ} أي لا يفعل ما يأمره به الشّرع؛ وإنّما يفعل ما يأمره به هواه. يعني في النّهاية يبيع كلامًا على النّاس؛ لأجل أن يشتري ثقتهم، ومن ثَمَّ فإنّه {إِذَا تَوَلَّىٰ} شيئاً، أفسده، لصالح نفسه وهواه! يعني الكلام الآن، أصبح بالنّسبة له، مثل السُّلَّم، الّذي يصعد به؛ لأجل أن يكون له مكانة، هو كلّ تفكيره في

النّاس؛ أنّهم يرضون عليه؛ فيصل هو إلى المكانة، أو إلى ما يريد! فالّتي تشغله هنا هي: نفسه! لا الشريعة، ولا الدّين، ولا غيره! وسيتبيَّن لنا الآن: متى يظهر هذا في المجتمع؟

المهمّ إذَا وعظه أحدًا -وهذا هو الشّيء المهمّ- أنّه إذَا وعظه أحد، وقال له: {ٱتَّقِ ٱللَّهَ}؛ {أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ} هل يعترف بأخطائه؟ لا! لا يعترف بخطئه؛ وإنَّما يزداد إصرارًا على خطئه!

أهمّ شيء الّذي يهمّنا في هذه الشّخصيّة: هذا كيف تبدأ به المسألة؟ لأجل أن نشخّص أنفسنا، ونفهم أنفسنا جيّدًا؟ ما هو المرض الأصلي الّذي يكون عنده؛ لأجل أن يأتي في النّهاية، ويصير بهذه الطّريقة؟! هو عنده مرض "**إرادة العلوّ**" يريد أن يصير أعلى من النّاس، الّذي يسمّونه الآن، بالمصطلح المعاصر: "**النَّرْجسِيَّة**"؛ الآن يسمّون "**إرادة العلوّ**"، كمرض نفسيّ، يسمّونه: "**النَّرْجِسِيَّة**". أصل النَّرْجسِيَّة كأنَّها أسطورة وبعد ذلك أصبحت اسما لمرض!

المهمّ، فإنّ هذا الّذي عنده النَّرْجسِيَّة مسكين! يبدأ حياته بإحساسه أنّه عظيم، وأنّه ليس هناك أحد مثله، وأنّه لا يوجد أحد يقدّره، وأنّه هو غاية في العظمة، وفي الجلال، وأنّ عقله يزن بلدًا، وهو في البداية ممكن يكون ناجحًا في علاقاته، يحبّه النّاس، له شخصيّة مقبولة؛ لأنّ أوّل صفة فيه أنّه: يعجبك! وهذا النَّرْجسِي -أصلًا- هو مُعجَب بنفسه.

في أصل الأسطورة -وهي أسطورة يونانيّة- لماذا سمّوها: النَّرْجسِيَّة؟ على هذا الرّجل، ما به؟ في الأسطورة اليونانيّة، هذا الرّجل كان غاية في الجمال؛ وكان النّاس كلّهم، والنّساء، مُقبلون عليه، وكان يرى نفسه أنَّه فوق النَّاس؛ ثمّ ذهب مرّة يشرب من نهر، فرأى نفسه في النّهر؛ فوقع في حبِّ نفسه، وظلَّ ينظر إلى نفسه، وبقي على هذا الحال، إلى أن مات. ونبتت بجانبه -كما يقولون في الأسطورة- وردة صفراء؛ فسمّوها على اسمه؛ الّتي هي: وردة النّرجس. على كلِّ حال هذه أسطورة؛ فقط لأجل أن تتصوّروا من أين وضعوا مسألة النَّرْجسِيَّة.

فيها ثلاث صفات كما هي ظاهرة، ونحن بالنسبة لنا هذا اسمه: **مرض إرادة العلو**، لكن هو الآن مرض نفسي يقومون بتشخيصه على أنَّه النّرجسية.

أوّل شيء: يعجبك، لكن لا تُعاشره كثيرًا؛ فمن بعيد يكون مُلفتًا، يُعجبك، وينبهر به النّاس، فهذه هي الصّفة الأولى، لماذا؟ لأنَّه بائع للكلام! يظهر أنّه مثقّف، يظهر أنّه فاهم، يظهر أنّه حريص، على حسب الوسط، هنا نحن نتكلّم في الآيات عن الوسط المستقيم؛ فيأتي عند الوسط المستقيم، ويُظهر كلّ أنواع

الاستقامة، وكلّ أنواع الفهم، إلخ...فتأتي هذه النّقطة الأولى: أنّ هذا في معرفته السّطحيّة؛ تجدين أنّه يعجبك؛ هذه هي الصّفة الأولى.

وعندما يعجبك؛ فإنّه لابدّ أن يؤيّد إعجابك بأمور؛ فيكثر من الكلام، وفي نفس الوقت يُشهد الله على ما في قلبه، لكن فقط عاشريه؛ ستجدينه: {أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ}! لماذا {أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ}؟ لأنّه حريص جدّا على أنّه يكون موجودًا فيما يفهمه، وفيما لا يفهمه! حريص على أنّه يكون فوقك، وفوق أيّ أحد.

يعني حتّى لو كان طالبًا، وأمامه أستاذه، أو شيخه؛ فلابدّ أن يقاطع شيخه ليظهر أنّه: (أنا موجود، لا تنساني في الطّريق) -بهذه الطّريقة! هل تصوّرتم المسألة؟!- يرى نفسه أعلى! ثمّ بعد ذلك يجلس متواضعًا! فمن تواضعه أنّه يجلس عند أحد يعلّمه! وإلّا فإنّه هو بإمكانه أن يعلّم البلد كلّها! هكذا في تصوّره!

ولذلك فإنّك تجدين هؤلاء، في أحيان كثيرة لا يذهبون إلى خطبة الجمعة، لماذا لا يذهبون؟ يقول: (من هذا الخطيب الّذي سيعلّمني أنا؟!) فإذا أراد مرّة أن يُحافظ على وضعه، ينتظر حين تنتهي الخطبة، ثمّ يأتي يصلّي الرّكعتين! وممكن -من أصله- لا يذهب إلى الجمعة!

إذًا الآية الأولى (٢٠٤) جاءت لنا بصفتين:

١. بدون مخالطة يعجبك.

٢. أوّل ما تحتاجه، وتأتي المخالطة؛ تكتشف أنّه {أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ} ما الّذي يجعلك تكتشف أنّه: {أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ}؟ لأنّه يريدك مجرّد سلّم؛ ليصل هو إلى العلوّ؛ يعني إذَا جلس معك يظلّ ينتقدك، ينتقدك، ينتقدك! ويقلّل من قيمتك، ويقلّل من قوّتك، أنت لا شيء! والمسلمون لا شيء! بهذه الطّريقة إذَا عاشرته تبيّن لك هذا!

وبعد ذلك، إذَا قلنا له: (تعال أصلح!) -على وجهات نظرك الجميلة هذه!- (تعال أصلح الّذي تستطيع من الاصلاحات!) أليس لديه ١٠٠ ألف اقتراح؟! إذَا أمسك أيّ شيء أفسده! وجعله فقط سلّمًا ليصل هو إلى مصالحه!

وهذا مرض نفسي خطير جدّا؛ لأنه ممكن يكون هذا زوج! أو ممكن أن تكون زوجة! ممكن أن يكون ابنًا! ممكن أن يكون جارًا! ممكن أن يكون معلّمًا! ممكن أن يكون تلميذًا، هذه حالته، أيّ شيء يفسده؛ لأجل أن يبقى هو فوق المسائل -وطبعًا- لا يعترف بخطئه، ولا أيّ شيء!

٣. {إِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ}؟ تأتي الصّفة الثّالثة الآن، وهي الصّفة الخطيرة جدًّا: الإصرار على أنَّ قوله هو الحقّ، وأنَّ قول غيره، أيّا كان؛ باطل! يعني فقط الحقّ هو ما قاله هو، وأيّ أحد ثانٍ قوله باطل!

أين الخطورة؟ فهذه خطورة على الدِّين! أين تأتي الخطورة الّتي تدلّك على النّفاق والخروج؟ نحن نحكي الآن على الشّخص الّذي عنده مرض العلو، الّذي يشخّصونه بالنّرجسيّة؛ لأنّ هذا في الأخير؛ فإنّه لا يقدر، لا على حياة زوجيّة، ولا على معاشرة! بمعنى أنّه بالكاد يتصبّر النّاس على بعضهم البعض! خاصّة لو كانوا زوجًا أو زوجة!

مثلًا: لو كان هناك زوج أو زوجة واحد منهما نرجسي، مثلًا: الزّوجة هي النّرجسيّة، أو الزّوج هو النّرجسي؛ هذان لا يقدرا على العيش مع بعضهما البعض إلّا بالصّبر والاحتساب، لكن في الأساس؛ فإنّها لا تقدر أن تعيش مع واحد مثل هذا! لأنَّه طوال الوقت لا يقوم إلّا بتحطيمها: (أنت ليست لك أيّ قيمة! وأنت لا تفهمي!) طوال الوقت وهو فقط الّذي يفهم، وهي الّتي لا تفهم! وهو الّذي يفهم، وكلّ النّاس لا يفهمون، وليست هي فقط الّتي لا تفهم! لكن طبعًا هي من يضغط عليها أكثر شيء!

والعكس صحيح، تكون الزّوجة هي النّرجسية! وهو المسكين لا تترك له طريقًا إلّا وتحاول فيه قصّ أجنحته: (وأنت لا تفهم! وأنت لا تعرف! وأنت.. إلخ...)

طبعا هؤلاء تكون عندهم تنقّلات عاطفيّة كثيرة؛ لأنّه: إذَا أُعجبتِ به، وبعد ذلك تكتشفينه؛ فإنّك تتركيه! فيقوم يبحث عن غيرك! ويبقى يبحث! يبحث على ماذا؟ عن الإعجاب، يبحث عن النّاس الّذين: يفخّمونه، يعظّمُونه. فتجديها لو كانت هي بِنْتًا، وهؤلاء صاحباتها؛ فإنّها في كلّ فترة تغيّر صاحباتها؛ لأنّهم يكونون قد اكتشفوها؛ فيتركوها! بهذه الطّريقة! وإن كان هو شابّ، ولو كانت هي زوجة...بهذه الطّريقة!

الشّاهد هنا أنّه: أين الخطر العظيم؟ الخطر العظيم عندما يأتي عند الدِّين! الآن هو مستقيم، شكله مستقيمًا، وجاءه على هواه أن يقوم بفعل مُنكر! ثمَّ مثلًا: يأخذ زوجته وأولاده ويذهب إلى مكان فيه أيّ مخالفات شرعيّة! فالآن الزّوجة الّتي كانت تظن أنَّه مستقيم! تقول له: (ما بك؟! كذا وكذا مُخالف!) ولأنَّه اليوم رأيه كذا! {وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ} فيقول لها: (من قال لك هذا؟! هناك خلاف في المسألة! من قال لك؟ لا تشدّدي! لا تصيري مثل كذا!)! وهو الّذي كان بالأمس، وأوّل أمس: {يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} فأيّ قول يصير بعد ذلك يُخالف هواه؛ أي أننا لا نكتشفه،

لكن تأتي مواطن يصير له فيها هوى! فأيّ قول يُخالف هواه؛ يُسْقِطُه، ويأتي بالأدلّة الدّالّة على أنَّه ليس قولًا شرعيًّا! إلى أن يترك الدِّين تمامًا! ويصير صورة خارجيّة؛ سواءً كان بإطلاقه اللّحية، أو بتقصيره الثّوب، ومن الدّاخل يكون هناك فساد تامّ! ليس فيه أيّ شيء يدلّ! وعند أوَّل فرصة، يستطيع فيها أن ينفلت، حتّى من المظهر؛ فإنّه ينفلت! لذلك تجدين مثل هؤلاء، ممكن أن يهاجروا؛ لأجل أن ينفلتوا في المكان الّذي يهاجرون إليه!

فهذه الشّخصيّة خطيرة جدًّا جدًّا؛ ولذلك الله -عزّ وجلّ- يقول: {فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ}.

بعد أن فهمناها لابدّ أن نعرف ما هي النّبتة الأولى الّتي تكون في داخلنا؟ كما يشخّصون -والله أعلم بالكلام- **أنَّ النّاس كلّهم عندهم النّبتة الأساسيّة، لكن هناك من يقطعها من نفسه، وهناك من يتركها.**

النّبتة الأساسيّة هي الدّائرة حول: [طلب انبهار النّاس] ما هي العلامة الظّاهرة للشّخصية الّتي مثل هذه؟ لأنَّ هذه الشّخصيّة إنّما هي شخصيّة مرضيّة، ففي النّهاية، ممكن من كثرة هذا التّناقض أن يفقد عقله! هم يعالجونهم بالأدوية الكيميائيّة عندما يصلون إلى درجة التّناقض الشّديد ولم يبقَ عنده القدرة على العيش؛ فإنّ هذا مرض مشخّص، وقد يصل إلى أن يُحجز في مشفى ويعطونه حبوبًا، وأحيانا يأخذونه ويحبسونه في مستشفيات الأمراض النّفسيّة؛ لأنه يصل إلى حد أن يكون ليس متوازنًا تمامًا، وقد يصل يتطوّر إلى فقد عقله، لكن قبل ذلك فإنّه عاقل، يُحَاسَبُ على ما فعله قبل أن يصل إلى هذا الاضطراب الشّديد.

إذًا ما هي العلامة الّتي عندما يجدها الإنسان، فإنّه لابدّ أن يدور حولها، ويدور؛ لأجل أن يعالج نفسه؟ **طلب الإنسان إعجاب النّاس! وانبهار النّاس! فطوال الوقت، فقط يريد أن يكون له مكانة!**

ولذَا فإنّك تجدينه في ديار الإسلام، والمسلمين، والمستقيمين، يُظهر الصّلاح، وإذَا لم يكن في ديار الإسلام، والمسلمين؛ فإنّه يذهب عند الكفّار، ويقوم يظهر لهم الفلسفة، ويظهر لهم...! **أي أنه عند كلّ جماعة يفعل الفعل الّذي يُظهِرُهُ عندهم؛ والّذي به يحصل الإعجاب.**

ولذلك انظري كيف أنّهم حين يكونون عربًا في بلد عربيّ، وكلّهم عرب، جالسون مع بعضهم، ويريدون أن يتفلْسَفُوا؛ فيقوم كلّ واحد منهم يتكلّم بلغة أجنبيّة! لماذا؟! مَن هنا في الجلسة لا يفهم اللّغة العربيّة؟! لكنّ هذا من باب: (انظروا إليّ؛ فأنا أتقن لغة غير اللّغة العربيّة! فقط انظروا إليّ!)

أي أنه يطلب الإعجاب بأيّ طريقة! إذَا كان عند المستقيمين؛ فإنّه يجعل نفسه من أهل الدّين! وإذَا كان عند أهل الدّنيا؛ فإنّه يبحث على أيّ شيء عندهم من أهل الدّنيا، لأجل أن يرتفع عندهم! وهكذا!

فهذه هي البذرة الخطيرة! **الّتي في النّهاية**: تصير مرضًا خطيرًا! **الّتي في النّهاية**: يفقد الإنسان عقله بسببها! وهؤلاء النّاس لا يُمكن مُعاشرتهم! وإن كنتِ قد أُعجِبت بهم في البداية، لكن في النّهاية؛ فإنّ هؤلاء لا يُمكن مُعاشرتهم! لماذا؟ لأنّهم طوال الوقت يُقلّلون من قيمتك؛ حتّى يُبقوك بلا أيّ قيمة، لأجل أن يصير له هو قيمة!

ولذلك فإنّه ما أبلغ الآية القرآنيّة: {وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ} تجدينه يُخاصمك طوال الوقت؛ بحيث أنّه لا يجعلك ترتاحين على جنب، أبدًا! ولا أيّ شيء من الّذي تفعلينه؛ يعجبه! هل تصوّرتم هذا المرض؟!

هذا المرض، إذَا استمر عند الإنسان، بإظهار صورة أنّه مستقيم، وإبطان صورة أنّه غير مستقيم؛ وهو في الحقيقة غير مستقيم! هذا في النّهاية يكون من أعظم المنافقين: {فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ}تكفيه {جَهَنَّمُ} فقط!

وهكذا يُحكم عليه بالنّفاق الأكبر! طبعًا حين يزداد عن ذلك، ويصير في النّهاية: اضطرابًا مرضيًّا؛ فإنّ هذا أمره إلى الله –الله أعلم ماذا يُفعل به؟ لكن في الأصل– فإنّه لا يصير مرضًا خطيرًا في النهاية؛ إلّا حين يكون قبل ذلك في كامل قواه العقليّة.

أمام هذا: سيأتينا شخص مختلف تمامًا، تمامًا! هو الشّخصيّة الرّابعة الآن، الّذي هو: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ} هذا طول الوقت يمشي، يقول: **(دُلَّني على رضاك! أين الّذي يرضيك؟ ما الّذي يرضيك؟) في كلّ شأن: (ما الّذي يرضيك؟ ما الّذي يرضيك؟) الّذي يشغله [رضا الله].**

فهكذا تعرفين الفرق بينه وبين السّابق. ما الّذي كان يشغل السّابق الّذي {مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا}؟ الّذي كان يشغله؛ هو: إعجاب النّاس به! هذا الّذي كان يشغله: أنّ يرضى النّاس عنه! يُعجبون به! وينبهرون به! ويرفعونه!

بينما الشّخصيّة الرّابعة فإنّها خلافه تمامًا! (فقط دلّني يا ربّ ما الّذي يرضيك؟) ويبقى يتعلّم، ويتعلّم، ويتعلّم؛ ليعرف كيف يرضي ربّ العالمين.

وفي الحالتين: فإنّ الإنسان لا يحبّ أن يكون عِرضه عند الخلق مُنتهكًا! ليس هذا بالإنسان الطّبيعي الّذي يقول: (ليس هناك مشكلة أن يتحدّث النّاس عنّي!)! لا! لا! حتّى الشّريعة نهت عن ذلك، فأنت لا بدّ أن تحبّ الغيبة عن نفسك! لا تجعل النّاس يتكلّمون عنك! فإنّ هذا منهي عنه شرعًا، لكن لا يكون مقصدك إعجاب النّاس، وانبهارهم! **وإنّما يكون مقصدك مرضاة الله حتّى في جبّ الغيبة عن نفسك.**

أنا أؤكّد عليكم: أنّهم فيما يذكرون في علم أمراض النّفس؛ أنّ هذا المرض الّذي هو: مرض إرادة العلو أو الّذي يسمّى عصريًا بـ: النّرجسيّة؛ بذرته الأساسيّة موجودة في النُّفوس كلّها؛ [هناك من يقتلعها]، وهناك من يسقيها، وينمّيها!

فإذا كان هذا الكلام صحيحًا -والله أعلم بصحّته- المفروض أنّنا نُعالجه بالمسألة الّتي بعدها، بالدّليل الّذي بعده، ماذا نفعل؟ **كلّ مرّة شعرنا فيها: بأنّ مكانتنا عند النّاس تشغلنا جدّا، تأتينا هذه الخاطرة، من هذه البذرة الّتي في أنفسنا؛ فإنّنا نعالجها بأن نطلب [رضا الله]، إذَا هبَّت رياح هذه البذرة؛ دفعناها بمناقشة أنّه: (أهمّ شيء ما الّذي يرضي ربَّ العالمين؟) وهذا سرّ عظيم في الآيات؛** لأنّك حين تَتَتَبَّعين كلامهم عن مظاهر النّرجسيّة؛ الّذي هو مرض العلوّ؛ تجدينها جملة، جملة، من الآيات تجيب عليك، تبيّن لك بأنّه: (نعم هناك أشخاص هذه هي حالتهم!).

وهذا الشّيء العظيم؛ علاجه مباشرة في الآية التّالية: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ} مستعدّ أن يبيع نفسه، فقط من أجل إرضاء الله، ومع ذلك؛ فإنّ الله يجيب عليه؛ فيقول له: {وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ} لا يمكن أن يكلّفهم ما لا يستطيعون.

الأمر بالدّخول في {السِّلْمِ كَافَّةً} وبيان السّبب في أمراض القلوب والإفساد في الأرض (٢٠٨_٢١٠)

على كلّ حال، هكذا انتهينا من الآية (٢٠٧)، ووقفنا عند هذه الآيات؛ لأهمّيّتها من جهة الأمراض القلبيّة، والنّفسيّة. نبدأ من الآية (٢٠٨):

يقول الله عزّ وجلّ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (٢٠٨) فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٠٩) هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ}(١).

الآن لو نظرنا إلى قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا} ماذا؟ {ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً} ونظرنا للكلام عن المنافقين وليس على العلاج، أو على الصّنف الرّابع وإنّما للكلام عن المنافقين؛ فإنّنا سنقول:

لمّا حكى لنا -سبحانه وتعالى- عن المنافق: أنّه يسعى {فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ}؛ أمر المسلمين بما يُضادّ ذلك، وهو: الموافقة في الإسلام بتمام الاستسلام؛ فيكون العبد المستسلم لله، سِلْمًا على كلّ شيء.

بينما هذا الّذي: {إِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ} سيخالف الّذين سيدخلون {فِي السِّلْمِ كَافَّةً}؛ لأنّ الّذين سيدخلون {فِي السِّلْمِ كَافَّةً}؛ سيكونون سِلْمًا على الأرض الّتي يمشون عليها، وحتّى على البهائم الّتي ينتفعون منها، وعلى النّبات الّذي يأكلونه؛ ألم يُقَل لنا في القرآن في وصفهم: {وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا}(٢) أي لهذه الدّرجة هم [سِلْمٌ] على كلّ شيء، حتّى على الأرض فإنّهم [سِلْمٌ].

في مقابل هذا مَن: {إِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا} إذًا لمّا قيل: {ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً}؛ قُصد: لو دخلتم في شرائع الإسلام؛ ستصيرون أنتم [سِلْمًا] على كلّ شيء؛ لكن هذا ليس [سِلْمًا]! فأكيد أنّه لم يدخل في شرائع الإسلام!

ما الّذي يمنعكم من أن تدخلوا {فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً}؟ الشّيطان! وهذه المرّة الثّانية، ونحن ندرس في الشّرائع، الّتي نسمع الكلام عن: الشّيطان واتّباعه.

إذًا ماذا سنكتب في الجزء الثّاني من الآية: {وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ}؟ أنّ مُتابعة الشّيطان؛ هي: السّبب في أمراض القلوب، وفي الإفساد في الأرض؛ ولذا أتى قوله تعالى: {فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}(٣).

(١) سورة البقرة: ٢٠٨_٢١٠.
(٢) سورة الفرقان: ٦٣.
(٣) سورة البقرة: ٢٠٩.

بيان فوائد في الآية (٢٠٩) تتّصل بأسماء الله عزّ وجلّ

سنقف عند الآية (٢٠٩)، قبل أن نتكلّم عن علاقتها بما سبق؛ سنرى فيها:

١) **شأنًا مهمًّا، يتّصل بأسماء الله عزّ وجلّ.**

نناقش هذا الشّأن، وبعد ذلك نرى:

٢) **علاقة الآية، بما قبلها:**

الآية (٢٠٩) تنقسم إلى قسمين، {فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ} هذه الشّرطيّة، {إِنْ زَلَلْتُمْ}، {مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ}، {إِنْ زَلَلْتُمْ} فماذا سيحصل لكم؟ ما هو جواب الشرط؟

{فَاعْلَمُوا} ليس جوابًا للشّرط!

اتركي الجزء الأوّل:

لو علمنا: {أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}؛ أوّلًا: فإنّ هذا الجزء من الآية فيه ثلاث أمور مهمَّة:

دعونا: نبدأ بالأوّل الّذي سيصل الشّقّين ببعضهما، لو علمنا {أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}؛ فماذا تكون النّتيجة من وراء العلم بأن الله{عَزِيزٌ}؟ ما هو معنى {عَزِيزٌ}؟ له عزّة القوّة، والقهر؛ **أي**: كأنَّ الآية فيها وعيد شديد، فيها تخويف؛ لأنه: {عَزِيزٌ} **بمعنى أنَّه**: قاهر.

ما الّذي يحبسه؟ وما الّذي يمنعه؟ متى سيأتي؟ {حَكِيمٌ}أي من الممكن أن تكونوا آمنين تمامًا، وبعد ذلك تأتيكم العقوبة! غافلين تمامًا، وبعد ذلك تأتيكم العقوبة!

إذًا: {فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} هذا ليس هو بنفسه جواب الشّرط، وإنّما لازمه هو جواب الشّرط، **يعني**: {فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ} اللاّزم منه: أنّ زللكم: {إِنْ زَلَلْتُمْ}؛ سيعاقبكم الله عقابًا شديدًا، في وقت لا تدركونه؛ فربّما كنتم آمنين، ربّما كنتم لاعبين؛ {إِنْ زَلَلْتُمْ} ويعاقبكم عقابًا شديدًا.

لكن لم يأتِ: سيعاقبكم؛ وإنّما أتى: {فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}.

فإذًا هذه الفائدة الثّانية: {ٱعۡلَمُوٓاْ} هنا فعل أمر {ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} يعني أنتِ مأمورة مثل: {وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ}[1] **مأمورة أن تعلمي عن الله؛ ومثل هذه الآية في القرآن أتت أكثر من ٣٠ مرّة، فيها: {ٱعۡلَمُوٓاْ} كذا وكذا، {ٱعۡلَمُوٓاْ} كذا وكذا عن الله.**

فعل: {ٱعۡلَمُوٓاْ} فعل أمر يدلّ على وجوب التّعلُّم عن أسماء الله.

{فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}:

الفائدة الأولى: عرفنا الأولى، أنّها بدل جواب الشّرط. وجواب الشّرط هو: التّهديد بالعقاب الشّديد.

الفائدة الثّانية: أنّ فعل: {ٱعۡلَمُوٓاْ} دلّنا على وجوب العِلْم.

الفائدة الثّالثة: لماذا {فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} وليس: سيقع عليكم كذا وكذا وكذا من التّخويف؟ يعني لماذا {ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} حلَّت مكان نفس التّهديد؟ لأنَّها أعظم في التّهديد، أبلغ في التّهديد، يعني مجرَّد علمك بعزّة الله، وقدرته، وقهره، وسلطانه؛ يكفي لأن يُخيفك، يكفيه أن يُخيفك.

إذًا: {فَإِن زَلَلۡتُم}؛ {فَٱعۡلَمُوٓاْ} فإنّ لازم هذه الآية؛ هو المطلوب منكم. لازمها الّذي هو: {فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} فهذا كان بمثابة الوعيد الشّديد، والتّخويف، والمنع من الزّلل.

لماذا بالعزيز الحكيم؟ لأنَّ [هذان الاسمان يوجبان لك تعظيم الله].

نقف هنا عند الآية (٢٠٩) وإن شاء الله نكمل المرّة القادمة.

جزاكم الله خيرًا.

السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

(١) سورة البقرة: ١١٠.

مدارسة سورة البقرة

"دارسة إجماليّة"

أ. أناهيد بنت عيد السميري

اللّقاء السّابع عشر: الخميس ١٦ جمادى الآخر ١٤٤٠ هـ

"تابع مدارسة المقصد الثّالث (١٦٣_٢٨٣)"

بسم الله الرّحمن الرّحيم

المقدّمة: دلالة ترتيب الآيتين في مقدّمة المقصد الثّالث:

(١)بيان مفهوم: أنّ الشّريعة لمّا ابتدأت بآية في العقيدة، دليل على أنّ العقائد لا يُستغنى عنها أبدًا، وأنّ العقيدة يُنْتَقَلُ بها إلى غيرها ولا يُنْتَقَلُ عنها إلى غيرها

السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على سيّدنا محمّد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

بسم الله، توكّلنا على الله، نبدأ في مناقشة سورة البقرة، كنّا انتهينا من المقصد الأوّل والثّاني، ونحن الآن نناقش: المقصد الثّالث.

المقصد الثّالث، موضوعه الأساسي: الشّرائع. والآية الأولى في هذا المقصد كلّه، هي: مقدّمة. هناك آية في المقدّمة، وهناك آية مع بداية المقصد نفسه. هاتان الآيتان –من الضّروري جدًّا– أن تكونوا مركّزين عليهما:

الآية الأولى:

الّتي هي في المقدّمة، قوله تعالى: {وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ} هذه هي: مقدّمة الشرائع. تدلّنا على ماذا؟ أنَّ الشّرائع معتمدة على العقائد، **يعني**: {وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ}: هي آية في العقيدة، ومع ذلك فإنّ الشّريعة ابتدأت بها، لماذا؟ دليل على أنّ العقائد لا يُستغنى عنها أبدًا؛ كلّ مرّة أحمل معي العقيدة؛ **فالعقيدة يُنْتَقَلُ بها إلى غيرها، ولا يُنْتَقَلُ عنها إلى غيرها!**

هذه كانت الآية الّتي هي مقدّمة الشّرائع، وبعد ذلك أتتني الآية؛ الّتي هي في بداية الشّرائع.

الآية الثّانية:

{لَيْسَ الْبِرَّ}. هذه الآية، تذكّروها جملة، جملة؛ لأجل أن نحدّد على أساسها، ما سيأتي بعدها. ابتدأت بالنّفي: {لَيْسَ الْبِرَّ}. ماذا؟ {لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ}.

ما هو المقصود؟ أنّ النّزاع ليس على الجِهات؛ لأنّه قبل ذلك كان هناك الكلام عن مسألة القبلة، وعندما تولّى المسلمون مسألة القبلة؛ كأنّه قيل لهم: (أنتم لا تعتقدوا أنّكم عندما تولّيتم القبلة؛ أنّكم وصلتم للبرّ كلّه! فهذا ما هو إلّا امتثال لأمر الله، ولكنّه {لَيْسَ الْبِرَّ} كلّه!).

{لَيْسَ الْبِرَّ} يعني: {لَيْسَ} كلّ {الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ}.

{وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ} هناك الواو: {وَ} وهناك: {لَكِنَّ}. يعني هذه الآن كأنّها انتقالة، ماذا تفعل {وَلَكِنَّ} في الماضي، وماذا تفعل في الّذي آتي؟ {وَلَكِنَّ الْبِرَّ} ستُبطل الماضي، وماذا يأتي؟ ويأتي تقرير: {الْبِرَّ}. {وَلَكِنَّ الْبِرَّ} ماذا؟ عُدّي معي: أوّلًا: الفعل: {آمَنَ} إذًا هكذا: عقيدة: {مَنْ آمَنَ}:

{بِاللَّهِ}.

{وَالْيَوْمِ الْآخِرِ}.

{وَالْمَلَائِكَةِ}.

{وَالْكِتَابِ}.

{وَالنَّبِيِّينَ}.

فإذًا هكذا العقيدة؛ الّتي هي: أركان الإيمان. وإذَا قلت: (أين الإيمان بالقضاء والقدر؟) نقول: الإيمان بالقضاء والقدر من الإيمان بالله، كما قال الإمام أحمد لمَّا سُئل عن القدر؟ قال: (القدر قدرة الله)[١] فالإيمان بالقضاء والقدر، جزء من الإيمان بالله.

هكذا إذًا جاءت أركان الإيمان السّتّة، وطبعًا أكيد أنّكم لاحظتم: أنّ ركن الإيمان بالله، جاء معه ركن الإيمان باليوم الآخر، لماذا؟ هذا يشبه كلّ النّصوص الّتي أتت: (مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ...) [٢]؛ لأنَّ هذان هما الطّرفان: تؤمن في الدّنيا بالله، وتؤمن بلقاء الله؛ ستستقم. على ماذا؟

(١) منهاج السنة النبوية لابن تيمية (٣/ ٢٥٤)، وشفاء العليل لابن القيم (١/ ٢٨).
(٢) أخرجه البخاري (٥٦٩٦).

- ستستقيم على ما أتى به النّبيّون.
- ستستقيم على ما جاء به الرّسل.
- ستستقيم على ما نزلت به الملائكة.

(٢) بيان مفهوم: أنّه بعد العقيدة تأتي كلُّ الشّرائع مبنيَّة على هذه الثّلاث قِيَمٍ العمليّة الأساسيّة: أن تُحْسِن في عبادة الله ومع الخلق، وأن تَفِي بالعهد، وأن تصبر على أداء ذلك كلّه

انتهينا الآن من العقائد. سنبدأ بالشّرائع الآن؛ {وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ}: عدّي الأصناف؟ {ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ}:

- {وَآتَى الْمَالَ}: هذه واحدة من الشّرائع.
- والثّانية: {وَأَقَامَ الصَّلَاةَ} ومعها: {وَآتَى الزَّكَاةَ}.
- ثمَّ: {وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا}.
- ثمَّ: {وَالصَّابِرِينَ} في الثّلاثة أحوال: {فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ}.

فصارت كم قِيمة عمليَّة؟ **انتهيت من العقيدة؛ العمل يعتمد على ثلاث قيَم أساسيّة:**

١. {وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ}.
٢. {وَأَقَامَ الصَّلَاةَ}.
٣. {وَآتَى الزَّكَاةَ}.

من: {وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ} إلى: {وَأَقَامَ الصَّلَاةَ}، وَ {وَآتَى الزَّكَاةَ}: ما هو اسم هذه القيمة؟ الإحسان. ثم بعد أن انتهينا من الإحسان، تأتي القيمة الثّانية: الوفاء: {وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ}. والثّالثة: الصّبر في الأحوال الثّلاثة.

مراجعة أقسام الشّخصيّات الأربعة

فإذًا آية البرّ هي الآية الأساسيّة؛ الّتي جمعت بين العقيدة، والعمل، وأَسَّسَت العمل على الثّلاث قِيَمٍ –الّتي اتّفقنا عليها– وهذه الثّلاث قِيَم ستبقى معنا طوال الحياة؛ كلَّما درست سورة البقرة؛ ستبقى معك، وكلّما تكلّمت عن الشّرائع؛ ستكون الشّرائع مبنيَّة على هذه الثّلاثة. كلّ الشّرائع مبنيَّة على هذه الثّلاث قِيَمٍ: أن تُحْسِن في عبادة الله ومع الخلق، وأن تَفِي بالعهد، وأن تصبر على أداء ذلك كلّه.

ولذلك؛ فإنّنا بدأنا أوّل شيء بالصّبر؛ **هذا أسلوب بلاغي، اسمه: اللَّفّ والنّشر:**

⇐ **لفَّت الآيات: جاءت بالثّلاثة مختصرة.**

⇐ **نشرت: يعني: أبرزت هذه القِيَمَ خلال الآيات.**

الآن عدّوا معي فقط كيف جاء التّرتيب للآيات:

ما هو أوّل موضوع ناقشته الآيات تفصيلًا، آية البرّ ناقشت إجمالًا؟

نحن الآن، ألسنا لدينا ثلاثة: الإحسان، والوفاء، والصّبر. إذًا أوّل قيمة: الصّبر؛ لأنّها لفّ ونشر بالعكس. فإذًا هذا بالنّسبة لأوّل قيمة.

الآن واقعيًا، ما هو أوّل موضوع ناقشته الآية؟ أوّل شيء فعليًا: القصاص، الدّماء.

لماذا الدّماء أوّل شيء؟ هذا الشّرع جاء للعرب، وفي تاريخ العرب أشياء مشرّفة، **مثل:** حاتم الطّائي وكرمه، **مثل:** عنترة وشجاعته؛ هذه كلّها أشياء مشرّفة، لكن لأنَّها لم تكن هناك قِيَم واضحة تمامًا؛ فكان من الممكن أن توضع الشّجاعة في مكان غير صحيح. كانت الدّماء أكثر شيء في خطر؛ لأنّهم فيهم حميَّة، ويقاتلون، وليس هناك ميزان قِيَمِي يمنعهم من أنّهم يتعدّون.

جاءت الشّريعة، ماذا فعلت؟ [نصبت الميزان]؛ فصارت قيمة الصّبر هي أوّل شيء. فإذًا الصّبر على أيّ شيء؟ الصّبر على مسألة الدّماء، **يعني:** أنت يكون عندك حقّ في الدّماء؛ لا تتعدّاه في القصاص.

إذًا، هذه أوّل مسألة ناقشتها الآيات بالتّفصيل: القصاص، الدّم.

وبعد ذلك ناقشت: الوصيّة، الأموال، صارت الدّماء والأموال؛ الّتي هي المسائل المهمّة.

هكذا جاءت آيات القصاص، وبعد ذلك جاءت آيات الوصيّة. ما هو الأمر الثّالث الّذي ناقشته الآيات؟ الصّيام؛ مازلنا في الصّبر؛ الصّيام من الصّبر على الضّرّاء. بعد الصّيام -بالإجمال- ماذا جاءنا؟ {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ} بدأ الكلام عن: {الْأَهِلَّةِ} الّذي هو مدخل الحجّ، وفي ثناياه أتى الكلام عن القتال، وبعد ذلك عاد السّياق للحجّ. لماذا أتى القتال قبل الحجّ؟ لتأمين طريق الحجّ. لا تنسوا أنّ النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- ذهب إلى مكّة لأجل أن يعتَمِر؛ وبعد ذلك ماذا فعل فيه أهل مكّة؟ ردُّوه.

ثمّ السّنة الّتي بعدها، أتت عمرة القضيّة، أي: قضاها النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- في ذي القعدة الّتي بعدها، فكانوا هم المسيطرون، هل يسمحون له أم لا يسمحون؟ وكان حول الكعبة هناك أصنام؛ فلو حجّ النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- على تلك الحال؛ سيكون هناك خطران:

الخطر الأوّل: خطر أنّهم لا يسمحون له! يمكن أن يؤذوه!

الخطر الثّاني والمهمّ: أن يكون حاجّا، والكعبة لازالت على حالها من جهة الأصنام!

ماذا سيفعل الجهاد الآن؟ سيذهبون للجهاد، ونتيجة الجهاد؛ سيفتحون مكّة؛ فماذا سيكون؟

الشّأن الأوّل: أُمِّنَ الطّريق؛ لم يعد لهم سيطرة عليه.

الشّأن الثّاني: والبيت طُهِّر.

نحن كنّا سألنا: ما السّبب في أن أتى الكلام عن الجهاد مقدّمة للحجّ؟

الجهاد ما هي الغاية منه في هذا الموطن؟ تأمين الطّريق وتطهير البيت.

- حين تقولين: (**تأمين الطّريق**) تتذكّرين منعهم للرّسول -صلّى الله عليه وسلّم- من العمرة.
- حين تقولين: (**تطهير البيت**) تتذكّرين الأصنام. لمّا فتح النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- مكّة؛ أوّل ما ابتدأ بتطهير البيت من الأصنام.

ولذَا فإنّ النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- ما حجَّ مباشرة بعد الفتح؛ وإنّما:

-أرسل أبا بكر وعليّ رضي الله عنهما.

-ونزلت سورة براءة.

-وطُهِّرَ البيت.

-وأعلنوا بين القبائل أنّه لا يحجّ البيت عريانًا، ولا مشركًا، ومنعوهم.

ثمّ بعد ذلك ذهب النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- لإظهار شعائر التّوحيد؛ بحيث لا يكون هناك حَاجٌّ في السّنة الّتي حَجَّ فيها النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- إلّا المؤمنون؛ فأيّ أحد غير المؤمنين؛ لا يحجّ؛ ولذلك نُقلت شعائر الحجّ. وهذه من الحكمة العظيمة في الشّريعة.

هكذا -الحمد لله- الأمر واضح، فأوّلًا دخل الجهاد مع الحجّ، وبعد ذلك جاء الحجّ بالتّفصيل؛ إلى أن وصلنا إلى أربع شخصيّات لا تنسوهم لأنّهم مهمّين جدًّا:

١. {فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ} ماذا؟ {رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ}[1] فهذا ما همُّه إلّا الدّنيا! والآخرة ليست في خاطره!

ونحن كنّا قد تناقشنا، وتفهّمنا، وعرفنا خطر هذا، **وعرفنا أنّ المؤمن لا يمكن أن تكون هذه حالته**: أنّه يعيش يومه، وليلته ولا تمرّ الآخرة على خاطره! رضا ربّه لا يمرّ على خاطره! فقط يأكل، ويشرب، وينام، ويفكّر: (ماذا يريد أن يأكل؟! ماذا يريد أن يشرب؟! متى يريد أن ينام؟! ماذا يريد أن يلبس؟! أين سيخرج في آخر الأسبوع؟! ماذا يريد أن يفعل؟!) هكذا يكون الإيمان لم يدخل القلب!

{فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا}، {رَبَّنَآ}: هذا جميل؛ مادام أنّه يدعو فهذا طيّب منه، لكن المشكلة: أنّه عندما لا يكون له همٌّ؛ إلّا {الدُّنْيَا}! لا يريد من ربّه إلّا {الدُّنْيَا}! يكون هذا دليل على نقص إيمانه، إلى أن يصل أنّه يصبح ليس عنده إيمان! لأجل ذلك الله -عزّ وجلّ- قال: {وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ} ليس له نصيب في الآخرة؛ مادام طوال الوقت هو دنيوي؛ ستكون النّتيجة: أنّه لن يعتني بالآخرة، ومن ثَمَّ لن يكون له نصيب في الآخرة!

وهذا هو تحديدًا: الفكر العلماني. عندما تريدين أن تعرّفي الفكر العلماني؛ ماذا تقولين؟ ما هو الفكر العلماني بناءً على هذه الآية؟ هو فكر من يقول: {آتِنَا فِي الدُّنْيَا} وَ {وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ}.

هل يمنع أن يكون مُصلّيًا، ويقول: {رَبَّنَآ}؟ هل يمنع؟ لا يمنع! ممكن أن يكون مُصلّيًا لكنّه علمانيّ، أي: دنيويّ!

(١) سورة البقرة: ٢٠٠.

ماذا تعني العلمانيّة؟ الدّنيويّة. بمعنى أنّ الّذي يشغله هو: {الدُّنْيَا}! والآخرة ليست في خاطره.

قد يأتي أحدهم، ويقول: (أنا أعيش في الدّنيا، ألن أهتمّ بها؟!)

أجبه من الآية الّتي بعدها، في وصف الشخص الثاني ماذا ستقول له؟ لا مانع أن نقول:

٢. {رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ} لو نريد أن نقسّم اهتماماتنا، سنقسّمها ثلاث أقسام: ثلث للدّنيا، وثلثان للآخرة. بناء على الدّعاء، أليس الدّعاء فيه ثلاث طلبات؟ ما هي هذه الثّلاث طلبات:

{رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً}، {وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً}، {وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ}.

إذًا لو جاء أحد وقال لك: (من الطّبيعي أن أكون دنيويًا؛ ألست أعيش في الدّنيا؟!) ماذا تقولين له؟ نقول له: (عش في الدّنيا، ليست هناك مشكلة! **لكنّ الدّنيا ما وُجدت لتُعْمَر؛ وإنّما وُجِدت لتُعْبَر! وليس هناك مانع أن تجعلها مَعْبَرًا جيّدًا**)، لكن كيف تكون حالتك؟ تقول: {آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً} ليس هناك مشكلة، وبعد ذلك {وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً}، {وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ}.

إذًا الآيات بيّنت لك تحديدًا من هو الدّنيوي؟ الّذي يُسمّونه "العلماني". وتعريف العلمانيّة هو: الدّنيويّة؛ بحيث لا يكون الإنسان في شاشته شيئًا مهمًّا؛ إلّا الدّنيا.

طيّب، الدّنيا مهمّة لأجل الآخرة كذلك! نعم، صحيح؛ تكون مهمّة؛ لو كانت مَعبرًا للآخرة، لكن لو كانت هي الغاية، والمقصد، وحتّى الدّعاء ما عندي إلّا لأجل الدّنيا! ماذا تكون النّتيجة؟ الدّنيويّة! ولا مانع أن يكون الدّنيوي يصلّي، ويدعو، لكنه يريد الدّنيا.

ألاَ أطلب الدّنيا في الدّعاء؟! اطلبيها! لكن لا تطلبيها، ولا تطلبي الآخرة!

وكلّما كبرت، وفهمت؛ ستعرفين أنَّ كلّ الّذي طلبته في الدّنيا، مهما بلغك، ووصلك؛ سيمرّ كمرِّ السّحاب، وأنَّك تمسكين بهذه اللّذّات كأنّك تريدين أن تُمسكي بالظِّلّ؛ الّذي لا يُمكن أن يُمسك به، وبعد ذلك تمرّ ولا تستقرّ! بينما الّذي سيبقى، ويظلّ محفوظًا؛ هو الّذي تأخذه من هذه الدّنيا إلى الآخرة. **لكن هذا لا يعني**: أنّك لا تعيش الدّنيا؛ وإنّما **أنت لابدّ أن تعيش الدّنيا؛ كيف ستأخذ للآخرة بدون أن تعيش الدّنيا؟! لكن تعيشها بطريقة ترعى فيها روحك، وليس بدنك!**

فبدنك هو من ترعاه من أجل روحك، وليست روحك المسكينة هي الّتي ترعى بدنك! وأنت نائم على الفراش، ويؤذّن الفجر، وتُقام الصّلاة، وتفتح عينيك، وتقول: (خُذْ غفوة! خُذْ غفوة! خُذْ غفوة!) إلى أن تطلع الشّمس!

طوال الأسبوع، والنّاس يلحّون عليك لأجل أن تستيقظ! ونأتي كذلك الجمعة والسّبت ونكمل النّاقص! ونجد أنفسنا لم نفتح أعيننا إلا بعد أن طلع النّور! ونقول: (مادام طلع النّور، دعونا نكمل النوم الى الصّباح!)

هذا الكلام معناه: أنَّ الرّوح، والقلب؛ اللّذان هما أصل رفعتك: خادمان للجسد؛ يعني الملك هو الجسد، يأمر وينهى: (نم!) تنام! (خُذ غفوة) تأخُذ غفوة! ليس هناك قوّة للرّوح. **الدّنيا عليك أن تقضيها لأجل أن تقوى روحك على بدنك؛ وليس بدنك هو الّذي يقوى على روحك!**

ولذَا فإنّ الإنسان لا يسمو؛ إلّا إذَا شخّص هذا الصّراع في قلبه؛ لأنّه كلّما دخل في مسألة: (تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا) حين يأتيك أيّ موقف؛ كأنَّه هذا: عود الفتنة! تدخل مباشرة في صراع: صوت يأتيك من اليمين، وصوت يأتيك من الشّمال!:

صوت من اليمين: يقدّس روحك، ويرفعها، ويجعلها هي: المَلِك.

وصوت من الشّمال: يجعل جسدك هو المَلِك.

واعتبر بموقفك حين تقوم لصلاة الفجر! أوّل ما تفتح عينيك مباشرة يبدأ الصّراع: من الشّمال يقول لك: (خُذ غفوة)، **ومن اليمين يقول لك: (قم!، قم! الّذي يرضي الله الآن أن تقوم).**

فإذا كنت طوال الوقت تغذّي شمالك! طوال الوقت تخدم جسدك! كيف سيكون هذا اليمين؟ ضعيفًا! مجرّد ما يقول الجسد: (نَم! خُذ غفوة!) مباشرة: (سمعنا وأطعنا!)، وتكمل نومك!

لكن لو كانت الرّوح مقدّسة! هي الّتي نُفِخت في آدم؛ فأسجد الله له الملائكة؛ بعدما نُفخ فيه الرّوح، بعدما قُدِّسَ بالرّوح، إذَا كانت هذه المُقَدَّسَة هي الآمرة والنّاهية؛ تقول: (قُمْ)؛ فالبدن ماذا يقول؟: (سمعًا! وطاعةً!).

لكن حين يكون الإنسان علمانيّا، والعلماني ليس من المفروض أن يكون كاتبًا، أو يحارب الإسلام! لا! ولكن يكفي أنّه طوال الوقت ما همّه إلّا الدّنيا! حين يكون بهذه الحالة، ما الّذي يحصل؟ الّذي يخدم البدن يقبله، إلى أن يصل في النهاية أن ينعدم صوت اليمين! ولا يكون هناك صوت إلّا من الشّمال!

ولذا انظروا هذا الحديث: (تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ، حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ، عَلَى أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ)[1] واسمعوا هذا الكلام جيّدا: ماذا يعني (فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ)؟ أنتم أكيد مرّ عليكم كبارًا في السّنّ، يقومون لصلاة الفجر، ويقومون للقيام؛ حتّى بدون أيّ ساعة ويصومون مع تقدّم سنّهم.

دعونا نأتي بصلاة القيام مثالًا: هؤلاء الآن ماذا فعلوا؟ عُرضت عليهم الفتن؛ الفتن الآن: النّوم. عُرضت عليهم المرّة الأولى؛ فدفعوها، والمرّة الثّانية؛ فدفعوها، والمرّة الثّالثة دفعوها. وكلّما دفعوها تُنْكَتُ في قلوبهم (نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ)، (نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ)، (نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ)، إلى أن ينتهي الاختبار!

انتهى الاختبار! بقوا خمس، أو عشر سنوات وهم يَدفعون، ويدفعون، وحين يُهزمون؛ يستغفرون، ويتوبون، ويعودون، ويعودون، إلى أن يُقال لهم: (هذا الموضوع انتهى، ستوقظكم الملائكة!) وهكذا ينتهي الأمر: (نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاء)، (بَيْضَاء)، (بَيْضَاء)، (بَيْضَاء)، (بَيْضَاء)، حتّى تنقلب القلوب على: (أبيض مثل الصفا لا تضرّه فتنة) في هذا الموضوع.

في هذا الموضوع لن تضرّه فتنة؛ فلن يعود النّوم يغلبه أبدًا! ولذلك فإنّك تجدينها في عمر الـ ٥٠، ٦٠، ٧٠ سنة؛ وتقوم بدون ساعة، ولا أيّ شيء؛ فقد انتهت الفتنة، وانتهى اختبارها في هذا الموضوع!

لكنّها كانت تفهم الصّراع؛ المشكلة أنّنا حين لا نفهم الصّراع؛ فإنّنا لا نسمع الصّوتين جيّدًا، ولا نعرف أن صوت الرّوح قد يختفي، ويضعف، يضعف؛ إلى أن لا يكون هنالك إلّا الهوى! ويكون بالتّالي هكذا: {فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ} فلا يسمع حتّى صوت الحقّ في نفسه!

المهمّ: لابدّ أن نحافظ على أنفسنا، وأوّل ما نجد أنفسنا تأمرنا، فقط بالهوى، والشّهوة، ونحن نقول: (سمعًا! وطاعةً!) **لابدّ أن ننقذ أنفسنا، قال تعالى: {وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا}[2] لابدّ أن تكون هذه هي الغاية! وهذه الغاية يسيرة على من يسّرها الله**

(١) أخرجه مسلم (٢٣٩).

(٢) سورة الشّمس: ٧_١٠.

عليه؛ ولذلك قال رسول الله: (اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا)[١] اسألي ربَّنا أن يأتيها (تَقْوَاهَا)، اطلبي من ربِّنا! والله يفتح الأبواب، الله يفتح لكم ولنا الأبواب جميعًا.

بذلك نحن انتهينا من الشّخصيّة الأولى، ومن الشّخصيّة الثّانية. جاءتنا الشّخصيّتان الأخيرتان:

٣. {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ}

وكنّا قد فهمنا بأنّ هذا عنده مرض العلو، ويريد أن يكون أحسن، ويريد أن يُعجب النّاس به، وقلنا أنّ هذا يُسمّى اليوم: باضطراب النّرجسيَّة، **وهو في الحقيقة مرض العلو، والآية في سورة البقرة، تصف لك حياته بالضّبط!** كيف أنّه يريد فقط أن يُعجب النّاس به! وهو في النّهاية لو عاشرته قليلًا فإنّك لن تُطيقه! ولن تتحمّله!

وأنا أريد أن أنبّهكم: أنَّ هذا المرض له مقدّماته من الشّباب، يعني: لا تعتقد أنّك بعيد عن مثل هذا المرض؛ لمجرّد أنّك لم تجد نفسك صاحب سلطة. لا! لا! وإنّما الإنسان من نشأته ممكن أن يكون فيه بوادر لهذا المرض: أنّه دائمًا يُريد أن يكون النّاس معجبون به، ودائمًا يُريد أن يكون فوق النّاس، ودائمًا يشعر أنّه أحسن من النّاس، ودائمًا يحاول أن يُظهر نفسه؛ فقط لأجل أن تُلتفت إليه الأبصار، وهو خاوٍ، خاوٍ من الدّاخل! **ولذلك فإنّكم تجدون بأنّه: لابدّ أن يكون كثير الكلام!**

فأنتم ضعوا لأنفسكم ذلك المقياس! وانظروا: كيف هو موقفكم من كثرة الكلام؟ وانظروا: هل الكلام فارغ؟ أم هو مُمتلئ؟ وانظروا: كيف أنتم تحاولون أن تُلْفِتُوا نظر النّاس لكم؟ وانظري: لمّا تأتي عندك مشاعر أنّك تريدين أن تكوني مشهورةً! كلّ هذا يحتاج إلى تفكير لتتأكّد: أنّك لست مضطرب، ولم تصل إلى حالة الاضطراب!

فهو كثير الكلام عن نفسه، لا يوجد موضوع إلّا ويتكلّم فيه، فاهم في كلّ شيء، كلّ شيء مسكين يفهمه! لا يوجد شيء إلّا ويفهمه! -هكذا بهذه الشّخصيّة!- وابدئي أنت الكلام! فلابدّ أن يُقاطعك! وحتّى إن بقيت في موضوعك، قصّتك، حكايتك، فإنّه كذلك يتدخّل فيك! **يعني:** (فقط أنا! أنا فقط!) هو مسكين! نعم، مسكين!

والمشكلة أنّه في المجامع العامّة حين تأتي هذه الشّخصيّات؛ فإنّها تكون مبغوضة جدًّا من الجميع! لكن المواجهة صعبة! فالنّاس لا يقدرون على مُواجهته بمثل هذا! ويكون أهمُّ سَبَبٍ في أنّه يُبغَضْ هو: أنَّه يرى

(١) أخرجه مسلم (٥٠٢٨).

نفسه أحسن منهم! ويُظهر هذا في أنّه يقاطعكِ كلّما بدأت أنت بالكلام! ودعي الثّاني يبدأ بالكلام فيقوم هو بمُقاطعته! فأكثر مشكلته في كثرة الكلام!

على كلّ حال، هنا وصلنا، وأخذنا الشّخصيّة الرّابعة.

فإذًا انظري: الشّخصيّة الرّابعة، مقابل الشّخصيّة الثّالثة:

٤. {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ}[١] **وهذه الشّخصيّة لابدّ أن تأسِركم؛ دائما تفكّرون فيها: كيف هذا الشّخص الّذي {يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ}؟ يبيع نفسه {ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ}! لا أن يكون يريد أن يظهر، أو يريد أن يكون، والنّاس يمدحونه، لا! لا! ليس كذلك!**

وهذه الشّخصيّة الرّابعة، حقّها علينا أن نناقشها كثيرًا، ونظهرها، ونأتي عليها بأمثلة، لكن ربّنا يُعطينا ونفرد هذه الأربع شخصيّات بالنّقاش، وهما الاثنان اللّذان وردا في أوّل النّقاش، والاثنان اللّذان وردا في نهاية الحجّ.

الحمد لله بذلك نكون انتهينا من المراجعة.

هيّا بسم الله، اقرئي من الآية (٢٠٨):

مدارسة الآيات (٢٠٨_٢١٠)

يقول الله عزّ وجلّ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (٢٠٨) فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٠٩) هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ}[٢].

اتّفقنا: أنّه لمّا حذّرنا الله -عزّ وجلّ- من الشّخصيّة الماضية؛ الّتي هي: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا}، وأخبر عن هذا الّذي: {يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ} خاطب الله المؤمنين أن

(١) سورة البقرة: ٢٠٧.

(٢) سورة البقرة: ٢٠٨ _ ٢١٠.

يدخلوا {فِي ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً} بمعنى: لا يأخذوا من الدّين الجزء الّذي يناسبهم، ويتركوا غيره؛ بل يدخلون {فِي ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً}.

ثمّ أتى النّهي عن اتّباع خطوات الشّيطان: {وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ} إذَا كان: {عَدُوٌّ مُّبِينٌ} إذًا سيبذل الشّيطان قُصارى جهده لِيُرْدِيكم! فأنتم لابدّ أن تتّخذوه: {عَدُوٌّ} أي: **تتحرّزون، تحرُّز من يعرف عدوَّه.**

الآن الّذي يعرف عدوّه؛ سيكون حريصًا على أن يحذره؛ لكنَّ طاعته تسبّب الزّلل: {فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ} ما هو الزّلل؟ أنت تقولين: زلّة القدم. أي: انزلقت؛ إذًا: {زَلَلْتُمْ} بمعنى: انزلقتم في طريق الشّيطان، إذَا حصل منكم هذا، بعدما تبيَّنت الآيات؛ ولم تعُودوا! ولم تتوبوا! ولم تخافوا! ماذا؟ {فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} وقد مرّت معنا هذه الآية.

الآن: {فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} تهديد وفيها أمر: أن تعلموا عن الله، عزَّتُه، وحكمته؛ لأجل أن تحذروا من عدوّكم، أي: لا تُطَاوِعُوا عدّوكم؛ اعلموا أنّ ربّكم {عَزِيزٌ حَكِيمٌ}:

- {عَزِيزٌ}: تهديد، أي أنّه يقهركم، وأنّه -سبحانه وتعالى- يُنزل عليكم من غضبه ما يسبّب لكم العودة، أو يسبّب لكم الهلاك. **يعني**: {فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}، {عَزِيزٌ}: **يعني**: أمره نافذ؛ يقهركم.
- {حَكِيمٌ}: في تعجيل هذا، أو تأجيله.

ويأتي: {هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا} **هذا أيضًا فيه من الوعيد الشّديد، ما تنخلع منه القلوب**. الكلام لمن؟ لمن يتبعون خطوات الشّيطان، يُقال لهم: ماذا تنتظرون في كونكم متابعين لخطوات الشّيطان؟ ماذا تنتظرون؟ إلّا في نهاية الأمر؛ سيأتي الوقت الّذي تلقون فيه ربّكم.

هنا سنأتي إلى هذه الآية، ونؤسّس عقيدتنا في مسألة: النّزول للرّبّ سبحانه وتعالى:

إذًا ستكتبون الآن كلامًا واضحًا في العقيدة؛ الّذي هو قوله تعالى: {هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ}:

عقيدتنا في نزول الله:

الأمر الأوّل: الآية (٢١٠): دلّت على أنّ يوم القيامة، ينزل ربّنا للفصل بين العباد.

الأمر الثّاني: ويكون النّزول {فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ}.

الأمر الثّالث: ويسبق هذا نزول الملائكة (ملائكة كلّ سماءٍ).

الآية أتت في موطن التّهديد، من المُهَدَّد؟ {فَإِن زَلَلْتُم} بماذا؟ باتّباع الشّيطان. {هَلْ يَنظُرُونَ} من؟ المتّبعون لخطوات الشّيطان؛ إذًا هذا التّهديد للمتّبعين لخطوات الشّيطان. **يُهدَّدون بيوم الفصل، عندما ينزل ربُّنا للفصل بين الخلق.**

هذا مُجمل الآية. الآن، تفصيلها في عقيدتنا:

اقرئي الآية جملة، جملة:

{هَلْ يَنْظُرُونَ} هؤلاء المتّبعون لخطوات الشّيطان، هل ينتظرون؟ {أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ}: هكذا أثبتّ الإتيان، والمجيئ.

اقرئي الجملة الّتي بعدها:

{فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ} إذًا: {يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ} بمعنى: أنّه سبحانه ينزل نزولًا لائقًا به، يوم الفصل {فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ} يعني: نُزوله -سبحانه وتعالى- سيكون: {فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ} كما يليق بجلاله.

{وَالْمَلَائِكَةُ} يعني: {وَالْمَلَائِكَةُ} أيضا تنزل؛ والحال كما ورد في بقيّة النّصوص، أنّ النّاس عندما يُجْمَعون في ذاك اليوم العظيم؛ من أن خلق الله آدم، إلى أن تقوم السّاعة، ومعهم الأنبياء، والمرسلون، فيجتمع الصّالح، والبرّ، والفاجر، وتُبسط الأرض؛ بحيث أنّها تَحْوِيهم جميعًا.

تنزل ملائكة السّماء الدّنيا أوّلًا، فتحيط بالخلق إحاطةً كاملة، ثمّ تنزل ملائكة السّماء الثّانية، فتحيط بالخلق إحاطةً كاملة، وهكذا، حتّى السّماء السّابعة؛ فيحيط بالخلق من الملائكة: سبعة أطواق، كلّ ملائكة سماء، يكونون محيطين بالخلق، في صفّ، أي: في دائرة؛ **ثمّ بعد هذا كلّه، ينزل ربّنا للفصل، والقضاء، بين الخلائق، نُزولًا يليق بجلاله؛** فتُنشر الدّواوين، وتُنصب الموازين، ويأتي موقف الرّسل؛ الّذي نعرفه من عند كونهم يطلبون الشّفاعة من الرّسول -صلّى الله عليه وسلّم- **يعني:** الخلق يطلبون من

الرّسل، والرّسل تنتقل بهم، إلى أن تصل إلى النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- فيأتي تحت العرش، ويسجد سجودًا طويلًا؛ حتّى يُقال له: (ارْفَعْ رَأْسَكَ ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ ، وَسَلْ تُعْطَ ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ)[١].

فالمقصد: أنّ هذه الآية من عقيدتنا: يعني: تفهمين أنّ الله يأتي يوم القيامة. يجيء -سبحانه وتعالى- مجيئًا يليق بجلاله {فِي ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ} فهمنا أنّه النّزول، {وَالْمَلَائِكَةُ} أيضا يحصل لهم النّزول- كما في بقيّة النّصوص- {وَقُضِيَ الْأَمْرُ} يعني: هذا وقت القضاء {وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ}.

وهذا باب مهمّ جدًا، ونحن ندرس: أن نقف عند النّصوص ونرى ماذا يعتقد أهل السّنّة والجماعة.

وهذه العقيدة الّتي أنت تحملينها بسلاسة، وسهولة، وخرجت، فتحت، عَيْنَيْكِ عليها، الحرب عليها من كلِّ مكان، فَكَوْن أنَّ ربنا متَّعَنا بها؛ لابدّ أن يكون شكرها بحملها لمن بعدنا.

وهذا الكلام يُقال للصّغار والكبار:

التّوحيد: سواء كان توحيد أسماء الله وصفاته، أو توحيد الألوهيّة والرّبوبيّة؛ هذا حقّ، حفظه الله عزّ وجلّ، ونقله إلينا؛ من حقّ هذا الحقّ علينا؛ أن نَنْقُله لمن وراءنا، صافيًا، ظاهرًا.

وهذا التّوحيد: الذي قال الله فيه لابن آدم: (يا ابنَ آدمَ إنك لو أتيتَني بقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً)[٢] **فهذا سبب النّجاة.**

وهذا التّوحيد؛ قبل ١٢٠ عام، كان في هذه الدّيار ضعيفًا جدًّا، إلى درجة أنّه كان يُعبد غير الله! إلى درجة أنّهم كانوا يذهبون إلى الشّجرة -أقصد الدّيار السّعوديّة كلّها- فالمرأة الّتي تحتاج إلى طفل، لا تلد؛ تذهب إلى الشّجرة، وتقول: (يا فحل الفحول، أعطني ولدًا قبل الحُول!)! تذهب إلى الكهوف ويعتقدون أنَّ هذا الكهف مدفون فيه وليٌّ صالح يطلبونه! أين كان التّوحيد؟! تصوّري في هذا الزّمن الّذي كانت فيه الأرض بهذه الطّريقة!

كان التّوحيد في الهند! وكانت الهند هي الدّولة السَّلَفِيَّة، بل فيها المطابع الهنديّة المشهورة، أوّل مطابع طبعت كُتُبَ الحَدِيث. ولذلك كتاب **"كنز العمّال"** هذا كتاب مشهور للمتّقي الهندي، من أكبر الكتب الّتي جمعت عمل اليوم والليلة، اسمه: **"كنز العمّال"** يعني: أعمال العباد.

---

(١) أخرجه البخاري (٧١١٢).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٦١٧).

الشّاهد: أنّ الهند كانت هي دولة التّوحيد؛ دولة الدّعوة السَّلَفِيَّة. اليوم الهند فيها ٣٦٥ فرقة، وديانة، على قدر أيام السَّنة من عبادة البقر، إلى عبادة الفئران؛ ما تركوا شيئًا!!

فالّذي يعتقد أنَّه: لأنَّه في بلد فيها توحيد؛ فإنّ التّوحيد سيبقى عليه، وعلى الجيل الّذي بعده؛ فليقرأ التّاريخ القريب، وليس البعيد، ويرى كيف ترحَّل التّوحيد من تلك الدّيار، وأقرَّه الله هذه الدّيار، **فإذا لم تُحافظ على التّوحيد! ولم تهتمّ به! ولم تنقله لمن بعدك! سيرحل كما رحل عن غيرك! فأنت لست مقدّسًا؛ لأجل أن يبقى التّوحيد هنا!**

وأنتم لو تقرؤوا كتاب "مرآة الحرمين"[١] وهو موجود هنا في المتجر؛ هذا الكتاب يصف الحجّ قبل تقريبًا ١٠٠ عام تصدموا! بسبب أنّه كيف كان الحجّ فيه من المعاصي والذنوب الّتي تُقام، بل فيه كذلك من الشّرك، ما يدلُّك على أنَّ النّاس كانوا في جهل تامّ! وصاحب الكتاب –الّذي فيه من التّوحيد– كان يُشير لبعض المسائل بالانتقاد؛ الّتي تتّصل بالشّرك! لكن بعضه الآخر كان يصفه وصفًا عاديّا؛ كأنَّه ليس مُدْرِكًا أنّ هذا شرك أو أنّ هذا ذنب! وهذا –طبعًا– بسبب الجهل!

لكن حين تفكّر في هذا؛ تقول: (من الّذي يجعلنا نجلس ونشعر بالهدوء؟! من أين بَرَد القلب هذا: أنَّه ستبقى الأمور كما هي في التّوحيد؟!)!

فكما أتانا التّوحيد صافيًا؛ لابدّ أن ننقله صافيًا؛ ويكون هذا: بضبط كلّ مسألة تتّصل بالتّوحيد [ضبطًا واضحًا]، يعني: (الشّرك الأكبر، الشّرك الأصغر، الشّرك الخفي) كلّها مسائل؛ فلا تأتي تقول: (الحمد لله المجتمع خالٍ من الشّرك!) فإنَّ أوَّلِ ما يضعف الإيمان؛ يخرج الشّرك بأشكال، وألوان؛ إلى أن يصل النّاس إلى أن يعبدوا غير الله! وينكبّوا على قبر، أو معبود من غير الله؛ يسألونه، ويرجونه!

فالمقصد: أنَّ عقيدة أهل السّنّة والجماعة؛ لابدّ: أن يصير في القلب حرارة تجاهها، ولابدّ: أن تعرف [وظيفتك] وأوَّل الوظيفة:

١. **أن تسأل الله –عزّ وجلّ– أن يحفظ علينا هذه النّعمة.**

٢. **ثمّ الاجتهاد في العلم والتّعلُّم:** لابدّ أن تجتهد في العلم، والتّعلُّم، اترك عنك هذه الطّمأنينة الّتي ليست في مكانها؛ واعلم أنَّك لو لم تتمسَّك بها جيّدًا؛ ستأتي الرّياح تعصف بالنَّاس حتّى يتحوَّل الّذي كان معلومًا بالضّرورة؛ إلى أن يكون مجهولًا تمامًا!

(١) رابط تحميل الكتاب من موقع المكتبة الوقفيّة.

وهذا ليس عجيبًا لأنَّ النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- وصف لنا أنّه: (يُدْرَسُ الإسلامُ، كما يُدْرَسُ وشْيُ الثوبِ، حتى لا يُدْرَى ما صيامٌ؟ ولا صلاةٌ ولا نُسُكٌ ولا صدَقَةٌ، ويُسْرَى على كتابِ اللهِ في ليلةٍ، فلا يبقَى في الأرضِ منه آيَةٌ، وتبقَى طوائفٌ من الناسِ الشيخُ الكبيرُ والعجوزُ يقولونَ: أدركْنا آباءَنا على هذِهِ الكلِمَةِ، يقولونَ: لا إلَهَ إلَّا اللهُ، فنحنُ نقولُها)[1] فقط: آباؤهم كانوا يقولون: لا إله إلّا الله، يعني: سار الأمر؛ حتّى اختفت معالم الدّين تمامًا؛ فما بقي منها إلّا اسم الله!

نسأل الله أن يعيذنا نحن وذريّاتنا من هذا الزّمان، لكن الجهد عليكم أنتم صغارًا أو كبارًا، المسؤوليَّة عليكم، لا تهربوا منها! فهذه المسؤوليَّة شرف، أسأل الله أن يجعلنا ممّن نصر الدّين؛ وإنَّ الدِّين منصور بنا أو بغيرنا! لكن المشكلة: في أنّه يرحل ويذهب لغيرنا! تغيب شمسه عن أرضنا، وتشرق على غيرنا! ونحن نريدها أن تشرق على غيرنا، لكن لا نريدها أن تغرب من عندنا!

وهذا تلاحظينه: حتّى في مسألة الحجاب، فالدّول الّتي كانت سابقًا تأتي إلى الحرم وما كانت عليها مظاهر الحجاب! الآن يأتون وعليهم مظاهر الحجاب، والحجاب الشّرعي، وجماعتنا أصبحت تغيب عنهم المسألة! الله المستعان! إلى الله الشّكوى! إلى الله الشّكوى!

أنا أؤَكِّد عليكم: إنَّ هذه العقيدة "عقيدة أهل السّنّة والجماعة" نعمة عظيمة:

أوَّل شُكرها: تَبَنِّيها، والعناية بها، ونشرها، وبذل الجهد في خدمتها: لا تُدخل نفسك صراعًا في كلام فارغ! لا تشغل نفسك في شيء تافه! الله خصَّك بأن تكون من أهل السّنّة والجماعة، ابذل جهدك في ظهور هذه العقيدة عندك، وفي اظهارها لمن وراءك.

والله إنَّ هذا عمل مقدَّس، لكن شُغِل النّاس بالتّافه من الأمور -وأنا أتكلَّم عن المستقيمين الآن، ولا أتكلّم عن غير المستقيمين!- وكانت النّتيجة: أنّه من بين أيدينا يذهب هذا العلم، وتذهب هذه العقيدة، كما يذهب الماء من يد القابض عليه! فأنت كيف لك أن تطمئنّ؟! التّوحيد أسرع ذهابًا من ذهاب الماء في يد القابض عليه! نسأل الله أن يعيذنا من الشّرّ كلّه.

(١) صححه الألباني (٨٠٧٧).

مدارسة الآية (٢١١)

يقول الله عزّ وجلّ: {سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ}(١).

فإذًا هذا الشّاهد للكلام السّابق: أنّه إذَا أردت قومًا اتّبعوا {خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ}؛ فزالت عنهم نعمة الدّين: {سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ} فقط! هذا يكفيك لتعرف كيف تزول عنك النّعمة؟ فَهَا هُم بنو إسرائيل بعد أن فضّلهم الله على العالمين؛ أصبحوا هم المغضوب عليهم!

فأنت ليس لك عند الله نسب ولا شرف إلّا التّوحيد والإيمان! ليس لك نسب ولا شرف! {سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} لا يوجد نسب بينك وبين الله؛ إلّا: الإيمان! الإيمان! الإيمان! التّوحيد! وإذَا أردت مثالًا على ذلك خُذ: {بَنِي إِسْرَائِيلَ}!

وستأتي الآيات بعدها، تبيّن لنا ما السّبب الّذي أوصل بني إسرائيل؛ من أن يكونوا هم القوم الّذين فضّلهم الله على العالمين؛ ليكونوا هم المغضوب عليهم؟! وسيتبيّن بعدها:

مدارسة الآية (٢١٢)

يقول الله عزّ وجلّ: {زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ}(٢).

هذا جواب واضح؛ من الّذي نقل بني إسرائيل من أن يكونوا هم المفضّلين على العالمين؛ إلى أن يكونوا هم المغضوب عليهم؟ {زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا}؛ فمثلما اتّفقنا أوّلًا: أنّ {الْحَيَاةُ الدُّنْيَا} حبّها، والعيش من أجلها، وخدمتها، هو: الّذي يسبّب للإنسان أن يَصل إلى هذه الحالة.

(١) سورة البقرة: ٢١١.

(٢) سورة البقرة: ٢١٢.

وكلّ مرّة نقول: هذه {الْحَيَاةُ الدُّنْيَا}: هذه حالتها! فإنّنا نقول: ليس مطلوبًا منك أن لا تعيش الحياة؛ وإنّما عِش الحياة كَمَعْبَرٍ للآخرة، وَقُل: {رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً} وَقُل: {وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ}.

انظروا الآن: من كثرة أنّ {الدُّنْيَا} مهمَّة عند هؤلاء! جاءت كذلك خطوة أخطر من مجرّد أن تكون {الدُّنْيَا} مزيّنة عندهم. أخبروني من الآية؟ {زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا} وماذا؟ {وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا} لابدّ أن يفعلوا ذلك! لابدّ أن: {يَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا} لأجل أن يطمئنُّوا داخل أنفسهم، ويُخْرِجوا مرضهم على النّاس: أنَّهم أعلى منهم! {وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا} فَيَهزُّوا ثقة الّذين آمنوا! {وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا} فَيُشبعوا غيظهم من إيمان المؤمنين! وأيضًا يجدون أشخاصًا بسبب هذه السّخرية؛ يخرجونهم من الطّريق! يخرجونهم من الإيمان!

والله –عزّ وجلّ– يقول: {وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ}.

مدارسة الآيات (٢١٣_٢١٥)

يقول الله عزّ وجلّ: {كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٢١٣) أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ}[1].

نأتي إلى الآية (٢١٣) ونرى **علاقتها بالسّابق:**

لمَّا بيّن –سبحانه وتعالى– في قوله: {زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا} أنَّ سبب الكفر، هو: حبُّ الدّنيا، بيّن أنَّ هذه الحالة كانت من أوَّلِ الزّمان؛ فقد كان النَّاس أمَّةً واحدةً قائمةً على الحقّ؛ ثمَّ بَغى بعضهم على بعض، وتَحَاسَدُوا طلبًا للدّنيا! واعْتَبِرْ في ذلك بالإخوة المجتمعين؛ ثمَّ يُفَرِّقُهم حُبُّ الدّنيا، والتّحاسد!

(١) سورة البقرة: ٢١٣_٢١٤.

هذا الكلام، سنراه عند نظرنا للآيتين، الآية (٢١٢): {زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا}: هذه حالة، ومن بعد ذلك هم: {يَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا} سنترك هذا.

المهمّ فهمنا أنّه: {زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا} هذه الحالة من أوّل الزّمان موجودة {كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً} ما بهم؟ مجتمعين على التّوحيد، على الحقّ. ثمّ ماذا حصل لهم، بناء على بداية الآية السّابقة؟ كانوا مجتمعين، ثمّ تفرّقوا بسبب حبّ الدّنيا، وتحاسدوا بسبب حبّ الدّنيا! أين ظهر هذا؟ سنرى:

{فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ} يحكم بينهم في ماذا؟ {فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ} ما سبب الاختلاف؟ {وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ} أوتوا الكتاب {مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ} بسبب ماذا؟ {بَغْيًا بَيْنَهُمْ} يعني هم يعرفون الحقّ من الباطل، لكن أين مشكلتهم؟ البغي، الحسد، حبّ الدّنيا!

واعتبر في هذا، بأيّ عائلة مرَّت تجربتها عليك؛ تكون عائلة مجتمعة، يحبّ بعضهم بعضًا، وبعد ذلك مات والدهم، وجاءهم إرث المفترض أنّهم يتقاسمونه، ويظلّون طيّبين كما هم!

تحصل بينهم شحناء، وبعد ذلك يتخاصمون على المال، وما يشتري بعضهم بعضًا! ما يشترون صلة الرّحم! لا! وإنّما تهمُّهم الدّنيا أكثر! فماذا تكون النّتيجة؟ بعدما كانت عائلة، تحبّ بعضها، مجتمعة، كيف تصير؟ مُتباغضة! مُتفرّقة! إذًا البغي لابدّ أن يأتي بعده كنتيجة: الافتراق! **بمعنى**: أنّ حبّ الدّنيا يجعل الإنسان؛ حتّى لو كان يرى الحقّ أمام عينيه، ماذا يفعل؟ بسبب حبّ الدّنيا، والبغي؛ يتعدّى على الحقّ!

ألا يوجد من يهتدي؟ بلى: {فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}.

نأتي الآن إلى قوله تعالى: {أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ}: هم الآن فيما بينهم، أليس هناك بغي، وتحاسد، وحبّ للدّنيا، وصراع عليها؟! وهناك فريق، ما حاله؟ آمن؛ وهذا هو الّذي اهتدى.

هذا الّذي آمن واهتدى؛ لابدّ أن يحصل له ما يحصل من الصّراعات مع القوم الّذين بغوا؛ لابدّ أن يحصل هناك صراع!

دعونا نقول: ما علاقة هذه الآية بما قبلها؟ يعني: الآية (٢١٤):

انقسم النّاس إلى مهتدٍ، وإلى محبٍّ للدّنيا. ومحبّ الدّنيا لا يترك أهل الهداية؛ فيواجه أهل الهداية الشّدائد في إقامة الحقّ، ويحتاجون الصبر؛ لبقائهم على الحقّ. وهذه سنَّةُ الله، ومعها نصر الله.

أي هي سُنَّة الله، أن تواجه المشاكل، لكن كن مطمئنًّا؛ مع هذه السُّنَّة؛ أنّه لابدّ أن تُواجه! ولابدّ أن يكون معك الحقّ، ويأتي من يحاربك بسبب هذا الحقّ! ويكون معك الحقّ، ويأتي من يُقاتلك على هذا الحقّ، ويُضَارِبُك عليه! لكن في النّهاية من الّذي ينتصر؟ لابدّ أن ينتصر أهل الحقّ.

ولذَا إذَا جاء أحد تصوّر: أنّه عندما نقول: (هؤلاء يحاربوننا! وهؤلاء يحاربوننا! وهؤلاء يكيدون لنا!) يقول: (وأنتم من تكونون! لأجل أن يكيدوا لكم؟!) نقول: (لا! هذه سنّة الله! أنّ أهل الحقّ يُسلّط عليهم أهل الباطل!) **ما هو المطلوب من أهل الحقّ؟ الصّبر.**

ولذلك يُقال: {أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ} يعني ينتهي الأمر، وتدخلون الجنّة، أنتم يا أيّها المهتدون {وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ} من أهل الهداية، ماذا حصل لهم؟ {مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ} أي أن هذه سُنّته، لكن مع ذلك النّصر قريب.

اتّفقنا هنا: يا صاحب الحقّ، يا من معك التّوحيد، والهداية؛ لابدّ أن تحافظ عليها، وإلّا فإنّ النّتيجة تكون: مبدّلًا لنعمة الله من بعد ما جاءتك البيّنات! ويكون حبُّ الدّنيا غَلَبَك! ومن ثمَّ يزول الدِّين من تحت يدك!

أنت معك الحقّ؛ إذًا لابدّ أن تعرف:

- **أنَّ هناك أحدا سَيُضَارِبُك على هذا الحقّ، ويُقاتلك!**
- **لكنَّ** {نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ}.

مدارسة الآيات (٢١٥_٢١٨)

يقول الله عزّ وجلّ: {يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ (٢١٥) كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ

(٢١٦) يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢١٧) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ}[١].

بسم الله، الآيات السّابقة –كما تبيّن لنا– كلّها تقول: اعتنِ بآخرتك، ولا تنشغل بدنياك!

وترتّب على ذلك: هذان الحكمان هنا، وهما: الإنفاق، والجهاد.

سنكتب: لمَّا وعظ الله أهل الإيمان؛ ببيان أنَّه يجب عليهم الإعراض عن طلب العاجلة، وأن يكونوا مشتغلين بطلب الآجلة؛ حثَّهم هنا: على بذل أموالهم، وأنفسهم؛ فعدنا إلى: الجهاد، وأضيف إليه: الجهاد بالمال.

أتت الآيات الآن:

- الآية (٢١٥) فيها الكلام عن الإنفاق، وهذا من أبواب الإعراض عن العاجلة، والإقبال على الآجلة، وتمهيد إلى: أنَّ الإنسان ينفق ماله في هذا، وفي الجهاد في سبيل الله.
- أتت الآية الّتي بعدها: {كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ}: كلّ هذا إشارة إلى أيّ شيء؟ إلى أنَّ شَرْعَ القتال، شَرْعٌ وإن كان فيه كراهية؛ لكن المصلحة فيه عظيمة.

سنعد من الآيات على الأقلّ ثلاث من المصالح العائدة من القتال؟ لأنّ ربّنا قال: {وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ}.

ستأتي التّفاصيل الآن: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ} والأكبر منه: {وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ} هذا دائر حول شأن القتال في الشّهر الحرام، وحول إِعَابَةِ [٢] أهل الشّرك على أهل الإسلام؛ أنَّهم أرادوا أن يقاتلوا في الشّهر الحرام. متى كانوا يريدون أن يقاتلوا في الشّهر الحرام؟ هذا كان في السّريَّة، سريّة: عبد الله ابن

(١) سورة البقرة: ٢١٥_٢١٨.

(٢) معجم المعاني الجامع _ أَعابَ: (فعل)، يُعيب، إعابةً، أعاب الشَّخصَ: عابَه؛ ذمَّه.

جحش، وقَتَلوا: عمرو بن الحضرميّ؛ فقالوا: (كيف تقتلونه في الشّهر الحرام؟) فقيل: أعظم من القتل في الشّهر الحرام {إِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ}، وَ {وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ}. {الْفِتْنَةُ} **الّتي هي [الشّرك] وتعريض النّاس للشّرك.**

المصلحة الأولى العائدة من القتال: مَنْع الفتنة، الّتي هي [الشّرك] منع النّاس أن يفتنوك في دينك. فالمسألة الأولى كيف تظهر؟ {وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ} منع أن يُقاتلوننا حتى يردّونا عن ديننا؛ فنحن نبدأ بأن نقاتلهم؛ لكيلا يردّونا عن ديننا.

المصلحة الثّانية العائدة من القتال: قال الله عزّ وجلّ: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} **أنَّ القتال سبب لرحمة الله.**

هؤلاء يرجون الرّحمة من قتالهم {وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} يغفر لهم ذنوبهم، ويرحمهم؛ لهذه الإرادة الّتي في نفوسهم.

المصلحة الثّالثة العائدة من القتال: سيكون القتال سببًا لإظهار عزّةِ أهل الإسلام؛ لأنَّ أهل الكفر لا يتقوّوا على الإسلام وعلى الكيد فيه إلّا إذا شَهِدُوا ضعفًا من أهل الإسلام.

سنتوقّف إلى هنا اليوم هنا –وإن شاء الله– المرّة القادمة نكمل الكلام.

جزاكم الله خيرًا

السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته

مدارسة سورة البقرة

"دارسة إجماليّة"

أ. أناهيد بنت عيد السميري

اللّقاء الثّامن عشر: الخميس ٢٣ جمادى الآخر ١٤٤٠ هـ

"تابع مدارسة المقصد الثّالث (١٦٣_٢٨٣)"

بسم الله الرّحمن الرّحيم

المقدّمة: مراجعة دلالة ترتيب الأحكام الدّائرة حول مسألة الصّبر بعد "آية البرّ" الآية الجامعة للقيم

السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على سيّدنا محمّد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

نبدأ مستعينين بالله؛ قد بدأنا في المقصد الثّالث.

والمقصد الثّالث هو: الأحكام الشّرعيّة؛ وترتّبت معنا الأحكام الشّرعيّة من وجهين:

الأمر الأوّل: أنَّ العقيدة تسبق الشّريعة.

الأمر الثّاني: ثمَّ أتينا إلى نفس الأحكام، ورأينا "آية البرّ" كأنَّها هي: "الآية الجامعة للقيم"؛ الّتي من المفترض على العبد أن يتعامل بها مع ربّه، ومع الخلق. وهي: الثّلاث قِيَمٍ المشهورة؛ الّتي تناقشنا فيها: "قيمة الصّبر، والإحسان، والوفاء".

ودخلنا في تفاصيل بعد ذلك، ورأينا كيف أنّ ترتيب الأحكام المذكورة في الآيات معتمدًا على أمور كثيرة منها:

الحكم الأوّل الدّائر حول مسألة الصّبر بعد "آية البرّ": القصاص:

أوّل حكم أتانا بعد "**آية البرّ**": **القصاص**، يمكن أن تنظري للمسألة من أيّ وجه فتقولي: (أهمّ شيء الدّماء)؛ فحفظ الدّماء مسألة عظيمة في الشّريعة؛ لذلك ابتُدئ بالكلام عنها؛ ولأجل ذلك يُجرَّم جدًّا مسألة: الاعتداء، والعنف، وأجْرَم منها وأكثر جرمًا: قتل النَّفس؛ لأنَّ الرّوح أقدس ما وَهب الله للخلق.

والشّيطان أكثر شيء يوسوس فيه بعد الشّرك قتل النّفس –مباشرةً– سواء أن يقتل الإنسان أحدًا، ويعتدي عليه، أو يقتل الإنسان نفسه.

الحكم الثّاني الدّائر حول مسألة الصّبر بعد "آية البرّ": الوصيّة:

بعد الدّماء، أتت مسألة الأموال؛ فأتت **الوصيّة**.

الحكم الثّالث الدّائر حول مسألة الصّبر بعد "آية البرّ": الصّيام:

بعد **الوصيّة** أتتنا **أحكام الصّيام**، وهي: الأحكام الدّائرة حول مسألة: **الصّبر**.

الحكم الرّابع الدّائر حول مسألة الصّبر بعد "آية البرّ": الحجّ:

الصّيام، الحجّ، **وهذا كلّه له طريقة معيّنة في الضّبط، يعني: وأنت تحفظين؛ لابدّ أن تعرفي أنّ هذا كلّه معتمد على مسألة الصّبر؛ الّتي كانت هي آخر ما ذُكر في الآيات السّابقة: "آية البرّ"، وهو الّذي ابتُدئ بالكلام عنه بعد ذلك.**

انتهينا من الحجّ ودخلنا في باب مناقشة أصناف النّاس؛ وهذا تابع للحجِّ، ليس منفصلًا؛ وإنّما في داخل مناقشة الحجّ نفسه.

ثمَّ بعد الحجّ، وبعد أصناف النّاس، أمرنا الله بعدها قال: {ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ} وهنا فيه جزء من المناقشة مهمّ جدّا لابدّ أن نكرّره على أنفسنا؛ هذا الجزء الوعظي، أي صحيح أنّ الآيات كلّها في الشّريعة، وفي الأحكام، لكنّها ما خلت أبدًا من الوعظ؛ وهذا الجزء الوعظي في الآيات، يعني: لأجل أن يحصل الاستسلام للشّريعة، وأنت تشعر أنّه لابدّ من الاستسلام للشّريعة، ظهر لنا ما المانع من الاستسلام للشّريعة: الشّيطان يزيّن {زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا}[1] ماذا يفعل الشّيطان لنا؟ بأيّ شيء يشوّشنا؟ بحبّ {الْحَيَاةُ الدُّنْيَا}! بالأمور المتّصلة بالحياة الدّنيا! ولذلك {كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً}[2] وبعد ذلك ما الّذي حصل بينهم؟ ما الّذي حصل بين الأمّة الواحدة؟ حصل بينهم الاختلاف، والافتراق، والقتال، قتل بعضهم بعضًا، فنزل الكتاب؛ لأجل أن يفصل بينهم.

ابقوا مركّزين في هذه النّقطة: لأنّها هي الّتي ستنقلنا بعد ذلك إلى الجهاد من هذا الباب: أنّ النّاس كانوا {أُمَّةً وَاحِدَةً}.

---

(١) سورة البقرة: ٢١٢.

(٢) سورة البقرة: ٢١٣.

{أُمَّةً وَٰحِدَةً} على التّوحيد؛ فدخل الشّرك من {الشَّيْطَانِ}! ودخل البغي من {الشَّيْطَانِ}! فماذا فعل الله لهم؟ {فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ} مع النّبيّين {ٱلْكِتَٰبَ}؛ من أجل ماذا؟ {لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ}.

ثمّ تأتي المسألة الأعظم! أنّ الّذين أوتوا الكتاب، الّذين أعطاهم ربّهم الكتاب؛ ماذا فعلوا؟ أيضًا هم اختلفوا فيه {مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ} يعني: أصبح البغيُّ هو المسألة الخطيرة؛ فقد كان النّاس على التّوحيد من البداية، الشّيطان دخل عليهم، أدخل الشّرك، وأدخل البغي؛ نزل الكتاب لأجل أن يفصل بينهم؛ عادوا للاختلاف بسبب البغي، ماذا يعني البغي؟ الظّلم، الاعتداء. من يُثير الظّلم، والاعتداء؟ الشّيطان! فيصير هذا كلّه متّصلًا بأوّل الكلام: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً} كلّ هذه الآيات متّصلة به.

فإذًا وصلنا أنّ الشّيطان؛ بعد أن كان النّاس مجتمعين، وهي هذه الآية (٢١٣) انظروا لها جيّدا؛ لأجل أنّ هذه الآية هي الّتي ستفتح لنا بعد ذلك مناقشة موضوع الجهاد: الآية (٢١٣). سأرجع إليها مرّة ثانية لأنّها آية مهمّة، وماذا سنفعل؟ نقسّمها مجموعة جمل ومن خلالها نبدأ ما بعدها من الآيات:

اقرئيها لنا فقط جملة، جملة:

الجملة الأولى: {كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً} هذا خبر عما مضى. كانوا {أُمَّةً وَاحِدَةً} في ماذا؟ على التّوحيد؛ وهذا مقصود به قبل نوح -عليه السّلام- يعني من أن خلق الله آدم، إلى نوح عليه السّلام.

الجملة الثّانية: {فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ} ما هو المحذوف الآن؟ {كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً} ولأنّهم {أُمَّةً وَٰحِدَةً} بعث الله النّبيّين؟! لا! لا! هناك محذوف هنا!

ارجعي للشّيطان؛ ماذا فعل بهم؟ أدخل عليهم الشّرك والبغي. فإذًا لمّا كانوا {أُمَّةً وَٰحِدَةً} وحصل هذا الأمر؛ ماذا فعل الله عزّ وجلّ؟ {فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ} هذه الفاء هنا تسمّى: **الفاء الفصيحة**. ماذا يعني **الفاء الفصيحة؟ يعني**: ليست فاء التّعاقب؛ **فلا تعني**: أنّه {كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً} فترتّب على ذلك أنّ الله بعث! لا! لا! وإنّما **فاء الفصيحة** في اللّغة **معناها**: أنّه حصل، وحصل، وحصل من الأمور؛ ثمّ بعث الله؛ إذًا بماذا تسمّى هذه في البلاغة؟ **فاء الفصيحة**.

فالآن ليست كلّ فاء تدلّك على التّعاقب! فإنّ هناك فاء تُسمّى: **الفاء الفصيحة تدلّ على: أنّ هناك شيئا مطويّا بين هذا الحدث وهذا الحدث. كيف تعرفينها؟ من فهمك للنّصّ**: هل لأنّهم كانوا {أُمَّةً

وَٰحِدَةً} مجتمعون؛ فيبعث الله النبيّين؟ لا! وإنّما أكيد أنّ هناك أمر في الوسط؛ ولذلك فإنّها تُسمّى: **الفاء الفصيحة** –على خلاف عند البلاغيّين في معناها– لكن المقصود: أنّك حين تجدين الفاء؛ فلا تعتقدي بأنّ هذا مترتّب على هذا خصوصًا حين يكون واضحًا مثل هذه الحالة.

الجملة الثّالثة: {وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ} الآن ماذا حصل بعدما وقع الشّرك، وحصل بينهم البغي؟ {فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ} أي أن الكتاب فيه الحقّ. وأُنزل {بِٱلْحَقِّ} لغاية الحقّ؛ الّذي هو الحكم بين النّاس.

الجملة الرّابعة: {لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ} **معنى ذلك: أنَّ الله –عزّ وجلّ– ما ترك عباده؛ وهذا الّذي نحفظه من أوّل الأصول الثّلاثة: "أنَّ الله خلقنا، ورزقنا، ولم يتركنا هملًا"**؛ وإنّما لـمّا اختلفوا {فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ}، {مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ}، {لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ}؛ فما يتركهم يختلفون، وليس هناك ميزان، لا! وإنّما يختلفون وهناك ميزان.

الجملة الخامسة: {وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ} الآن هم كانوا مختلفين بعدما كانوا {أُمَّةً وَاحِدَةً}؛ ثمّ لـمّا جاء الكتاب عادوا فاختلفوا. ومن الّذي {اخْتَلَفَ فِيهِ}؟ فالآن الاختلاف الجديد، من هو الّذى اختلفوا فيه؟ {وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ} ما هو السّبب؟

الجملة السّادسة: {بَغْيًا بَيْنَهُمْ} إذًا السّبب: {بَغْيًا بَيْنَهُمْ}؛ كانوا: {أُمَّةً وَاحِدَةً} ماذا فعل فيهم الشّيطان؟ أدخل عليهم الشّرك والبغي. كيف عاملهم الله؟ {فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ} معهم ماذا؟ {مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ} بعدما وصل لهم الكتاب، الجماعة الذين وصل لهم الكتاب، اختلفوا مرّة أخرى! الآن ما هو سبب الاختلاف بالضّبط؟ البغي.

سنرجع مرّة ثانية للشّيطان ونقول: هذا البغيُّ لا يأتي إلّا حين يتسلَّطُ الشّيطان على الإنسان، والإنسان نفسه يسمح للشّيطان بذلك! فنحن لا نقول: الشّيطان! الشّيطان! ونحن بريئون! يعني الإنسان الّذي يدفع الشّيطان؛ فإنّ الشّيطان لا يتمكّن منه، والّذي يستسلم له؛ يصبح سيّده، ومولاه!

الجملة السّابعة: {فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ} **يعني هنا يُقصد به:** أمّة الإسلام؛ أنّ الله –عزّ وجلّ– هدى هذه الأمّة {لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ}.

الجملة الثّامنة: {وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} يعني **الدّعوة عامّة، وهداية التّوفيق خاصّة.**

الآن سنرى: ما دام أنّ القضيّة فيها تنازع، وما دام أنّ هناك جماعة يبغون على بعضهم البعض رغم وجود الحقّ واضحًا، ونزل الكتاب معه الحقّ؛ فإنّهم يعتدون على أهل الحقّ! ماذا يجب أن يُشرَّع لأجل أن يبقى الحقّ حقًّا، ولا يتعدّون أهل البغي؟ الجهاد؛ فأتى التّرغيب في الآية (٢١٤):

يقول الله عزّ وجلّ: {أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ}.

الآن سنكتب: **الآية (٢١٤) ورابطها بما سبق:**

في الآية السّابقة، بيّن الله أنّه هدى هذه الأمّة لما اختُلف فيه من الحقّ بإذنه؛ انظروا الآية السّابقة: {فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ ٱلۡحَقِّ بِإِذۡنِهِۦ} فهذا الجزء من الآية، هو الّذي سيربطنا بما بعده.

فإذًا سنكتب: وفي هذه الآية بيّن سبحانه، أنّهم بعد تلك الهداية لابدّ أن يواجهوا الشّدائد في إقامة الحقّ؛ فعليهم الصّبر على البلوى؛ فهذا كان حال أهل الحقّ في كلّ زمان.

في كلّ زمان كيف كان حال أهل الحقّ؟ الصّبر على البلاء؛ من أجل إقامة الدّين. المشكلة أنّ بعض النّاس يتصوّرون –سواء كانوا نساء أو رجالًا– فإنّهم يتصوّرون أنّه إذَا أقاموا الدِّين في أنفسهم، واستقاموا، يختبؤون في أيّ مكان، ولا يتّصلوا بالعالم؛ على أساس أنّ مسئوليّتهم أنفسهم! **وهذا من أفسد حيل الشّيطان على النّاس! يعني:** هذه الحيلة مباشرة تقبلها النّفوس، لماذا؟ لأنّه يقول لك: (أنا لست مسئولًا إلّا عن نفسي!) وهو لا يدري أنّه كما أنّه مسئول عن نفسه؛ فهو مسئول عن إقامة الدِّين: إقامة الدِّين في نفسه، وإقامته بدعوة غيره. يأتي أحد يقول: (أنا لست داعية؛ لأجل أن أفعل هكذا! وليس كلّ النّاس سيمسكون المنابر!)! ليس المقصود المنابر! لكن الاستقامة على الدِّين، وفُشُوّ معالم الدِّين بين النّاس، هذا هو المطلب: أن تفشو معالم الدِّين؛ وأن يبقى أهل الدّين ظاهرين، لا أن يختبؤوا، ويختفوا!

وهل هذا سهل؟ أن تُبقي معالم الدّين، وأن تختلط بالنّاس، وأن تُبقي معالم الدّين، أمرًا يسيرًا؟! لا! ليس أمرًا يسيرًا؛ لأجل ذلك فإنّه يحتاج إلى صبر، ويبتدئ من إظهار معالم الدّين في بيوتنا، وفي الأماكن العامّة، وينتهي بالقتال في ساحات القتال، لكن في بداية الأمر لابدّ من إظهار معالم الدّين.

ولذلك فإنّ الشّريعة منعتنا من العزلة الغير شرعيّة: يأتي أحد في مثل زماننا ويقول: (أنا سأعتزل النّاس؛ هذا هو الحلّ!) لا! فما وصلنا في زماننا لمرحلة العزلة –الحمد لله، الله يحفظ علينا نعمه– الحمد لله بل بالعكس المفترض أن تكون هناك مرحلة مقاومة، وإظهار لشعائر الدّين، وإظهار أنَّ الناس مستقيمون؛ لأنّ (النَّاسَ كَأَسْرَابِ الْقَطَا؛ مَجْبُولُونَ عَلَى تَشَبُّهِ بَعْضِهِمْ بِبَعْض)[1] فإذَا لم يجدوا معالمًا للدِّين؛ فإنّها ستختفي معالم الدِّين!

لكن الشّيطان ماذا يفعل؟ عندما يجدك متمسّكًا جدًّا؛ فإنّه يكفيه أن يخسرك أنت فقط! أمَّا أن يدفعك إلى أن تخرج للخارج، ويرى النّاس هذه المعالم، وبعد ذلك يُقَلِّدَك أحد، فستصير الخسائر كثيرة؛ لذلك فإنّه يقنعك بأنّك [لكي تحافظ على دينك، اعتزلْ النّاس وابتعد عنهم!] وهذه من الحيل الشّيطانيّة!

إذًا ما هي هذه الحيل الشّيطانيّة؟

- ⇐ **اعتقاد أنَّ الهداية خاصّة، شأني؛ فأعتزل بعده.**
- ⇐ **أو اعتقاد أنَّ الدّعوة لا تكن إلّا من المتخصّصين في الدّعوة.**
- ⇐ **أو اعتقاد أنَّ الإنسان ليس من مسؤوليّاته أن يكون قدوة لغيره.**

كلُّ هذا من وساوس الشّيطان؛ فكما أنّك استقمت على الدّين فإنّه لابدّ أن تتحمّل مسئوليّة نشره، لكنّ الشّيطان يخذلك.

وهل مسؤوليّة نشره أمر يسير؟ لا! لا! ولذلك: {أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ} ماذا حصل لهم؟ {مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا} يعني حالة صعبة، وثبتوا عليها؛ لأن **الدّين كما يحتاج أن تنصره في نفسك؛ فإنّه يحتاج أن تنصره في مجتمعك، ما استطعت لذلك سبيلًا.**

ممكن أن نضرب مثالًا على ذلك لكي نستفيد دعينا نبدأ من بيتنا، أحيانا حتّى أهل البيت مع بعضهم البعض؛ لأجل أن لا يستهزأ بك أحد! ولأجل أن لا يقول لك: (أنت متشدّد!)! فلا تقول لهم حتّى رأيك في أمرٍ أتت الشّريعةُ به! لا تريد أن ينظر إليك أحد، ويقول لك: (ما هذا الكلام الّذي تقوله؟!) لا يريد أن يكلّمه أحد! ولا يريد أن ينقّص أحد من قدره! ولا يريد أن يهزّ أحدهم مكانته! فيقول: (ماذا أفعل؟! كلّما تكلّمت يقوم ينتقدني! أو ينقص من قيمتي! اتركه سارحًا في غيّه! فأهمّ شيء أن لا يتعرَّض لي أحد!)

(١) ابن تيمية _ كتاب مجموع الفتاوى (ص: ١٥٠) _ تأثير مخالطة أهل الشّرّ.

وتخرج إلى المجتمع، خالاتها وعمّاتها إلى آخره، وهناك منكر! – أو دعونا– نقول هناك فكرة هم بصدد طرحها؛ فلا تقدر تقول، أو بالأحرى لا تهتمّ أن تقول وليس أنّها لا تقدر! وإنّما لا تهتمّ أن تقول: (لا! يا جماعة؛ فإنّ هذا يخالف الشّريعة!) حتّى لا يقولوا لها: (أنتِ متشدّدة!)؛ فلا تفتح فمَها!

فالله يقول لنا: {أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا}.

فهو الآن حين يقول: (لا! لا! لن أضيّع وقتي مع هؤلاء) فإنّه أيضًا ممكن تكون هناك لمحة كِبْرٍ في النّفس؛ لأنّه: (أنا أحسن منهم، وأنا أفهم منهم! فأنا سأبقى وحدي وأفهم والإحساس بأنّني: (أنا أقدر أن أكون بدون مجتمعي!) حتّى أنّه أحيانًا ممكن يصل الأمر بالإنسان أنّه ينفصل عن مجالس الذّكر، ويقول: (لا! أنا حين أذهب مع هؤلاء؛ فإنّي أرى شيئًا لا يُناسبني) على أساس أنّه هو الكامل وهم النّاقصون!

فكلّ هذه مشاكل وراء بعضها البعض، لكنّ الشّيطان يخطفه من بداية الأمر: أنّه غير مستعدٍّ لأن يتعرَّض لأيّ شيء. فقط: (أنا فوق في برج من العاج ولا يلمسني أحد، أو يقول لي ناقص أو زائد أو فكرك لا يناسبني! لا! لا! لا! إمّا أن تحترموني وتعظّموني أو أعتزلكم! **بهذه الطّريقة سيرجع في النهاية لنفحة كِبْرٍ لكنّه ليس شاعر بنفسه.**

المهمّ، لابدّ أن تمسَّنا {ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ} على قدر إيماننا –نسأل الله أن يغفر لنا– ونُزلزل في بعض الأمور لكي ندخل الجنّة! فالدِّين ليس لعبة، لابدّ أن يأتي من يضرُّك في استقامتك، ومهما كان المجتمع جيّدًا لابدّ أن يحصل بيننا اختلاف في التّفكير فيحصل هناك إيذاء، فكيف لو كان مجتمعًا مؤمنًا وكافرًا! وكيف لو كان مجتمعًا منافقًا ومؤمنًا!

والنّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم– أَلَمْ يُؤذَ؟! أُوذِيَ حتّى في أهل بيته! أُوذِيَ حتّى في عِرْضِه!

أنتم تصوّروا: كيف أنّ النّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم– بقي شهرًا كاملًا وهو مُؤْذًى في عرضه، والمنافقون يمرُّون عليه؛ وانظروا: ماذا كان في نفوسهم؟! وكيف أنّهم كانوا ينظرون إلى نبيّنا صلّى الله عليه وسلّم؟!

وقبل هذا وأعظم منه، ثلاث سنوات كان فيها النّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم– في الشِّعَبِ، هو وأهله مسلمون كانوا أم كافرون، تصوَّري: كيف كانت مشاعره حين يكون هو سببًا في أنّه حتّى أهله يكونون في مثل هذه الحال! ومع ذلك: {أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ}.

من أسباب خروج المسلمين للجهاد أنّه لمّا ذاقوا حلاوة الإيمان؛ أرادوا أن يجعلوا غيرهم يذوق حلاوة الإيمان. وسيأتينا في الآيات هذا المعنى تحديدًا، لكن المشكلة أن الشّيطان يخلط عليك الأمور! ويشعرك بأنّك: (إذَا كنت أنت مستقيمة؛ فلن يلمس أحد جانبك!) لا! ليس صحيحًا! أو أنّك: (أنت أحسن من النّاس! وأنّ هؤلاء لا يفهمون!) أو مثلاً: أيّ مناقشة تقومين بها مع أهلك أو أقاربك أو زملائك تقولين: (ضيّعوا لي وقتي!) **كلّ هذا كلام من الشّيطان!** فعليكِ أن تبشّي وتهشّي وتناقشيهم وتتكلّمي معهم بأدب على قدر ما تستطيعين؛ فَهِمُوا أم لم يَفْهَمُوا -الله يسهّل لهم- فلن تكوني أحسن من النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- الّذي كان يخاطب حتّى الأطفال.

النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- كانت المرأة العجوز تراه في الطّريق؛ فتأخذه على جانب، وتحكي له ما بها؛ فيفتيها، ويكلّمها، ولا يقول لها: (أنا الرّسول! ورائي جهاد! ورائي أمّة! ورائي وحي!) لا! لا يقول لها ذلك! فمن أنت؟! لكن الشّيطان يأخذ النّاس من أبواب متعدّدة!

الآن سيضاف على هذا المعنى الأوّل: الآية (٢١٤) مهّدت لنا هذا الشّأن: {أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ} لأنّ المسألة مادامت في الآية (٢١٣) هناك جملة: {فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ}.

ماذا ستفعلون؟ ستضعون تحت هذا الجزء من الجملة مربّعا؛ الّتي هي: {فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ} سنضع تحتها مربّعًا:

هذه الجملة الشّريفة، العظيمة، جعلت علينا مسئوليّات، يعني: أنت هداك الله لمنهج الحقّ؛ فإذًا هناك مسئوليّات لمنهج الحقّ، منها: أنّك إن هُديت لمنهج الحقّ، وتريد أن تدخل الجنّة فلابدّ أن تمسّك {ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ}، وسيلحقها الشّأن الثّاني.

مدارسة الآية (٢١٥): بذل المال

ستكتبون الآن: الآية (٢١٥) ورابطها بالآية السّابقة:

سنقول: لمّا بيّن الله أنّه لابدّ من التّعرّض للأذى لطلبه للآجلة -الآجلة، المقصود بها: الآخرة- وإعراضه عن العاجلة، ومن ذلك سيكون بذل النّفس والمال.

بذل المال: سيكون في الآية (٢١٥)، **وبذل النّفس**: سيأتي في الآيات كلّها الّتي بعدها.

بذل النّفس والمال الآن، اقرئي الآية (٢١٥) لأجل أن يتبيّن: **بذل المال**، وما بعدها في: **بذل النّفس**:

يقول الله عزّ وجلّ: {يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ}.

{مَاذَا يُنْفِقُونَ} هذا الإنفاق، ظهر في الآية: أنَّه: {مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ} فلهؤلاء {وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ} **إذًا هذا الإنفاق؛ لتقوية المجتمع المسلم.**

مدارسة الآيات (٢١٦_٢١٨): بذل النّفس

سيبدأ الآن: **بذل النّفس**:

يقول الله عزّ وجلّ: {كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٢١٦) يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢١٧) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ}[1].

هذه الآيات، نناقشها اليوم بالإجمال: الآيات تناقش: **مسألة بذل النّفس**، وموجز هذه الآيات في الآية (٢١٨). من الّذي سيبذل نفسه في سبيل الله؟ ماذا قال الله –عزّ وجلّ– في الآية (٢١٨)؟ {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا} إذًا هؤلاء سيبذلون أنفسهم في سبيل الله {وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ} هؤلاء الذين آمنوا هم الّذين سيجاهدون.

ما هي غايتهم من الجهاد؟ {يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ} إذًا معنى ذلك: أنَّ بذل النّفس مقصده: طلب رحمة الله –وهذا الّذي يحتاج إلى نقاش– يعني: كيف يبذلون أنفسهم طلبًا {رَحْمَتَ اللَّهِ} بذلك؟ سيبقى عندنا هذا، سؤال استفهام.

---

(١) سورة البقرة: ٢١٦-٢١٨.

اليوم سنمرّ على الآيات بالإجمال، من أجل أن نستوعِب فقط التّتابع. وسنترك هذه النّقاط، وحين نُراجعها اللقاء القادم نقوم بزيادة بيانها.

كلّ الآيات الآن الّتي نحن بصدد نقاشها أصلها الآية (٢١٣): {فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ} **ماذا يترتّب على هداية {الَّذِينَ آمَنُوا}؟ يترتّب عليها أنَّه لابدّ أن يبذلوا أنفسهم، وأموالهم؛ فأتى كلّ هذا النّقاش حول بذل النّفس والمال، وأنَّ الباذل إنّما يرجو {رَحْمَتَ اللَّهِ}.**

مدارسة الآيات (٢١٩_٢٢١)

يقول الله عزّ وجلّ: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ (٢١٩) فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٢٠) وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ}.

هذه الآيات لازالت في شأن الجهاد، فكّروا: كيف لازالت في شأن الجهاد؟ من ضمن الجهاد: الإنفاق.

ما علاقة الإنفاق بالجهاد؟ لو بدأنا بالآية (٢١٩) سنقول:

- تحريم الخمر لمصلحة الجهاد، تحريم الخمر عمومًا لمصلحة الإنسان، لكن خصوصًا في هذا السّياق لمصلحة الجهاد؛ لو كانوا يشربون الخمر كيف سيخرجون للجهاد؟ الخمر يُذهب العقل فبدلًا من أن يقتلوا المشركين ممكن أن يقتلوا المؤمنين!
- وبالنّسبة للميسر: ما هو الميسر؟ الميسر طريقة تعامل مع الأموال بحيث يتمّ إهدارها، يشبه القِمار. لماذا حُرِّم؟ بنفس الطّريقة، حُرِّم لصالح الجهاد لأنَّ هذا فيه إهدار للمال.

على كلّ حال فإنّ الخمر والميسر حال من لا يعرف سبب وجوده في الدنيا!

فقابل هاتان الحالتان: [شرب الخمر والميسر] بقوله تعالى: {وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ}؟ إذًا حُرِّم الإنفاق على شراء الخمر، وعلى الميسر؛ فأين يُنفقون؟ يُنفقون كما بَيَّنَ الله عزّ وجلّ: {مَاذَا يُنفِقُونَ}؟ {قُلِ ٱلْعَفْوَ} أي: أنفقوا الزّائد من أموالكم في سبيل الله، في سبيل الجهاد، لا تنفقوه على الخمر والميسر.

الآن يأتينا الكلام عن اليتامى {وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ}:

ما علاقة هذا بمسألة القتال؟

دعونا نؤجّل {ٱلْيَتَٰمَىٰ} قليلًا، ونرى الّتي بعدها: {وَلَا تَنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكَٰتِ} ما علاقتها بالجهاد؟

لا تتزوّج من مشركة، هل له علاقة بالجهاد؟ نعم، له علاقة بالجهاد؛ لأنَّه إذَا قَبِلَها زوجةً وهي على حالها مُشركة؛ أكيد سيكون هناك ميل في قلبه لهؤلاء المشركين، وسيصير هناك قبول لهم، وسيصير هؤلاء نَسَبُه، **فمعنى ذلك: سنكتب:**

الآية (٢٢١): النّهي عن نكاح المشركات لازال في صالح الجهاد، من جهة قطع أواصر المحبّة؛ ليقع الجهاد. لأنّ النّهي يترتّب عليه قطع أواصر المحبّة؛ فيترتّب عليه وقوع الجهاد.

بقي علينا: {ٱلۡيَتَٰمَىٰ} هل لهم علاقة بالجهاد، {وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡيَتَٰمَىٰ}؟

الجهاد سينتج عنه موت الآباء؛ فممكن أن يكون أحد موانع الجهاد: خَوْفُ الرجل من أن يَتَيَتَّمَ أبنائه! فيمتنع عن الجهاد بسبب الخوف من حال {ٱلۡيَتَٰمَىٰ} فماذا يُقال؟

{وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ} الآن لابدّ أن تستوعبوا هذه المسألة: فهذه أحكام بنفسها مستقلّة، تُناقَش مستقلة، لصالح مجتمع المسلمين عمومًا شرع للمسلمين. كان السّؤال: لماذا أتت في سياق الجهاد؟ فهي لم تُشرّع للجهاد.

وإنّما هذه الأحكام: {يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ}، {وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡيَتَٰمَىٰ} أحكام الزّواج من المشركات، كلّ واحد من هذه الأحكام لمّا نزلت، نزلت في سياق الجهاد؛ هي أحكام منفصلة لكن أتت في سياق الجهاد؛ لأنَّها في مصلحة الجهاد؛ لماذا ذُكرت في سياق الجهاد؟ لمصلحة الجهاد.

وأنتم تعلمون أنَّ الرّسول –صلّى الله عليه وسلّم– كان يُوحى إليه؛ فيقول لِكَتَبَةِ الوحي: (ضَعُوا هَؤُلَاءِ الآيَاتِ فِي السُّورَةِ الَّتِي يُذْكَرُ فِيهَا كَذَا وَكَذَا وَإِذَا نَزَلَتْ عَلَيْهِ الآيَةَ فَيَقُولُ : ضَعُوا هَذِهِ الآيَةَ فِي السُّورَةِ الَّتِي يُذْكَرُ فِيهَا كَذَا وَكَذَا)[1] أي يكونون يكتبون سورة البقرة، ينزل عليه الوحي فيأمرهم –صلّى الله عليه وسلّم– أن يضعوا هذه الآية بعد هذه الآية؛ **فيكون لها سبب بعيد، لكن عندما تأتي في السّياق تَشرّع لك حُكمًا زائدًا عن معناها المستقلّ، يعني:**

- لو أنّنا نريد أن نكتب رسالة، في حكم الخمر والميسر؛ سآخذ الآية رقم (٢١٩) وحدها، وسأتناقش عن حكم الخمر والميسر كاملًا؛ ولن أتكلّم عن حكم الجهاد أبَدا! لأنَّ الآية ليس فيها جهاد.

(١) أخرجه الترمذي (٣١٥٨).

لكن وأنا أحفظ، في السّياق وردت في آيات الجهاد؛ لابدّ أن يكون لها صلة! لابدّ أن يكون هناك مقصد من ورائها:

- أنّه لا يمكن أن يُقام الجهاد والنّاس يُنفقون أموالهم في: {ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ}! ويخرج الرّجل مخمورًا! أيّ مخمور هذا الّذي يستطيع أن يقاتل؟!
- والرّجل يمنعه خوف أن ييتّم أبناؤه، من أن يُقاتل؛ فيقال له: اطمئن الشّريعة قد حدّدت لك أحكامًا.
- الرّجل يمنعه عن القتال أنّ له زوجة مشركة؛ فيقال له: {لَا تَنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكَٰتِ}.

وكما اتّفقنا: فإنّ كلّ حكم مستقلّ، لكن عظمة القرآن؛ أنّه عندما يأتي في سياق؛ يعطي السّياق معنًى جديدًا للآيات.

المهمّ وأنتم تحفظون؛ لابدّ أن تحدّدوا في أذهانكم أنّه يُناقش كذا، ويُناقش كذا، ويُناقش كذا، لصالح الجهاد لأنّنا متّفقون على أنّ الخطأ أن أحفظ وأنا لست مستوعبة مجمل الآيات، أدخل في التّفاصيل وأنسى الارتباطات، وكونك تعرفين الرّوابط فإنّ هذا يسهّل عليك الحفظ والمراجعة.

الحياة الزّوجية رمز لقيمة الوفاء بالعهد {وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا} (٢٢٢_٢٢٨)

الآن الآية (٢٢٢) ستفتح لنا بابًا جديدًا تماما من أبواب المناقشة في الآيات:

يقول الله عزّ وجلّ: {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ (٢٢٢) نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (٢٢٣) وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٢٤) لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ (٢٢٥) لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٢٢٦) وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٢٧) وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ

فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}[1]

من هنا سيبدأ الكلام عن الحياة الزّوجية؛ الّتي هي تحت قيمة الوفاء، ألم نقل هناك: {وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ}؟ فسيبدأ الكلام من الآية (٢٢٢) إلى أن نصل إلى الآية (٢٣٧)، وهذه كلّها أحكام الزّواج؛ الّتي هي مرتبطة بقيمة الوفاء.

وسنلاحظ مَلْحَظًا لطيفًا هنا: أنّه كان في الآية (٢١٨): {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} الكلام عن المؤمنين الّذين يُجاهدون، وبعد ذلك أتتنا الآيات عن الخمر وعن اليتامى، وكلّ هذا كان في صالح الجهاد.

وبعد ذلك وجدنا هذه الآيات كلّها تتكلّم عن الزّواج؛ الّذي هو تحت باب الزّواج والطّلاق؛ الّذي هو تحت قيمة الوفاء بالعهد؛ لأنّ أعظم العهود هو: العهد الّذي بين الرّجل والمرأة، وكان الواجب الوفاء بها؛ فجاءت الآيات تقول لك: كيف يكون الوفاء بها.

مدارسة الآيات (٢٣٨_٢٣٩)

الشّيء اللّطيف الآن؛ أنّنا سنصل إلى الآية (٢٣٨) ونرى كيف حصلت انتقالة؟ يعني كأنّك ستُبقين معك: الآية (٢١٨) وتنتقلين من الآية (٢١٨) إلى الآية (٢٣٨):

سنرى الآن العلاقة، في الآية (٢١٨) كان الكلام عن القتال: {إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ}

وهنا سيأتينا الكلام عن الصّلاة.

ولكن ابقوا مركّزين: سنرى هل هو عن الصّلاة عمومًا؟ أم عن الصّلاة خصوصًا؟ سيتبيّن، اقرئي الآيات (٢٣٨_٢٣٩):

يقول الله عزّ وجلّ: {حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ (٢٣٨) فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ}.

(١) سورة البقرة:٢٢٢_٢٢٨.

فإذًا {حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ} عمومًا أم خصوصًا؟ خصوصًا، قوله تعالى: {فَإِنْ خِفْتُمْ} معناه في القتال، في الجهاد. يعني هذه الآيات صحيح بدأت بالحُكم العام، لكن قُصد بها الحكم الخاصّ؛ الّذي هو في الجهاد. **معنى ذلك**: أنّنا لو رجعنا للآيات السّابقة؛ الّتي هي الآية (٢١٨): {إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} وما دام أنّهم: {يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ} فسيحافظون على الصّلاة؛ **بمعنى**: أنّ الصّلاة لا تسقط في الخوف وإنّما تبقى أحكامها بهذه الصّورة، إذًا {حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى} إنّما قُصِدَ به أحكام الصّلاة المُتعلّقة بالجهاد.

وسنرى: في الوسط كيف جاء الكلام عن الزّواج، وعن الوفاء بالعهد، لكن دعونا نكمل لأجل أن نتصوّر أنّه مازال السّياق في الكلام عن الجهاد.

مدارسة الآيات (٢٤٠_٢٤٢)

سنأتي الآن إلى: {وَالَّذِينَ} (٢٤٠_٢٤١):

يقول الله عزّ وجلّ: {وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٤٠) وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ (٢٤١) كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ}.

هذه الآيات أيضًا في الأحكام: أحكام المتوفَّى عنها زوجها، والمطلَّقة. لو درسنا بالتّفصيل سيتبيّن لنا أنَّ هذان الحكمان -كما ذكر بعض أهل العلم- تخصّان من قُتل في الجهاد، لمن وقع عليه الموت بسبب الجهاد؛ فتصير هاتان الآيتين حتّى في أحكام الطّلاق والمتوفَّى عنها زوجها، متعلّقة بأحكام الجهاد.

وطبعا هذا يحتاج إلى دراسة أكثر تفصيلًا؛ لأجل أن نتصوّر هذا القول، وهذا قول قويّ عند العلماء؛ الّذي هو: أن تتمتَّع المرأة عامًا، (حَوْلًا كاملًا) بوضعها، بحالها، يعني: لو كان هذا الميّت له ورثة، وكانت هي تسكن في بيته؛ فلا يخرجونها سنةً كاملة.

سنةً كاملةً هذه خاصّة بمن؟ لمن توّفى عنها زوجها بسبب الجهاد -كما في قول قويّ لأهل العلماء- لكن المسألة ليست متّفق عليها؛ فهناك من رأى أنّ هذه الآيات منسوخة أصلًا، لكنّ الّذي قال بأنَّها خاصّة بأحكام المرأة المتوفّى عنها زوجها في القتال؛ أتى على نسق الآيات؛ لأنّنا سننتقل مباشرة للآيات التّالية، وسيتبيَّن: أنَّه لازال الكلام في الجهاد:

مدارسة الآيات (٢٤٣_٢٤٥): تشجيع المؤمنين وإزالة أسباب الخوف وتلقينهم أسباب النصر

سنبدأ بالآية (٢٤٣):

يقول الله عزّ وجلّ: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ (٢٤٣) وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٤٤) مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ}[١]

هذه الآيات كلّها الّتي ستأتينا ابتداءً من الآية (٢٤٣): {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ} **كلّ هذه الآيات ستأتينا لتشجيع المؤمنين، وإزالة أسباب الخوف، وتلقينهم أسباب النّصر.**

سنمرّ على الآيات فقط –كما اتّفقنا– بالإجمال؛ لأجل أن تتصوّروا التّقسيم؛ ثمّ –إن شاء الله– المرّات القادمة، نعود بشيء من التّفصيل، فقط لأجل أن لا يُدركنا الوقت، ونحن لم نكمل كلّ المطلوب منّا.

هنا في الآية (٢٤٣) كان ممّا يُشجّع المؤمنين على الجهاد؛ أن ترى أمرين:

١) **الشّجاعة.**

٢) **وأسباب النّصر.**

دعونا نرى: الآية (٢٤٣) كيف تدلّ على الشّجاعة؟ {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ} خرجوا خائفين من الموت، هاربين من الموت، لسبب أو لآخر، **يعني**: لمرض، أو أيّ شيء أتاهم فخرجوا هاربين من الموت. {فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ} أين وجه تشجيعهم على القتال؟ كيف أنّ هذه الآية فيها تشجيع على القتال؟ **ليس الجهاد سببًا للموت! لا تهرب من الجهاد خوفا من الموت!** وهذا فَهِمَهُ جيّدًا خالد بن الوليد؛ الّذي هو رمز القتال، رمز الشّجاعة، سيف الله

(١) سورة البقرة:٢٤٣_٢٤٥.

المسلول، سمَّاه النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- بذلك[١]، مات على فراشه خالد بن الوليد؛ ولمَّا مات قال كلاما يدلُّنا على هذا المعنى: (فَلَا نَامَتْ أَعْيُنُ الجُبَنَاء)[٢] بكلام سابق له، كان هذا آخر كلامه. ماذا يقصد؟ يقصد أنّه كم قاتلتُ؟ كم حاربتُ؟ كم فعلتُ؟ وما متُّ في ساحة المعركة! في النّهاية ما مات إلّا على فراشه.

فمعنى ذلك: أنّ القتال ليس سببًا للقتل! القتال ليس سببًا للموت! وهؤلاء {خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ} يحذرون {الْمَوْتِ} فماذا كانت النّتيجة؟ أنّهم أماتهم الله؛ فالسّبب الّذي كانوا يحذرون منه، ما ماتوا منه! وإنّما ماتوا بسبب آخر أراد الله أن يكون. **فمعنى ذلك: أنّه كونوا في حال من الشّجاعة، لأنَّ الموت ليس محكومًا بالجهاد.**

وهنا تأتي مشكلة في التّربية: عمومًا نساءً أو رجالًا، فقط نلاحظها سريعًا:

أنّ قيمة مثل: قيمة الشّجاعة: من القيم الّتي لا نتكلّم عنها أبدًا! بحيث صارت البنت الجميلة، الرّقيقة، هي الّتي تخاف من كلّ شيء -ابتداء من البعوضة وانتهاء بأكبر شيء ممكن!- وهذا ليس دليل على أنَّها رقيقة الإحساس! لكنّه دليل على أنَّها جبانة! والدّليل على أنَّها جبانة هو: أنَّ أيّ شيء يخيفُها!

وطبعًا نحن لن نُلقي البلاء على بناتنا أو أولادنا، لكن سنُلقي أصل البلاء على الأمّهات لأنَّ **الشّجاعة** ليست على الخريطة وكأنّ هذه الكلمة من مشمولات عنترة فقط! ونحن ليست لنا علاقة بها!

ولا تسألي عن جِيل يخرج وهؤلاء أمّهاته! ولا تسألي عن الرّقيقين، إذا قيل: (اقتل الصّرصار يا ولدي!) وكأنّه لا أحد يسمع! فهذا أين سأذهب به، يجلس بجانب أخواته! وهذه هي النّتيجة الّتي خرجنا بها! فليس هناك وجود للشّجاعة! هذا المفهوم غير موجود!

ماذا نفعل؟ لابدّ أن نعيد ترتيب القِيَم عندنا؛ لأجل أن نعرف ما هو النّاقص؛ لأنّ هذا النّاقص هو الّذي سَيُهَيِّئُ لنا رجالًا ونساءً يتحمَّلون! يعني في الغزوات كانوا يستعينون حتّى بالنّساء؛ كما في خطّة خالد بن الوليد -رضي الله عنه- لمّا كانوا في تلك المعركة خائفين من جنود الرّوم؛ وضع خالد بن الوليد الصّفّ الأوَّل رجالًا، ووضع ثكنتين من ورائها الخيّالة؛ وجعل النّساء في الوراء، وجنَّدهم بالحجارة، وغيرها من الأشياء؛ حتّى إنْ هرب جنديّ مسلم؛ رَمَوْهُ بالحجارة لأجل أن يعود إلى الصّفّ.

---

(١) أخرجه أحمد (٢٢٠٤٧) _ متن الحديث: (... ثُمَّ أَخَذَ اللِّوَاءَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ وَلَمْ يَكُنْ مِنَ الْأُمَرَاءِ هُوَ أَمَّرَ نَفْسَهُ. فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ- صلّى الله عليه وسلّم- أُصْبُعَيْهِ وَقَالَ: اللَّهُمَّ هُوَ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِكَ فَانْصُرْهُ، وَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ مَرَّةً: فَانْتَصِرْ بِهِ. فَيَوْمَئِذٍ سُمِّيَ خَالِدٌ سَيْفَ اللَّهِ...).

(٢) صفوة الصّفوة _ ابن الجوزي.

فكانت النّساء لها دور دائمًا! والآن لو رأت نقطة دم! أو رأت جرحًا! تحتاج حينئذ إلى مَن يفيقها! فلا هي! ولا هو! ولا أحد في المجتمع! ثمّ بعد ذلك يقولون بلسانهم كلامًا طويلًا! يقولون: (افتحوا لنا باب الجهاد)! وأنتم تعرفون أنّه لا يستطيع أن يقتل صرصورًا في البيت! ويقول: (افتحوا لنا باب الجهاد)! ما أسهل الكلام!

وأنتم حاولوا أن تُراجعوا أنفسكم: هل كلمة الشّجاعة موجودة حقيقة أم فقط على اللّسان؟

على كل حال، في الآيات أسباب الشّجاعة: أوّلًا: أن تقتنع بأنّ الموت ليس مقترنًا بالجهاد.

مدارسة الآيات (٢٤٦_٢٥٢): قصّة بني إسرائيل:

بيان أسباب النّصر وأسباب الهزيمة

الآن ستأتينا القصّة الطّويلة؛ الّتي هي: قصّة بني إسرائيل مع نبيّهم لمّا طلبوا القتال؛ وفيها أسباب النّصر. نحن سنقرؤها، ونقول إجمالًا: ما هي أسباب النّصر –وإن شاء الله– يتيسّر لنا الكلام عن ذلك أكثر تفصيلًا، سنبدأ من الآية (٢٤٦):

يقول الله عزّ وجلّ: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ}.

الآية (٢٤٦) هي إجمال القصّة، وهذا كثير في القرآن ألّا يأتي إجمال القصّة في الآية الأولى، ولكن تُفَصَّل بعد ذلك.

ما هو إجمال القصّة الآن؟ هو إجمال القصّة نفسها الّتي نعيشها: كان القتال بابه غير مفتوح لهم، وبقوا يقولون: (نريد أن نقاتل في سبيل الله!) فقال لهم نبيّهم محذّرًا: {هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا} فأجابوه بجوابٍ فصيحٍ: {وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا} ما معنى ذلك؟ **معنى ذلك**: أنّهم أجابوا بأنّهم سيفعلون! وكانوا واثقين من أنفسهم! فهذه أوّل أسباب الهزيمة: الثّقة في النّفس، وعدم الاعتماد على الله؛ لأنّهم كانوا متأكّدين أنّهم سيفعلون!

إذًا من الآية (٢٤٦): ماذا ستكون أهمّ أسباب الهزيمة؟

أهمّ أسباب الهزيمة من الآية (٢٤٦): الثّقة في النّفس، وعدم الاعتماد على الله.

ما هو سبب النّصر إذًا، إذَا كانت الثّقة في النّفس سبب الهزيمة؟ الثّقة في الله، عدم الاعتماد على النّفس.

ماذا حصل لهم لمّا كُتب عليهم القتال؟ {تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ} **إذًا من أسباب الهزيمة: الظّلم؛ وهذا سينفعنا جدًّا فيما بعد، في أن نفهم: كيف أتت الشّريعة تأمرك بأوامر: لا تظلم! لا تظلم! لأجل أن تنتصر في القتال.**

سيأتي الآن التّفصيل، الآية (٢٤٦) هي إجمال القصّة: أنّه كان القتال غير مشرّع عليهم، أو بابه لم يكن مفتوحًا في ذاك الزّمان، أصرّوا على فتحه مُعتمدين على أنفسهم، لمّا فُتح لهم، {تَوَلَّوْا} ووقعوا في الظّلم.

يقول الله عزّ وجلّ: {وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ}[1]

الآن ما أسباب النّصر، وما أسباب الهزيمة من الآيات؟ {وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا} لأنّهم عندما يُقاتلون لابدّ أن يكون لهم قائد، وهذا دائمًا الّذي يغيب عن المسلمين في القتال الشّرعي! لا يعرفون آدابه: لابدّ أن يكون لهم وليّ أمر حين يقاتلون؛ لأنّه إذَا لم يكن هنالك وليّ أمر؛ فإنّ كلّ جماعة ستصير تُقاتل وحدها، وغالبًا ما تنقلب الجماعات على بعضها؛ فيصير القتال بين المسلمين وليس مع الكافرين! والواقع يشهد على ذلك.

{وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا} هل سَلَّمُوا؟ لا.

وهذه أحد أهمّ أسباب الهزيمة: المنازعة، منازعة وليّ الأمر، وبعد ذلك فإنّ المشكلة أنّ هذا وليّ الأمر الّذي هو بصدد أن يكون وليّ أمرهم؛ **الله هو الّذي جعله وليّ أمرهم!** {إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا} لكن هذه هي طبيعة بني إسرائيل! ولذلك في سورة البقرة أتت هذه القصّة؛ لأجل أن تُناسب قصّة البقرة، تُناسب معنى أنّهم لا يستسلمون! أنّه لو قَدرًا أو شرعًا، الله -عزّ وجلّ- عيّن عليهم أحدًا وليّ أمرهم؛ فإنّهم لابدّ من أن يُنازعوه!

(١) سورة البقرة:٢٤٧.

وهذه هي طبيعة الخوارج! هذا الشّيء يُشبه الخوارج؛ لأنّك في النّهاية، قُل للخوارج: (من يُناسبكم؟ من يكون أميركم؟) لا أحد! فكلّ أحد ينتقدونه بانتقاد! ففي النّهاية كلّما جاءهم أحد نازعوه!

في هذا الشّأن نبيّهم يقول لهم: {إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ}! هل هناك أكثر من أن يكون {اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا}؟! مباشرة ماذا قالوا؟ {أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا}! فالمهمّ لديهم أن يتنازعوا الآن! {وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ} اعترضوا على ربّ العالمين!

سنرى؛ فإنّ لديهم أسبابًا! أصل المشكلة في الاعتراض، والمنازعة، لكن كأنّهم يقولون: (لكن اعتراضنا، ومنازعتنا منطقيَّة)! لماذا منطقيّة؟! لأنّ الملك لابدّ أن يكون عنده سعة من المال؛ فأُجيب على حجّتهم هذه: أوّلا: {إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ} اختاره؛ لعلمه -سبحانه وتعالى- أنّ هذا هو المناسب، لكن هم ينازعون أمر الله! {وَزَادَهُ بَسْطَةً} في شأنين: {فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ}.

إذًا معنى ذلك: ما هي أسباب النّصر؟ ماذا ينبغي أن يكون عند القائد؟ {بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ} مزيد علم، ومزيد قوّة بدنيّة:

- **القوّة البدنيّة: يصبر بها، لأجل أن يحتمل، لا يكون ضعيفًا، لا يكون هزيلًا.**
- **مزيد العلم: يُفَكِّر به، وعنده حكمة.**

فهكذا يخلق ربّنا بعض الخلق ويكون فيهم قوّة بدنيّة، وفي نفس الوقت يكون عندهم علمًا؛ لأنَّه ممكن يكون عنده قوّة بدنيّة لكنّ عقله خفيف، ما عنده علم ولا حكمة ولا يضع الأمور في مواضعها؛ فإذَا اجتمع الشّأنان، بسط الله له في الشّأنان، صار إذًا وليّا.

وإن كان في هذا الموطن إنّما هو من اصطفاء الله، لكنّ {اللَّهَ اصْطَفَاهُ} بالأسباب، يعني أظهر الأسباب. فالقضيّة ليست مجرّد اصطفاء، لكن بأسباب؛ لتعرف أنَّه من هنا يحصل النّصر.

إذًا من أسباب النّصر: أن يكون هناك قائد عنده {بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ}، {بَسْطَةً} **بمعنى**: سِعَةٌ، بدليل أنّ الآية خُتمت: {وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ} يُوسّع على من يشاء.

{يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ} هل تُنازع ربّنا؟! فهذا من أهمّ أسباب الهزيمة: أنّ أحدًا أعطاه الله {بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ} وجماعة كبيرة من المسلمين قبلوا به، وصار وليّ أمرهم؛ يظلّ في صحوته ونومه يقول: (لماذا هذا؟! ولماذا اخترتم هذا؟!) فأكيد سيُهزمون بهذه الطّريقة!

والنّفوس كما ذكرنا فيها البغي والحسد: (لماذا هو؟ وليس أنا؟!) أنت لو تقولين له: (إذَا لم يكن هذا؛ فمن يكون إذًا؟!) فيقوم بوضع دائرة كبيرة ويضع نفسه في وسطها! وبعد ذلك يقول لك: (هذا فيه عيب! وهذا فيه عيب!) إلى أن يظهر أنه هو الذي يصلح في النهاية! يريد نفسه!

وهذا التّفكير الإنساني؛ الّذي يكون هكذا حالته: سببه الرّئيسي أنَّ الإنسان يرى رأيه على رأي النّاس، يرى أنَّه هو الّذي يفهم، وهؤلاء كلّهم مجموعة أغبياء، ومن ثمّ يجد الإنسان نفسه غير قابل أبدًا للتّسليم بمحاسن الآخرين، يعني لو وجدت في نفسك -بعيدًا الآن عن السّلطة وعن الملك- أنّ أيّ أحد له أثر في المجتمع، تنتقده دائمًا -هذا بينك وبين نفسك- وكلّ أحد يبرز وله أثر صلاح وإيمان، وليس فسقًا وفجورًا فإنّ الفسق والفجور لابدّ أن تنتقده، لكن صلاح وإيمان ونفع وتجد نفسك تنتقده وتنتقده ولست قادرة على أن تقبل أيّ أحد له أثر، فإذًا أنت مريض -بهذه الطّريقة- أنت عندك مرض، وهذا المرض مُركَّب من الكِبْر والعُجب وإرادة العلو؛ بحيث أنّه لا يقبل الإنسان أبدًا أيّ أحد يكون له أثر!

وهذه الحالة الّتي كان عليها بنو إسرائيل، يُقال لهم: قد بعث الله {لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا} فلا يريدون أن يستسلموا، ثمّ عُلِّلَ لماذا هو يصبح الملك! لكنّهم لا يريدون أن يستسلموا {وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ}.

يقول الله عزّ وجلّ: {وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ}(١)

ربَّنا أعطى له آية، ما هي هذه الآية؟ {التَّابُوتُ}.

وهذا {التَّابُوتُ} الكلام حوله كثير، لكن في النّهاية نحن نؤمن بالغيب، أنّ هذا {التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ} من ربّنا -الله أعلم بحاله- تقرئين عند المفسّرين كلامًا مجملًا، وكلامًا مفصّلًا، ليس هناك أدلّة واضحة تحدّد بالضّبط ما هو هذا {التَّابُوتُ}. **لكنّ المقصد**: أنّه أيضا معه دليل، ونرى الآن ماذا فعلوا معه:

يقول الله عزّ وجلّ: {فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا

(١) سورة البقرة: ٢٤٨.

مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ}(١)

الآن سيظهر لنا أيضًا من أسباب الهزيمة: كونهم لا يصبرون على البلاء، ماذا قال الله عزّ وجلّ؟ {إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ} أي أنّه ابتلاء {بِنَهَرٍ} أُمِرُوا ألّا يشربوا منه {إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً} المقصود: أنّ هذا النّهر، لا تسأل لماذا مُنعوا عنه، فهناك أسباب تتّصل بالقتال، وهناك أسباب تتصل بالصّحّة، بالقوّة، بالسّير، ممكن أن نعلّل: لماذا مُنعوا أن يشربوا من النّهر؟ لأنّ الشُّرب والامتلاء يمنعهم من قطع النّهر، ومن ثمّ من السّير، المفترض حين يُقاتلون أن يشربوا قليلا، ويأكلوا قليلًا، إلى آخره. لكن ليس هذا الّذي يهمّنا، وإنّما الّذي يهمّنا أنّه كان هذا أو غيره ابتلاء عليهم: أنّكم ستمرُّون على نهر، وأنتم في غاية العطش؛ سُمح لكم أن تأخذوا {غُرْفَةً} بحيث أنّكم فقط تسدّون العطش الأساسي، لكن لا تتوسّعوا! **يعني**: هناك أسباب دنيويَّة لعدم التّوسّع، **لكن بغضّ النّظر عن هذه الأسباب الدّنيويَّة، أنت تُبْتَلى بأمور وتُنهى عنها، لأجل أن تعلم: أنَّك ما عندك صبر على أمر الله.**

أي يُبْتَلى الإنسان بما يكشف له نفسه؛ فهم اكتشفوا الآن أنفسهم!

من أطاعه في هذا؟ القليل منهم أطاعوه في هذا. هؤلاء القليل هم الّذين قدروا على القتال؛ فالآن هم مُنعوا من ذلك، ومع ذلك فعلوا وتجاوزوا النّهر وذهبوا معه، سواء الّذين شربوا أو الّذين لم يشربوا؛

فلمَّا واجهوا العدوّ من الّذي ثبت؟

ماذا قال الآن الّذين كانوا قد شربوا هناك؟ {لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ} مادام انهزم أمام شربة ماء، ماذا سيكون موقفه أمام العدوّ؟!

ولذلك كثير من الشّباب حين ينازعونا على مسألة الجهاد، يقول لك: (افتحوا لنا باب الجهاد! وسترون! وترون!) بينما حين تأتي تُوقظينه لصلاة الفجر؛ فإنّه لا يستيقظ! وتُوقظيه لصلاة العصر؛ فلا يريد أن يستيقظ!

فتقولي له: (قم صلّ الفجر ولو مرّة! ثمّ بعد ذلك تكلّم عن الجهاد!) يقول لك: (لا! فهذا شأن وهذا شأن! عندما نكون في المعركة؛ يكون وضعي مختلفًا!)

(١) سورة البقرة: ٢٤٩.

نقول له: (الله -عزّ وجلّ- ابتلى بني إسرائيل بنهر، منعهم من الشّرب منه، ما قدروا أن يمتنعوا! فالّذين ما قدروا على الامتناع عن الشّرب هم بأنفسهم لمّا قابلوا العدوّ، انهزموا! {قَالُواْ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلۡيَوۡمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ} قبل بدء المعركة! فهذه سُنّة: تُهزم أمام نفسك، أمام شهواتك؛ أمام النّوم؛ أمام الشّرب؛ من المؤكّد أنّ هذا سيلحقه أنّك تُهزم أمام العدوّ، أنّك تهرب -أصلًا- من العدوّ.

ولذلك {قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللَّهِ} إذًا من أسباب النّصر الإيمان باليوم الآخر: {أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللَّهِ} يعني: أنّهم سيلاقون الله، فالإيمان باليوم الآخر هو سبب للنّصر: {كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةَۢ كَثِيرَةُۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ}

إذًا من أسباب النّصر: الصّبر لله، وليس الصّبر كطبع، أو التّجلد، لا! وإنّما الصّبر الّذي يكون لله.

يقول الله عزّ وجلّ: {وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ}(١)

إذًا من أسباب النّصر: الدّعاء الّذي يدلّ على الاستعانة، الدّعاء الّذي يدلّ على فقر العبد.

معنى ذلك: لمّا صاروا في المعركة، طلبوا العون من ربّ العالمين، وما اعتمدوا على أنفسهم، وهذا من أسباب النّصر. ماذا طلبوا؟

١. **أن يُفرغ عليهم الله صبرًا.**

٢. **أن يثبّت أقدامهم.**

٣. **أن ينصرهم على القوم الكافرين.**

نهاية القصّة الآن:

يقول الله عزّ وجلّ: {فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ}.

{بِإِذْنِ اللَّهِ} هذا هو الشّيء المهمّ: أنّ الهزيمة للعدوّ إنّما تكون {بِإِذْنِ اللَّهِ} وهذا هو: الّذي تؤمن به.

(١) سورة البقرة: ٢٥٠.

يقول الله عزّ وجلّ: {وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ (٢٥١) تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ}(١)

إذًا الآن انتهت القصّة الّتي كانت شاهدًا على أسباب النّصر، فناقشنا مسألتين الآن هنا:

المسألة الأولى: القوم {ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَهُمۡ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ} **إذًا: الجهاد ليس سببًا للموت.**

المسألة الثّانية: أنَّ للنّصر أسباب ظهرت في هذه الآيات.

إن شاء الله المرّة القادمة بأمر الله، نعود لنُجمل آيات الوفاء بالعهد؛ الّتي هي في مسألة الزّواج.

جزاكم الله خيرًا.

السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته

(١) سورة البقرة: ٢٥١_٢٥٢.

مدارسة سورة البقرة

"دارسة إجماليّة"

أ. أناهيد بنت عيد السميري

اللّقاء التّاسع عشر: الخميس ٧ رجب ١٤٤٠ هـ

"تابع مدارسة المقصد الثّالث (١٦٣_٢٨٣)"

بسم الله الرّحمن الرّحيم

المقدّمة: مراجعة مفهوم الشّجاعة الإيمانيّة (٢٣٨_٢٥١)

السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على سيّدنا محمّد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

بسم الله، توكّلنا على الله، نبدأ من حيث انتهينا المرّة الماضية، وكنّا في المرّة الماضية اتّفقنا أنَّ موضوع الجهاد احتلّ موطنًا كبيرًا في السّورة.

وكنَّا في الآيات الّتي تساعد المجاهد على **الشّجاعة الإيمانيّة** الّتي ابتدأت: **بحكم الصّلاة**.

فإذًا في حكم الصّلاة وردت آيتان.

{حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ}[1] في كلّ وقت، وفي كلّ حال {حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ}؛ ومن الأحوال الّتي تحافظون فيها على الصّلاة: في الجهاد.

فإذًا القوّة المعنويّة تأتيكم من هنا، كأنّ هذه أسباب **الشّجاعة الإيمانيّة**.

من أين تأتي الشّجاعة الإيمانيّة؟

أوّلًا: تأتي من المحافظة على الصّلاة.

ثانيًا: لا تخافوا على من ورائكم.

كيف لا تخافون على من ورائكم؟ يعني لو تركتم زوجات، لو تركتم حتّى مطلّقات، سيكون لهم أحكام خاصّة بهم، فأتى الكلام هنا عن المتعة وأنَّ لها شأن خاصّ، يعني زوجة المجاهد في سبيل الله، الّذي يُقتل في سبيل الله، أو طليقته؛ سيكون لها أحكام خاصّة.

انتهينا من هاتين المسألتين. **إذن ممَّا يأتي بالشّجاعة الإيمانيّة:**

---

(١) سورة البقرة: ٢٣٨.

الأمر الأوّل: المحافظة على الصّلاة.

الأمر الثّاني: الطّمأنينة لمن ورائهم.

الأمر الثّالث: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ} **فممّا يُخيف الإنسان، ويُضعف شجاعته: الخوف من الموت؛** فالآيات ماذا كانت تقول؟ أنَّ الموت ليس قرين القتال؛ لأنَّ الإنسان ممكن أن يخرج حَذَرًا من الموت فيموت، يعني ممكن ألّا تقاتل حَذَرًا من الموت؛ فتموت في غير القتال!

صارت هذه ثلاثة أمور، نوقشت في **الشّجاعة الإيمانيّة.**

الأمر الرّابع: قصّة طالوت، وما حدث في هذه القصّة من أحداث، وكيف تَفْهَم الشّجاعة الإيمانيّة، وكيف أنَّ الإنسان ما يكون شجاعًا حقّا، ومؤمنًا؛ إلّا إذا استطاع أن يحبس نفسه عن شهواته.

فأوَّل الشّجاعة أن تكون شُجاعًا مع نفسك، وأن تكون قادرًا على ضبط نفسك. أمَّا إذا كنت جبانًا من نفسك! وخائف منها! ولا تريدها أن تُلِح عليك! ولا تريدها أن تؤذيك! فإذًا مثل هذا ما يصلح للجهاد؛ ولذا امتحنهم الله بالنَّهر؛ فالّذي اغترف منه غُرفة واحدة، بمعنى أنّه يحصل له فقط إشباع الحاجة الأساسيّة؛ هذا نفع بعد ذلك. وأمَّا الّذي كان نَهِمًا؛ فشرب، وشرب؛ هذا في النّهاية ما استطاع أن يُقاتل العدوّ.

وهذه حالة النّاس: أنَّه لو كان عندهم حالة من الشّجاعة في ضبط شهواتهم، عندهم شجاعة في منع أنفسهم من هواهم، وعندهم شجاعة ألّا يتركون الشّيطان يُسَيْطر عليهم، مثل هؤلاء ينفعون في كلّ مكان، وإذا كان لا! فإذًا أنت جبان! وضعيف الإيمان! ففي أيّ مكان توضع لن تنفع. فلابدّ أن تعود: كلمة الشّجاعة، قيمة الشّجاعة، إلى مكانها في نفوسنا، وأنَّ انتصارك على نفسك من أهمّ دلائل أنَّك شجاع.

بذلك انتهى الكلام عن: **الأربع أمور الّتي بها أتت الشّجاعة الإيمانيّة:**

النّقطة الأولى: المحافظة على الصّلاة من أسباب الشّجاعة الإيمانيّة.

النّقطة الثّانية: الطّمأنينة على من وراءنا من أسباب الشّجاعة الإيمانيّة.

النّقطة الثّالثة: عدم الخوف من الموت من أسباب الشّجاعة الإيمانيّة: أن تعلم أن الشجاعة ليست سببًا للموت، فإذَا كان هناك موت فإنّه سيأتي، سيأتي كنت شجاعًا أو جبانًا.

النّقطة الرّابعة: أنّ الشّجاعة أهمّ علاماتها: حبس النّفس عن الشّهوات.

وبذلك نكون انتهينا عند الآية (٢٥١).

مدارسة الآيات (٢٥٠_٢٥٢)

اقرئي نهاية القصّة، (٢٥١_٢٥٢):

يقول الله عزّ وجلّ: {وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (٢٥٠) فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ (٢٥١) تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ}.

{وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ} دَعَوْا بثلاث جملٍ، قالوا:

١. {رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا}.

٢. {وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا}.

٣. {وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ}.

وهذه الثّلاث هي الّتي تمثل ثلاث أسباب النّصر، **يعني: ثلاثيّة النّصر**، بمعنى: أنَّ النّصر يحتاج إلى ثلاث أمور:

أوّلًا: أن يكون الإنسان صبورًا على مشاهدة المخاوف فالشّجاعة الإيمانيّة تحتاج منك أن تَتَخَطَّى المخاوف.

ثانيًا: أن يكون الإنسان قد وجد من الأدوات والآلات ما يستطيع به أن يُقاتل.

فالأولى، كيف أتت؟ {أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا} لأجل أن يكون عندك صبر؛ ستحبس نفسك حتّى حين تشاهد هذه الأمور الصّعبة، والأهوال الكبيرة؛ تجد نفسك صابرًا، حابسًا نفسك عن أن تفرّ من الزّحف.

{وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا} لأنّك حين تثبت قدمك؛ تستطيع أن تنتفع من آلتك، آلة القتال: السّهم، البنادق، الرّصاص، وإلى آخره؛ لو ما ثبت القدم، ما يستطيع الإنسان أن ينتفع من الآلة.

ثالثًا: أن تكون قوّة الإنسان زائدة على قوّة عدوّه لأجل أن ينتصر ولذلك هم قالوا: {وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ} قوّته زائدة على قوّة العدوّ سواء بالعدد، أو العدَّة معًا، وهناك الّذي هو أهمّ من العدد والعدَّة، الّذي هو الرّوح القتاليّة، الغاية، المقصد؛ لمّا تكون هناك روح قتاليّة، هناك شجاعة؛ تهزم العدوّ حتّى لو كان العدوّ أكثر!

وهذه الرّوح القتاليّة لا تأتي إلّا منّةً من الله. ونحن عندما نتكلّم عن قتال المؤمنين بالكافرين؛ فإنّنا نتعدّى السّنن العاديّة، السّنن الكونيّة، وننتقل لسنن خاصّة؛ **فإنّ نصرة الله للمؤمنين تكون على مقدار**:

١) **قوّة استعانتهم بربّهم.**

٢) **وقوّة إخلاصهم لربّهم.**

٣) **وقوّة ائتمارهم بالأمر، قوّة الطّاعة لله، ولرسوله، ولوليّ أمرهم؛ الّذي تولّى أمرهم في القتال.**

أمّا القوانين العاديّة، فغلبة القتال فيها تكون على حسب الأقوى، طرفان كافران يتقاتلان؛ كيف تكون نُصرتهم؟ على حسب العُدَّة، والعتاد، والشّجاعة الدّنيويّة. لكن طرف مؤمن وطرف كافر: كيف ينصر الله المؤمنين؟ بهذه الثّلاثة أمور الّتي ذكرناها.

- ولذلك في أُحد هُزم المسلمون بسبب ضعف الطّاعة.
- وفي حُنين بسبب اغترارهم بالكثرة؛ فاغترارهم بالكثرة جعل هناك ضعف في إخلاصهم لربّ العالمين، وهناك ضعف في استعانتهم بالله.

فصارت هذه الثّلاثة هي سبب النُّصرة. وعلى ذلك فإنّ المؤمنين مع الكافرين، غير الكافرين مع الكافرين. سنّة الله في قتال الكافرين مع الكافرين، غير سنّة الله في قتال المؤمنين مع الكافرين.

- **الكافرون مع الكافرين:** العدد، والعُدّة، وما يتّصل بالدّنيا. الّذي يكون أقوى، الّذي يكون عنده مكر أكثر هو الّذي ينتصر.

- **المؤمنون مع الكافرين:** مسألة أخرى، إذَا كان المؤمنون صادقين، مخلصين، مستعينين، مطيعين؛ فإنّهم ينتصرون على عدوّهم ولو كانوا أقلّ منهم، وإذَا حصلت مُخالفة فيها هذه الثّلاثة؛ إذًا تحصل الهزيمة حتّى لو كان عددهم كثر.

وأنت دائمًا اعتبري بالغزوات الثّلاثة: بدر، أُحد وحُنين. ضعيها أمامك لأجل أن تفهمي سنّة الله، وفي كلّ واحدة منهنّ درس:

١. **غزوة بدر:** في بدر كان المؤمنون أقلّ عُدَّة، وعَتادًا، لكن أقوى إخلاصًا، وأقوى طاعة لرسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- وأقوى استعانة؛ فنزلت الملائكة قاتلت معهم.

٢. **غزوة أُحد:** وفي أُحد؛ أنت تعرفين ما الّذي حصل.

٣. **غزوة حُنين:** وأيضا في حُنين أنت تعرفين ما الّذي حصل.

فهذا دليل على أنَّ الله يعامل عباده المؤمنين، بسُنّة مختلفة، عن سُنّة معاملته للكافرين. وهذا واضح جدّا في هذا الدّعاء؛ لأنّهم طلبوا ثلاثة أمور:

الأمر الأوّل: {أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا}.

الأمر الثّاني: {وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا}.

الأمر الثّالث: {وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ}.

كانت هذه هي الآية الّتي مرّت معنا سابقًا، ترتّب على ذلك أنَّ الله استجاب دعاءهم؛ فعجّل لهم النّصر؛ بدليل: (الفاء) في قوله: {فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ} معناها: عُجّل لهم النّصر معناها: أفرغَ عليهم صبرًا، وثبّتَ أقدامهم، ونَصَرَهم على القوم الكافرين.

وهنا يظهر داود عليه السّلام: {وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ} وهذا كلّه إنَّما هو بأمر الله؛ لأنَّك تقرئين: {فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ} فظهر دور داود -عليه السّلام- وظهر أنَّ الله -عزّ وجلّ- آتاه: {الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ}.

ثمّ أتت القاعدة العامّة، وهي قوله تعالى: {وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ} **بمعنى:** لولا أنَّ الله – عزّ وجلّ– شرَّع هذه الشّريعة؛ الّتي هي شريعة القتال، الجهاد، لظهر الفساد في البرّ والبحر.

وخُتم هذا المقطع بقوله تعالى: {تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ} لأنَّ هذه القصّة خاصّة ببني إسرائيل، ومع ذلك أتى للمؤمنين الخبر الكامل عن حقيقتهم.

مدارسة الآيات (٢٥٣_٢٥٥)

يقول الله عزّ وجلّ: {تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ (٢٥٣) يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٢٥٤) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ}[١]

إلى هنا؛ فإنّ هذا السّياق، انتقل من الكلام عن الأنبياء، للكلام مرّة أخرى على: الإنفاق في الجهاد، وفي القتال لصحّة ما تحمل من اعتقاد.

سنبدأ أوّلا بالآية (٢٥٣) الّتي هي قوله تعالى: {تِلْكَ الرُّسُلُ}:

كأنّه يُقال: أولئك الرّسل؛ إشارة إلى مَا مرَّ من الكلام عن الرّسل. سواء رُسل بني إسرائيل؛ الّذي ذُكر منهم قريبًا: داود –عليه السّلام– أو كلّ ما ذُكر في السّورة، أو الرّسل عمومًا؛ إشارة إلى أنّ الرّسل يحصل بينهم تفاضل؛ ويحصل مع الرّسل نوعان من القتال:

١. **قتال أعداؤهم.**

٢. **قتال يحصل بين أتباعهم.**

سنرى **قتال أعدائهم:** سنقرأ الآية (٢٥٣) جملة، جملة الآن:

---

(١) سورة البقرة: ٢٥٣_٢٥٥.

{تِلْكَ الرُّسُلُ} هذا تقرير أنّ الله يفضّل الرّسل بعضها على بعض. التّفضيل يأتي من حيث المزايا الّتي تكون لكلّ رسول في علاقته بربّه {مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ} يُقصد به موسى عليه السّلام.

{وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ} وعيسى له ميزته في كونه آية في خلقه {وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ}. إذًا هذه من الميزات، وطبعا نبيّنا -صلّى الله عليه وسلّم- كان له القَدَح المُعلَّى في ذلك، فهو الّذي فُضِّل على جميع الرّسل؛ وإن كان إبراهيم -عليه السّلام- يشاركه -صلّى الله عليه وسلّم- في الخُلّة.

{وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ} الآن خَبر عن أنَّ من أسباب القتال: **الحسد**، أين؟ {وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ} يعني عندما تأتي إلى مسألة القتال، وأنَّها من آيات الله العظيمة الّتي فيها إبقاء للأرض طاهرة؛ لأنَّه في الآية (٢٥١) {وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ} ما السّبب لفساد الأرض؟ ما السّبب للقتال؟ يعني شُرِّع القتال من أجل منع فساد الأرض، ما سبب أصلًا أن يحصل القتال؟ انظري الآية (٢٥٣) ما السّبب؟ {وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ} **يعني**: ما الّذي هو متوقّع من بعد أن تجيئهم البيّنات؟ أن يقبلوا الحقّ، هذا الّذي كان متوقّعًا.

لكن ما الّذي حصل لهم؟ {ٱخْتَلَفُواْ} والاختلاف هل لعدم ظهور الآيات البيّنات؟ لا! وإنَّما الاختلاف بسبب ما في النّفوس من **حسد** -كما مرّ معنا سابقا- أنّهم: {بَغْيًا بَيْنَهُمْ} فقد مرّ معنا تقرير هذا: أنّهم ما اختلفوا إلّا بسبب **البغي**، يعني: بسبب **الحسد**.

إذَا كان **الحسد** هو السّبب؛ **لذَا لابدّ من إزالة الحاسد لإبقاء الحقّ**.

وسنرجع مرَّة أخرى: أليس الله بقادرٍ على ألّا يجعل هناك قتالًا؟ **بلى قادر! لكن هذه سنّته لإظهار أهل الإيمان من أهل الكفر؛ لترقية حال أهل الإيمان؛ لأنَّ باب الجهاد يدخل فيه جميع العبادات، وهو سَنَام الإسلام، وفيه تظهر قوّة الإيمان، ولا يشارك الجهاد عبادة أخرى في الأجور المترتّبة عليه؛ فجعل الله الجهاد بابًا من أوسع الأبواب للوصول إلى الأجور، ولمنع الفساد في الأرض.**

الله قادر على ألّا يجعل في الأرض فسادًا، الله قادر على ألّا يجعل النّاس يقتتلون، لكن لو حصل هذا؛ فمعناه: أنّه ذهب المقصود من وجود النّاس في الأرض، واختبارهم في الحياة.

القتال دليل على أنَّ الإنسان مُصدِّق، مُتيقّن بهذه الرّسالة، ويُدافع عنها، يقاتل عنها؛ فما كان هناك عمل يُشارك الجهاد في الأجور.

{وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ} ما كانوا اقتتلوا {وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ}.

إذَا ناقشنا الجهاد بهذه الطّريقة: سيأتينا دائمًا تبع **الجهاد** هذه المسألة، وهي: مسألة **الإنفاق** لأنَّ الإنسان في **الجهاد** يُنفق نفسه، ويُنفق ماله. وبعض النّاس في **الجهاد** ينفقون أموالهم ولا ينفقون أنفسهم؛ وبعض النّاس ينفقون أنفسهم ولا ينفقون أموالهم، والكمال لمن جمع بين الشّأنين، وكلٌّ على حسب حاله.

لكن أنتم أكيد تلاحظون أنَّ الكلام عن **الإنفاق في سبيل الله** في السّورة متكرّر جدًا، أكثر حتّى من الكلام عن القتال بالبدن؛ نحن في الآية (٢٤٥) سمعنا: {مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا}، ونحن الآن في الآية (٢٥٤) يعني ليس هناك آيات كثيرة بينهما، ما السّبب في ذلك؟ الجواب: **أنَّ الإنفاق جهاد بالمال لا يخلو منه زمن، في مقابل الجهاد بالنّفس له أحوال خاصّة، يعني**: لابدّ أن يقوم سُوق الجهاد، لابدّ أن يكون هناك وليّ أمر، لابدّ أن يكون هناك جيش، هذا كلّه لأجل أن يحصل الجهاد بالنّفس.

في مقابل أنّ الجهاد بالمال لا يخلو منه زمن، إذَا خلا زمن من القتال، ومن الإنفاق على نفس القتال؛ لن يخلو زمن من الإنفاق على العِلم، من الإنفاق على المعلّمين، من الإنفاق على المسلمين على وجه العموم، مثلا: على الأوقاف وتقويتها؛ ليقوى شأن المسلمين وقتما يأتي القتال.

فالمقصد: أنَّ الإنفاق جهاد لا يخلو منه زمن؛ ولذلك تكرّر ذكره في سورة البقرة، السّورة الحاضَّة على الجهاد، في مقابل أنّ الجهاد بالنّفس له أزمنته الخاصّة.

والآن سنلاحظ أيضًا، أنّه أتى الكلام عن الإنفاق، وبعد ذلك أتت آية الكرسي؛ فهذا فيه معنًى خاصًّا أيضا يدلُّك على مكانة الإنفاق.

دعونا نقرأ سويّا الآية (٢٥٤) جملة، جملة:

الجملة الأولى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ} إذًا هذا أمر بالإنفاق، وتنبيه أنَّ هذا الإنفاق إنَّما هو إنفاق من عطيَّةِ الله، ممَّا رزقك الله.

يأتي الأمر الثّاني:

الجملة الثّانية: {مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ} هذا وعظ للإنفاق، ما الوعظ؟ أن تذكّر بأنّك ستأتي وحدك، ولا يكون معك شيء ممّا حصّلته في الدّنيا، ستتركه كلّه، وتُسأل عنه كلّه، فيقال لك وعظًا: {مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ} ما وصفه؟

الجملة الثّالثة: {لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ} ستأتي وحدك {لَّا بَيْعٌ}، {وَلَا خُلَّةٌ}، {وَلَا شَفَاعَةٌ} كلّ هذا الّذي يغرّك في الدّنيا، وتجد من يعينك، من يفعل لك، من يساعدك، من يحبّك؛ كلّ هذا سيكون مجرّدًا، ستأتي فردًا.

الجملة الرّابعة: {وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ} والّذي سيكفر بذاك اليوم، من المؤكّد أنّه لن يستعدّ له، **والإنفاق من أعظم دلائل الإيمان باليوم الآخر؛ لأنّ الصّدقة ما سُمّيت صدقة إلّا لدلالتها على صدق المُنْفِق، يعني: على قوّة تصديقه؛ لذلك هي برهان الإيمان.**

ما هي العلاقة بين آية الكرسي وبين الإنفاق؟

اقرئي الآية الّتي بعدها جملة، جملة:

الجملة الأولى: {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ} سنبدأ الآن بآية الكرسي، والعلاقة بين آية الكرسي وبين الإنفاق علاقة هي في الأصل غاية في الوضوح، لكن ربّما كلّ مرّة ننتقل من آية الإنفاق لآية الكرسي دون أن تتبيّن لنا هذه العلاقة الواضحة.

نحن الآن اتّفقنا أنّ الصّدقة بُرهان على تصديقك بالحقّ، أي أنّ المُصدّق بالحقّ، ويعلم أنّ وراءه {يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ}، وَ {ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ} [1] من يُصدّق بهذا؛ يعمل لذلك اليوم، وأعظم الأعمال الجهاد. والجهاد له صورتان:

- **صورة الجهاد بالنّفس.**
- **وصورة الجهاد بالمال.**
- **أو هما معًا.**

(١) سورة الزخرف: ٦٧.

فمن كان مُصدّقا تصديقًا تامًّا؛ سيكون بذله يسيرًا جدًّا لنفسه، ولماله؛ والّذي يضعف تصديقه؛ يضعف بَذْلُه. فأصبح البذل في سبيل الله دليل التّصديق باليوم الآخر، دليل التّصديق بعظمة الله، دليل التّصديق بصدق ما العبد عليه من الإيمان.

وكأنَّك تقولين: النّاس عندهم مال، ومقاصدهم وأهدافهم هي الّتي تحكم إنفاقهم:

- فإذا كان الإنسان صادقًا، ومتيقِّنًا بالله، وباليوم الآخر؛ ستكون الآخرة أكبر همّه، وسيترجم هذا بإنفاقه أو دعونا نقول: بجهاده.
- وإذا كانت الدّنيا أكبر همّه؛ سيكون جهاده في دنياه، سواء جهاده بنفسه، أو جهاده بماله.

فأنت ضع مقياسًا لقوّة إيمانك: آمالك حتّى لو لم يكن معك مال.

وفي الحديث: (مَثَلُ هَذِهِ الْأُمَّةِ مَثَلُ أَرْبَعَةِ نَفَرٍ: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا وَعِلْمًا، فَهُوَ يَعْمَلُ بِهِ فِي مَالِهِ يُنْفِقُهُ فِي حَقِّهِ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ عِلْمًا وَلَمْ يُؤْتِهِ مَالًا، فَهُوَ يَقُولُ: لَوْ كَانَ لِي مِثْلُ مَالِ هَذَا، عَمِلْتُ فِيهِ مِثْلَ الَّذِي يَعْمَلُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَهُمَا فِي الْأَجْرِ سَوَاءٌ وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا وَلَمْ يُؤْتِهِ عِلْمًا، فَهُوَ يَخْبِطُ فِيهِ يُنْفِقُهُ فِي غَيْرِ حَقِّهِ، وَرَجُلٌ لَمْ يُؤْتِهِ اللَّهُ مَالًا وَلَا عِلْمًا، فَهُوَ يَقُولُ: لَوْ كَانَ لِي مَالٌ مِثْلُ هَذَا، عَمِلْتُ فِيهِ مِثْلَ الَّذِي يَعْمَلُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَهُمَا فِي الْوِزْرِ سَوَاءٌ)[١]

فهذان رجلان، واحد آتاه الله المال، فهو ينفقه في هلكته في سبيل الله، الثّاني ما معه، لكنَّه صادق في أنَّه يتمنَّى أن يكون معه، فينفقه في سبيل الله (فَهُمَا فِي الْأَجْرِ سَوَاءٌ).

فهذا هو المقصود: أنت ممكن ألّا يكون معك مال، لكن تتمنّى أن يصير معك مال، وأوَّل ما يخطر في خاطرك أن تتمنّي المال يكون بهدف أن تنفقه في سبيل الله، أصلًا لا تتمنّيه إلّا لإنفاقه في سبيل الله. وهذا ليس فيه غشّ، ولا كذب لأنَّ الله يعلم ما في الصدور؛ يعلم سبحانه وتعالى: {خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ}[٢] فليس فيه غشّ.

فتصوَّري: أن يكون الإنسان غاية في التّصديق بما يحمل من حقّ، ويتمنَّى أن يبذل نفسه، وماله في سبيل هذا الحقّ، حتّى لو لم يكن عنده مال، وحتّى لو لم يكن عنده فرصة لبذل نفسه؛ (فَهُمَا فِي الْأَجْرِ سَوَاءٌ).

---

(١) أخرجه أحمد (١٧٧٦٢).

(٢) سورة غافر: ١٩.

في مقابل: أنّ الثّاني ينظر إلى النّاس الّذين عندهم مال -كما في الحديث- فالآن هو ما عنده مال، بينما الثّاني عنده مال ويُنفقه على شهوته!

أليس لدينا في الحديث أربع أصناف؟ (مَثَلُ هَذِهِ الْأُمَّةِ مَثَلُ أَرْبَعَةِ نَفَرٍ: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا وَعِلْمًا، فَهُوَ يَعْمَلُ بِهِ فِي مَالِهِ يُنْفِقُهُ فِي حَقِّهِ) يعني يُنفقه في سبيل الله، الثّاني ما عنده مال لكنّه صادق في النّيّة، صادق في أنّه: (لو كان عندي مال سأنفقه مثله) (فَهُمَا فِي الْأَجْرِ سَوَاءٌ).

نأتي للصّنفين الثّانيين: هذا عنده مال لكن يُنفقه على شهوته، هذا أكيد إن كان الإيمان موجودًا فهو ضعيف! المشكلة فيه وأيضا في الثّاني الّذي ما عنده مال، ولكن كلّ فترة يرى هؤلاء، ويتصفّح صفحاتهم على "السّناب شات" وغيره، وبعد ذلك يتمنّى أن يفعل مثله! أن يأتيه مال، وينفقه في شهواته! (فَهُمَا فِي الْوِزْرِ سَوَاءٌ).

فأنت لابدّ أن تأتي بشاهد لنفسك -وربّنا مُطّلع على ما في قلبك- شاهد لنفسك أنّك مُتيقّن بأنّ هذا الدّين هو الحقّ، وأنّك إلّا ستلقى ربّ العالمين يُكَلِّمُك وما بينه وبينك تُرجمان (مَا مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ)[1] ستكلّمه، وستُسأل عن الأربع: (لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ أَرْبَعٍ: عَنْ عُمْرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ جَسَدِهِ فِيمَا أَبْلَاهُ، وَعَنْ مَالِهِ فِيمَا أَنْفَقَهُ، وَمِنْ أَيْنَ كَسَبَهُ)[2] ستُسأل عن عمرك عن مالك، عن شبابك، كلّ هذا الّذي تنفق منه الآن سواء كان مالًا، أو صحّةً، أو وقتًا، كلّه ستسأل عنه.

فالمقصد الآن: الدّليل على التّصديق، البرهان على التّصديق: بذل النّفس والمال.

الّذي عنده يبذل ما يستطيع لأجل أن يقول لربّه: (أنا الآخرة أكبر همّي).

والّذي ما عنده؛ يتمنّى أن يكون عنده؛ لأجل أن ينفق (وهما في الأجر سواء) وليس هناك كذِب على ربّ العالمين! ليس هناك كذِب على ربّ العالمين! الصّادق صادق، والكاذب كاذب، ويوم القيامة تُنشر الحقائق، ويظهر كذبه لنفسه، وللخليقةِ كلِّها، والصّادق يرفعه الله -عزّ وجلّ- في الدّنيا وفي الآخرة.

المقصد الآن: بعد هذا النّقاش كلّه؛ يأتي ما يؤكّد أنّ هذا هو الحقّ، ما يؤكّد أنّ الله له الكمال: {لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ} فتأتي آية الكرسي تقول: لو بذلت مالك ونفسك في سبيل الله فقد بذلتهما في الحقّ؛ بذلت نفسك ومالك فيما يستحقّ، فالله {لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ} الّذي {لَا

(١) أخرجه البخاري (٧١١٤).

(٢) المعجم الكبير للطبراني (١١٠١٦).

تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ} فوصف نفسه بالكمال؛ الّذي يجب أن يكون يقينًا في قلبك؛ لكي تبذل نفسك، ومالك، ولا تشعر أبدًا بالخسارة؛ بل تعلم أنَّك رابح! رابح!

ولذَا أبا الدّحداح –رضي الله عنه– لمّا نزلت آيات الإنفاق، ترك خير ماله في سبيل الله فقال له: (رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كَمْ مِنْ عِذْقٍ رَدَاحٍ لِأَبِي الدَّحْدَاحِ مِرَارًا، فَأَتَى أَبُو الدَّحْدَاحِ امْرَأَتَهُ، فَقَالَ: يَا أُمَّ الدَّحْدَاحِ اخْرُجِي مِنَ الْحَائِطِ فَقَدْ بِعْتُهُ بِنَخْلَةٍ فِي الْجَنَّةِ، فَقَالَتْ: رَبِحَ الْبَيْعُ) [١] ربح! مع من أنت استثمرت؟ مع ربّ العالمين (رَبِحَ الْبَيْعُ) {مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُ}[٢].

ويأتي الثّاني، ويكون على طرف المعركة، يرى العدوّ، ما بينه وبين المعركة إلّا أن يأكل هذه الثّلاث تمرات فقط لأجل أن يتقوّى؛ فمن اليقين يشمُّ رائحة الجنّة، فيلقي التّمرات، ويقبل على القتال، باذلًا نفسه في سبيل الله، متيقّنًا أنَّ هذا البذل سيكون في مكانه، وأنَّه ما ضيّع لا نفسه، ولا ماله، ولا ضيّع حياته أبدًا؛ لأنَّها في سبيل الله الّذي {لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ}.

ولذلك: {لَا إِكۡرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشۡدُ مِنَ الۡغَيِّ} فمن بذل نفسه، وماله، في سبيل الله؛ فقد وضعهما في أحسن الأماكن، وضعهما في المكان الّذي يكون وضعهما فيه صحيحًا ينفعه، وغير هذا المكان لا ينفعه الوضع.

فأتى الكلام عن الجهاد، وعن القتال، وعن الإنفاق بالنَّفس، والمال، ثمَّ أتى الكلام عن كمال الله، وكأنَّه يُقال: من جاهد في سبيل الله فقد جاهد في سبيل الحقّ، وقد كان رشيدًا بهذا القرار؛ رشيدًا بإنفاق نفسه، وماله، في سبيل الله.

المشكلة: أنّنا تأتينا فرص لإنفاق أنفسنا، ومالنا، وأوقتنا، في سبيل الله، ثمّ نمنُّ على الله أنَّنا أنفقناها! ويا خيبة هؤلاء! الّذين يكون ربَّنا قد فتح لهم الأبواب، لكن وهم في داخل الأبواب لا يشعرون أنَّهم بمِنّة الله قد يُسِّر عليهم أبواب الخير –فنسأل الله ألّا يجعلنا من القوم الّذين يمنُّون على الله إسلامهم– بل من القوم الّذين صدقوا في إيمانهم، وشعروا أنَّ المِنَّة لله، والحقّ أنَّ المنَّة لله! لو كنت صادقًا ستعرف أنَّ المنَّة لله؛ لأنَّ الإيمان هذا أعظم ما يُعطى العبد، وهو الأساس. وإنّ الدّنيا مهما لفّت بخيرها، وشرّها، بشدّتها، وبرخائها؛ مهما لفّت؛ سيكون الإيمان هو سبب صلاحك في كلّ الأحوال.

---

(١) المعجم الكبير للطبراني (١٧٤٠٦).

(٢) سورة البقرة: ٢٤٥.

- فأنت في حال الرّخاء وأنت مؤمن، أحسن النّاس، لا تفرح فرح البطر، ولا الأشَرْ، ولا يحصل منك كذا وكذا!
- وأنت في حال الشّدّة أحسن النّاس، ليس ذاك الّذي ينهار! ولا يعرف ماذا يقول! وتنقلب عليه الدّنيا! ويأتيه اكتئاب.

لا! فإنّه مع الإيمان، كلّ الّذي يدور من الأحوال هو الإنسان المؤمن في حاله سواء، فلأجل ذلك هو أعظم نعمة وأصلًا فإنّ الّذي يسبّب لك نعمة الاستقرار هو نعمة الإيمان.

فالله هو الّذي يمنُّ علينا أن هدانا للإيمان، إن كنَّا صادقين في إيماننا سنشعر أنَّ المنَّة لله.

فعلى كلّ حال، موضع آية الكرسي في هذا السّياق، موضع بديع، عجيب؛ لأنه يُقال: ابذل مالك، ونفسك في سبيل الله، وقد بذلتهما فيما يستحقّ البذل، وإذَا بذلتهما في سبيل الله؛ فاعلم أنَّ العَوَض يسبق بَذْلَك؛ فإنَّ الإنسان ما أن ينوي أن يبذل؛ إلّا والله يجعل في قلبه من الإيمان ما يزيده بَذْلًا، ويجعل أمام عينيه الأمر يسيرًا، ويقوّي نفسه على الشّيطان، فهذه كلُّها من عطايا الله لأجل أن تثبت على الطّريق يا رب {أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ}.

هكذا عرفنا الرّابط بين آية الكرسي وبين ما سبق.

ما هي العلاقة بين آية الكرسي وما بعدها؟

الآن نرى الرّابط بين آية الكرسي، وما بعدها؛ لأنّه كذلك الّذي بعدها فيه شيء من اللّطافة في الارتباط، يعني آية الكرسي، والآيتين الّتي بعدها مباشرة، واضح الارتباط بينهما:

بعد آية الكرسي، ماذا تسمعين؟

{لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ} لماذا {لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ}؟ يعني هنا دائمًا يُستشهد بهذه الآية بطريقة غير صحيحة، يظنُّون أنَّه مطلوب منَّا أن لا نُقاتل النّاس؛ لأجل أنّه {لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ}! وهذا لم يفهم المسألة، وأصلًا هذه الآيات آتية في سياق القتال.

فالمقصود: أنّه {لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ} بمعنى: أنَّ الدّين هذا هو الحقّ، لا يحتاج إلى إكراه!

وهل نحن نقاتل لأجل أن نُكره الناس؟ لا! بل نقاتل لنفتح المجال لوصول الدِّين للنّاس كلّهم؛ بحيث أنّه ما يأت أحد بسلطته يمنع هؤلاء النّاس من الإيمان.

وانظروا لفرعون مع موسى -عليه السّلام- لمَّا أتى موسى -عليه السّلام- لفرعون؛ فرعون اتّهم موسى -عليه السّلام- بأنَّه يريد أن يُظهر في الأرض الفساد! وكأنّ فرعون هو المُصلح للأرض! وموسى هو الّذي سيأتي يُظهر الفساد! لكن كيف فهم فرعون الفساد؟ فهم الفساد على أنَّه سيأتي دين صحيح يُعلِّق النّاس بربّ العالمين؛ فستفسد عليه مملكته، وسيفسد عليه تسخيره للخلق، وسيفسد عليه تفريقه بين الخلق، وستفسد عليه كلّ هذه المصالح! فأحسن له ألّا يكون هناك دين!

فالآن الخلق بهذه الطّريقة كلّهم مثل فرعون؛ عندما تكون لديهم سلطة؛ فإنّهم يأتون يمنعون النّاس من الإيمان؛ لأجل أن لا يصلح الخلق؛ فيرفضوا ما هم فيه من عبوديّة.

فيأتي الإسلام يأمر المؤمنين بقتال هؤلاء الحاجزين النّاس عن الحقّ، حتّى يصل الحقّ لكلّ الخلق.

ولذلك فإنّه في الجهاد الحقيقي، وليس الجهاد البدعي! وليس جهاد داعش وغيرها! هذا كلّه باطل، في الجهاد الحقيقي ليس هناك لا عنف، ولا وحشية! وإنّما يُقاتلون من يُقاتل، إذَا لقي امرأة في الطّريق؛ فليس له علاقة بها، إذَا لقي صبيّا في الطّريق؛ فليس له علاقة به، إذَا لقي راهبًا على غير دينه في صومعته؛ فلا يفتحها عليه، أناس مُغْلِقِينَ على أنفسهم يعبدون الله؛ ما له علاقة بهم، لا يهدموا- كما يُسمّونه اليوم- الْبُنْيَة التَّحْتِيَّة للبلاد، لا يقطعوا شجرة، ولا يحرقوا أرضا، ولا يفعلوا! ولا يفعلوا! إلَّا إذا جاء في حقّ هذا الأمر بعينه تشريع، **فهذا المسلك الحضاري في القتال، ماذا يريد؟ يقول: لا تحجزوا النّاس عن الإيمان.**

وماذا إذا عُرض على النّاس الإيمان ولم يؤمنوا؟ إذًا ذاك شأنهم! تُضرَب عليهم الجزية من أجل أن يدخلوا تحت الحماية. ويُتصوَّر أنّه مع الأيّام، ومع الاختلاط، ومع معرفة الإسلام، سيحصل خلاف ذلك، وهذا الّذي وقع تمامًا في التّاريخ الإسلامي.

فالإسلام لا يحتاج إلى {إِكْرَاهَ} أي من كثرة وضوح الحقّ وبيانه؛ يعني: من شدّة وضوح الحقّ لا يحتاج إلى {إِكْرَاهَ}.

وهذا الكلام يأتي بعد آية الكرسي، يعني آية الكرسي فيها من بيان الحقّ، ما لا يستلزم بعده {إِكْرَاهَ}، والّذي عنده عقل، سيرى أنَّ هذا الحقّ الّذي يجب أن يُتَّبع.

إذًا: ما هي العلاقة بين آية الكرسي وبين ما بعدها: {لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ}؟

آية الكرسي توضّح أنَّ الحقّ البيّن؛ الّذي هو وصف الله بالكمال، يُلْزِم الإنسان العاقل التّسليم لعظمة الله، وجلاله، ويُوصِل الإنسان إلى محبّته –سبحانه وتعالى– فما يحتاج بعد ظهور الحقّ إلى إكراهٍ عليه.

فلا تتصوّروا أنَّ القتال إكراه؛ ولا تتصوروا أنَّ عاقلًا يعرف هذا الحقّ، ويعرف الإله الكامل؛ وبعد ذلك يحتاج أن يُكرَه! {لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ} إنّما هذا الدّين، أيّ إنسان سليم الفطرة، عاقل، أوّل ما يعرف حقيقته؛ لابدّ أن يسلِّم به. فأيّ عاقل سيعرف أنَّ هذا الدّين فيه {ٱلرُّشۡدُ} وسيتجنَّب {ٱلۡغَيِّ}، هذا لو كان يريد {ٱلرُّشۡدُ} ولا يريد {ٱلۡغَيِّ} لكنّه أحيانًا أصلًا تكون عنده شهوة؛ فما يريد {ٱلرُّشۡدُ} ويريد {ٱلۡغَيِّ} **بمعنى**: أنّ الفارسي يقول للعربي: (كون أنّك يا عربي جئت تأمرني! مجرّد أنّ الرّسالة جاءت من عندك أنت أيّها العربي!) والفارسي يرى نفسه هو الّذي خير منه! (لن أقبل منك هذه الرّسالة!)! فيكون عدم قبوله ليس لأنَّه لم يتبيَّن له الحقّ، وإنَّما الكِبْر الّذي منعه من ذلك!

إذًا في الواقع: الدّين الإسلامي لا يحتاج أبدًا إلى {إِكۡرَاهَ}، وضوح الدِّين، وكمال الدِّين، وكمال ربِّ العالمين، يجعل الإنسان يطلبه دينًا، طبعًا هذا لمن كان يريد {ٱلرُّشۡدُ}.

ويتبيَّن هذا حين تقلّبين أحوال النّاس، وترين كم من عبادات لغير الله، تجعل الإنسان أحقر ما يكون! أنت اقرئي فقط عن البوذيّة، وعن كلامهم عن الأرواح الشّرّيرة! فهؤلاء جماعة لا تدري هم يعيشون في أيّ شيء! من كثرة معاملتهم للأرواح! طبعًا هم يعتقدون بتناسخ الأرواح! أنّ الأرواح تخرج من الشّخص الصّالح وتصبح في النّجم، أو تصبح في كذا!

المهمّ، فإنّهم لأجل ذلك عندما يموت عندهم الميّت؛ يحرقونه حرقًا تامًّا، حتّى أنّه لا يبقى منه إلّا بقايا من عظم! فيأخذوا بقايا هذا العظم، ويجمعوه، ويضعوه في وضع معيَّن! وبقيّته؟! يقول لك: (هذا الدّخان الّذي هو عبارة عن البدن؛ فالعينان تلحقان بالشّمس! والعقل يلحق بالقمر! ويخرجون لك بكلام! ثمّ بعد ذلك هذه العظام، ماذا يفعلون بها؟ صارت عندهم هذه هي الّتي نجت من الميّت! على أساس أنّ روحه سيلتقون بها مرّة أخرى!

فانظري: مثل هذا الدّين وهم يعبدون الأرواح، ويتّصلون بالأرواح الشّرّيرة، والأرواح الطّيّبة، ويحضِّرونها!

ما هذه الحياة؟! الواحد فيهم لا يستطيع أن يعيش إلّا وهو يخاف أن يُؤذي الأرواح، وينتظر أنّ هذه الأرواح تخبره عن المستقبل، هذه هي حياتهم!

ومن ثمَّ نظرة فقط لهذا الدِّين تبيّن لك: كم نحن في سلامة من شأننا! كيف أنّنا ندعو الواحد الأحد، الفرد الصّمد؛ الّذي قد كملت صفاته، سبحانه وتعالى.

وسيري على الهندوسيَّة، وسيري على غيرها من الأديان، إلى أن تصلي حتّى إلى المسيحيّة، واليهوديّة، وكلّها ترين نفس الأديان دالّة على بطلانها!

لأنّه كثيرًا ما يأتي سؤال: لماذا نحن من على الصواب وغيرنا على خطأ؟! هناك ألف جواب على هذا السّؤال، ولا يفهم هذا إلَّا من قارن بقيَّة الأديان بدين الإسلام، يعني أنت لا تعرف بقيّة الأديان، وتأتي تقول لماذا نحن من على الصواب وغيرنا على الخطأ؟! **ألا تعرف أنَّ هذه الرّوح البشريَّة لابدّ أن تتعلَّق بواحد، ولابدّ أن يكون هذا الواحد كامل الصّفات، ولابدّ أن يكون قريبًا، ومجيبًا، ولابدّ أن يكون له أفعال، وشواهد على الأفعال.**

فحين تقرئين في اليهوديّة ذمّهم لربّ العالمين! وأنَّ الله فقير وهم الأغنياء، يقولون عن ربّ العالمين! ولمّا تقرئين في النّصرانيّة، وتجدين أنّهم يذمُّون الرّبّ بحاجته للصّاحبة والولد! **كلّ هذا يبيّن لك بُطلان عبادة غير الله، بُطلان الأديان الأخرى، وبقاء الإسلام هو الحقّ.**

وهذه الآيتان: آية الكرسي وما بعدها، هما أكبر شاهد على هذا الشّأن: أنَّ الله كامل الصّفات، هو الّذي يستحقّ العبادة، ولا إكراه في الدِّين بعد أن تعرف هذا الحقّ.

مدارسة الآيات (٢٥٦_٢٥٧)

يقول الله عزّ وجلّ: {لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٥٦) ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ}(١)

على كلِّ حال: المقصد من هذا النّقاش أن نفهم أيضًا ما بعدها: {فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٥٦) اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ}

فهذا واضح، بالإجمال المقصود أن تفهمي: أنَّ من آثار اعتقادك كمال الله، أن تحصل ولاية الله. وولاية الله من لوازمها إخراج النّاس {مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ}.

سنقرّر فقط جملة واحدة في هذه الآية الّتي هي: الآية (٢٥٧)، سنقول:

إنّ من آثار العقيدة السّليمة في ربّ العالمين (يعني: اعتقاد كماله، وجلاله، وعظمته).

ما هي العقيدة السّليمة في ربّ العالمين؟ اعتقاد كماله، وجلاله، وعظمته سبحانه وتعالى.

من آثار هذه العقيدة السّليمة: ولايةِ الله لأصحابها المتمسّكين بها.

ما آثار الولاية؟ **من آثار الولاية إخراج النّاس {مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ}.**

يعني ليس هناك جملة تعبّر عن هذا المعنى أبدًا! كيف أنّ الله -عزّ وجلّ- يُخرج النّاس {مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ} لا توجد جملة تعبّر عن هذا المعنى، من كثرة احتياجنا الشّديد لهذا المعنى.

وفي كلّ حياتنا نحن نكون في ظلمة لولا لطف الله بنا، وأصْلُ الظّلمة ظلمة التّفكير! هذا هو أصْلُ الظّلمة! لأنَّه في الآية الّتي قبلها: {قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ}. فالله في أصل المسألة يخرجنا {مِّنَ

(١) سورة البقرة: ٢٥٦_٢٥٧.

ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ} فتخرج من ظلمة التّفكير إلى صحّته؛ وهذا ما يُقدِّرُه إلّا واحد معتنٍ بروحه، وعقله.

المشكلة: أنّ هناك أوادم مثل البهائم! فهؤلاء لا تهتمّ بهم ولا تجعلهم مقياسًا! لأنَّ هؤلاء ما همّهُم إلّا شهوات البهائم! يأكلون، ويشربون، وينامون! ويقضون حاجاتهم فقط!

وهناك أناس أرواحهم هي الّتي تهمّهم، وفكرهم، وعقلهم، ونظرتهم إلى الأمور هي الّتي تهمّهم، يهمّهم أن يكونوا في {ٱلرُّشْدُ} ولا يكونوا في {ٱلْغَيِّ} وهؤلاء هم من يُتوجّه إليهم بالخطاب؛ الّذين يهمّهم أن يكونوا أهل رُشد، وليسوا أهل غيّ.

لا من يصبحون ويمسون وهم يجرون وراء الشّهوات! يقدّرون أنفسهم بأبدانهم، لا يقدّرون أنفسهم بأرواحهم! هؤلاء غير معنيّين بكلامنا!

فالّذي تهمُّه رُوحه، يعرف أنَّ هناك مواطن ظُلمة كثيرة في تفكيره؛ لا يعرف أين الرّشد في كذا...ولا يعرف أين الرّشد في كذا...ولأنَّ روحه تشغله؛ ولأنَّ فكره مهمّ عنده، تجده دائمًا يفكّر، ويحتار، ويريد أن يفهم، فلمَّا يكون متمسّكًا بالحقّ، معتقدًا الحقّ، فإنّه يُبْشِر بأنَّ الله سيخرجه {مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ} في كلّ شأن.

لكنّ الّذي هو سارح كالبهيمة، هذا ماذا نفعل له؟! فهو بنفسه ليس مهتمًّا بنفسه! إذَا كلّمته لا تجده يتكلّم إلّا عن الدّنيا! إذَا فحصت اهتماماته؛ لا تجده يتحدّث إلّا في الكلام الفارغ الّذي يتّصل بالدّنيا! يُمسي ويصبح على هذه الحال! ولذلك الله -عزّ وجلّ- في كتابه، يُخاطبنا: {أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ}[1] أي ينظرون إليك؛ هل تحسبهم ينظرون؟! يسمعوك؛ هل تحسبهم يفهمون؟! لا! لا يفهمون!

ولذلك فإنّ هذا الخطاب العالي: الّذي هو الإخراج {مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ} لا يفهمه إلّا الّذي يَترقّى في مقاصده، إلّا الّذي كانت مقاصده عالية؛ لكن الّذي تكون مقاصده دنيّة، هذا لا يَهِمُّه أن يخرج {مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ}! فهو أصلا يعيش في الظّلمة، وما يشعر بالظّلمة!

ولذَا فإنّ هذا الجزء من الآيات، شيء لا يوصف، ما تستطيع أن تشرحه بعبارة؛ لأن هذا يعيشه الّذي يرى روحه هي الّتي تُكرمه، ويرى أنَّ إكرام روحه؛ هو الّذي يمثّله، فيبحث دائمًا عن أن يَعلو،

(١) سورة الفرقان: ٤٤.

ويترقّى؛ ويريد أن يكون أحسن في تفكيره، في مواقفه، يبتغي الرّشد في كلِّ شيء، هو ليس بالمثالي، يقول لنفسه لا تُخطئ!- وهذه أيضًا مشكلة أخرى- لأنَّ هذا الّذي يبتغي الرّشد، لا يمكن أن يطلب الرّشد، وهو يرى نفسه أنَّه مثالي؛ بل في الحقيقة، هو يفهم أنَّ الظُّلمة في حياته أكثر من النّور، إلى أن يريه الله -عزّ وجلّ- له، إلى أن يبصِّره الله عزّ وجلّ، إلى أن يرحمه الله فيخرجه من الظّلمة إلى النّور، في كلّ شأن.

أمّا الّذي يعيش حياته على أنَّه مثالي؛ فإنّ هذا لابدّ أن تأتيه اللّحظة الّتي يصطدم فيها بواقعه الحقيقي؛ وبعد ذلك يأتيه إحباط! ويأتيه يأس من الحياة!

فنحن الآن لابدّ أن نفهم: أنَّ هناك نقاط كثيرة فيها ظلام، ولا أعرف أين الرّشد هنا؟ وأين الرّشد هنا؟ وأين الرّشد هنا؟ وأخطئ فيها، وأطلب من وليّي أن يتولاّني، ويخرجني {مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ}.

لكن إذَا كنت أشعر بأنّني فاهم لكلّ شيء والآن أنا أتكلّم عن شخص مستقيم، وليس عن شخص مثل البهائم! أخرجي هذا من الكلام، ودعينا نفكّر في واحد يهتمّ بروحه، لكن عنده مشكلة أخرى: يخال نفسه أنَّه فاهم لكلّ شيء، وأنّ قراراته هي السّليمة، وأنّ الّذي يفكّر فيه هو الصّحيح! فهذا أيضا وقع في خطأ شديد، تطرّف عن الجهة الأخرى!

وإلّا فإنّك أنت أيّها الإنسان، حالك الحقيقيّة أنّك أنت أصلًا في الظّلمة، ثمّ زمنًا بعد زمنٍ، ماذا يحصل؟ تشعر بالظّلمة، تطلب من وليّك أن يُخرجك منها، يرشدك، تذوق طعم النّور، تشكر ربَّ العالمين، تنتقل {مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ}.

المهمّ: لا عمل البهائم، ولا العيش للدّنيا حلّ، ولا تصوُّر المثالية وأنَّنا في النّور تمامًا حلّ؛ إنَّما شعور يتناوب على العبد يشعر به: يشعر بالظّلمات، ويطلب من وليّه النّور {اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ}.

{وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ} والطّاغوت هذا في حياة كلّ امرئ يكون على حسبه؛ يعني ممكن يكون الطّاغوت أحيانًا التّعليم! بمعنى: يريد أن ينتهي من الدّرجة العلميّة الأولى، ويذهب للدّرجة العلميّة الثّانية، فإذَا ما انتهى يذهب إلى الّتي بعدها، ثمّ الّتي بعدها! ثمّ الّتي بعدها! وأهمّ شيء أن يكون أمام اسمه حروفًا كثيرة وعنده أبحاث كثيرة، وعنده شهادات شكر كثيرة؛ فقط هذا! ثمَّ يموت ويذهب!

كلّ شيء يزيد عن حدّه –بهذه الطّريقة– يصبح طاغوتًا! متى؟ ما هو مقياسك في الطّاغوت؟ مقياسك أن تعيشي من أجل شيء غير رضا الله؛ هذا هو الطّاغوت! **يعني**: الشّيء الّذي يصير غاية الهمّ، ولا يكون في رضا الله عزّ وجلّ؛ يصبح طاغوتًا!

على كلّ حال؛ فإنّ هذه جُملة مُجملة، ومع التّفكير تفهمون ما هو المقصود، وكلُّ شيء طغى وتعدَّى حدَّه كان طاغوتًا. أيّ شيء في حياتك يحكمك؛ بحيث تنسي رضا ربّ العالمين، ويبقى هو الطّموح، وبعده طموح، وهكذا! ويموت الإنسان على أساس أنّه فقط حصّل طموحاته هذه! يكون أصبح طاغوتًا! فهؤلاء {يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ}.

ولذلك ربّنا ما قال: الأصنام، ولا قال: الأوثان، لا! وإنّما قال: {الطَّاغُوتُ} فهو في كلّ زمان الشّيء الّذي يطغى، ويصير هو الّذي يشغلهم عن ربّ العالمين، وعن رضاه {يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} بذلك تبيّنت لنا الثّلاث آيات، ستأتينا ثلاث قصص لها علاقة بآية الكرسي، وبما بعدها؛ لأجل أن تري كيف يخرج الله النّاس {مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ} إذا طلبوا الحقّ، وكيف بالعكس: إذَا لم يطلب الحقّ؛ يبقَ في ظلمته.

مدارسة القصّة الأولى (٢٥٨):

قصّة إبراهيم –عليه السّلام– مع الّذي حاجّه فأخرجه الطّاغوت {مِنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ}

سنقرأ القصّة الأولى:

{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ}(١)

دعونا نكتب جملة، وبعد ذلك نتناقش: لمَّا ذُكر في الآيات السّابقة: أنَّ الله يُخرج الّذين آمنوا {مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ}؛ وأنَّ الطّاغوت يُخرج الّذين كفروا {مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ}؛ ساق ثلاث شواهد على ذلك: فالشّاهد الأوَّل جمع بين ضلال الكافر، وهُدى المؤمن.

دعونا نرى الآية، كيف فيها ضلال الكافر، وهُدى المؤمن؟

الله –عزّ وجلّ– في أوّل الآية يقول: {أَلَمْ تَرَ}: وهذا فيه تعجب، يعني كأنَّه يُقال: هذه قصّة الواجب العناية بها، مثل: {أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ}(٢)، {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ} ، يعني {أَلَمْ تَرَ} هذه تُساق مساق التّعجب، وتعني: تعجّب من هذه الحال! فكّر فيها وتعجّب!

الآن، من هذا الّذي ستُفكر في حاله؟ الرّجل {الَّذِي حَاجَّ}.

الجملة الأولى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ} إذًا، من الفاعل؟ هذا الرّجل {الَّذِي حَاجَّ}. حاجّ من؟ إبراهيم. في أيّ شيء؟ {فِي رَبِّهِ} في وجودِه؛ لأنّه يُنكر وُجُودَه ومن ثمَّ في كماله. كأنَّنا نرجع لآية الكرسي؛ فهو يُحاجّ في الله، في ربّه، يُحاجّ في ربوبيّة الله الّتي تبدأ بالوجود؛ فهو يحاجُّ في وجودِ الله، هذا هو المقصود.

الآن ما سبب المُحاجّة؟

---

(١) سورة البقرة: ٢٥٨.

(٢) سورة الفيل: ١.

الجملة الثّانية: {أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ} إذًا سبب المحاجّة: أنّ الله آتاه الملك.

هل معقول أنّه حين يُعطيه الله الملك، يكون هذا سببًا للمُحاجّة؟! لا! أكيد هناك شيء مطويّ هنا! سنكتب: **إنَّ إيتاء الملك، أورثه الكِبْر؛ فحاجّ بسبب الكِبْر.**

هنا في الآية ذُكر السّبب؛ الّذي هو {الْمُلْكَ} السّبب **للكِبْر! فالكِبْر** هو الّذي سبّب المُحاجّة.

الجملة الثّالثة: {إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ} ما هو سبب هذا القول؟ لمّا سأل الرّجل: (من ربّك الّذي تدعونا إليه؟) فإبراهيم -عليه السّلام- عرّف ربَّنا، قال: {رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ}؛ فهذا الشّأن دليل الوجود، يعني أتاه بدليل وجود الله؛ لأنَّ هناك أُناس يأتون، وليس بِيَدِ أيّ أحد أن يأتوا! والنّاس يموتون، وليس بِيَدِ أيّ أحد أن يموتوا.

الآن ما هو الدّليل الّذي استخدمه؟ الإحياء والإماتة. ما هو وجه الإحياء والإماتة؛ الّذي هو دليل على وجود الله؟ لأنَّهما حدثان يحصلان ليس للإنسان يد فيهما: أمّا الوجود فمعلوم أنّه يمكن أن يكون هناك زوج وزوجة لكن ما عندهم أطفال، ويمكن أن يكون هذا الوجود أمرًا أصلا غير مرغوب فيه، لا يريدونه، لكن الله يقدّره! فوجود الأبناء أو وجود النّاس دليل على أنَّ هناك مُوجِد؛ لأنّه لا يمكن أن يوجد شيء لا مُوجِد له! ثمّ إنّ وجود الموت، حصوله وإتيانه على الإنسان، أيضًا شيء يأتي؛ لابدّ أن يكون هناك من أتى به!

فهو دلَّهُ على وجود الله بوجود الأشياء؛ وهذا أساس مناقشة مسألة الوجود؛ فإنّ أساس مناقشة مسألة الوجود أن تقولي: (مادام أنَّ هناك أشياء موجودة؛ إذًا لابدّ أن يكون هناك مُوجِد لها).

ثمّ إنّ هذه الأشياء الموجودة مميّزة بشيء عجيب: الرّوح الّتي لا يستطيع أحد أن يأتي بها، يعني ممكن أن يصنع تمثالًا، ويمكن أن يصنع ما يريد أن يصنعه، لكن لا يمكن أن يُدخل فيها روحً! ولا يُمكن أن يُخرج منها روحًا! فهو الآن فكّر في وجود الرّوح وعدم وجوده؛ فردَّ هذا الرّدّ.

الجملة الرّابعة: {قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ}: {أُحْيِي وَأُمِيتُ} يقصد بالقتل والعفو! انظروا: فإنّ هذا من مسالك التّلبيس، بمعنى أنَّه هو ما يريد الحقّ، لمّا رأى إبراهيم -عليه السّلام- اتّجه هذا الاتّجاه، أراد أن يُلبّس عليه. ماذا كان موقف إبراهيم؟ **كان موقف إبراهيم أنّه انتقل إلى مسألة أخرى، بالرّغم من أنّه كان يمكن أن يُناقشه في هذه المسألة نفسها، لكنّه تركها لأنّه ظهر على هذا المُحاجّ إرادة التّلبيس؛ فما كان يفيد!**

كيف تقارن بين وجود سبقه عدم بوجود لم يسبقه عدم بالنّسبة لك؟ كيف تقول: (أنا عفوت عنه، إذًا أنا أوجدته) كيف وهو كان حيّا! أنا أكلّمك لمّا كان يسبقه عدم، من أين أتى؟ **فالمناقشة مع هؤلاء عندما تصل إلى هذه النّتيجة، من الأحسن أن تتركها، وهذا مسلك صحيح**، فلا تعتقدي أنّ هذا المسلك فيه ضعف؛ لأنّ في أحيان كثيرة أنت تتناقشين مع سّفهاء وأحسن شيء أنّك عندما تجدين سفهاءً؛ لا تتناقشي معهم! لكن إذَا اضطررت أن تتناقشي مع السّفهاء، اعرضي عليهم الحقّ؛ فإذَا ردّوا ردًّا سخيفًا، سفيهًا، اتركيهم! فلست أنت من ستحلّين مشكلتهم؛ عندما يعقلون سيفهمون، وإذَا لم يكن لديهم عقل فأمرهم إلى الله وإن شاء الله ربّنا لا يحاسبهم على عقولهم السّفيهة الله يهديهم جميعًا.

{قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ} فترك هذا النّقاش، وانتقل إلى ما بعده:

الجملة الخامسة: {قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ} إذًا انتقل إلى حجّة لا تجري فيها المغالطة، ولا الشّغب، يعني كأنّه يقول: إذَا كنت تَدَّعِي أنّك تُحيي وتُميت، وعندك هذه القدرة؛ فَأْتِ بالشّمس من المغرب! بمعنى: أنّه لا يوجد مجال للمغالطة، وللشّغب. والجواب؟

الجملة الخامسة: {فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ} بُهِت لأنَّه تبيَّن له: أنَّ من يحمل الحقّ واثق في الحقّ؛ فهو ما بُهِت لأنَّه اكتشف الحقّ، وإنّما هو يفهم ويعرف {جَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ}[1] لكنّه بُهِت؛ لأنّه ما استطاع أن يحاجّ في هذا الدّليل، ولبيان أنَّ من يحمل الحقّ، واثق في هذا الحقّ.

هو ماذا قال له؟ هذه الشّمس كلّ يوم تبدوا، تأتي من المَشرق، وتتّجه إلى المغرب، فإذًا أنت اعكس الأمر اجعلها تأتي من المغرب، وستحلّ المشكلة، وسيبان من الصّادق؟!

أي إذَا كان في يدك التّدبير غيّر حال الشّمس {فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ} بمعنى: أنّه تحيّر، وغلبته الحُجّة، وما استطاع أن يُجيب، وانقطع.

على كلّ حال، الله –عزّ وجلّ– نوَّر لإبراهيم –عليه السّلام– أليس {اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ} فهذه الإجابات من إبراهيم –عليه السّلام– ما هي إلّا من {النُّورِ}. وهكذا أنت في كلّ ظلمة، تجد الله معك ينوّر لك، لكن أهمّ شيء ألّا تصل إلى حدّ أن تظنّ: أنَّك كامل! وتفهم كلّ شيء! لا تفعل ذلك! لا تكن مثاليًّا! لا تنتظر المثاليّة! أنت في الظّلمة، والله يخرجك منها؛ لا بد أن تعلم ذلك لكي تبقى محتاجًا منكسرًا لربّ العالمين.

---

(١) سورة النمل: ١٤.

والله –عزّ وجلّ– جعل هذا الّذي يُحاجّ في ظُلمة؛ بعدما كان في نور الفطرة. فنور الفطرة، ونور العقل السّليم سيجعلانه عارفًا بأنّه لا موجد، ولا مُعطي، ولا مانع!

لكن تصوّري: أنَّه وهو يعرف أنَّه لا يستطيع: **خرج من هذا النّور وهو يعرف أنَّه لا يستطيع، ودخل في ظُلمة أنّه ظنّ نفسه يستطيع!** فهو لم يظنُّ نفسه أنّه يستطيع؛ فلا يمكن لعاقل أن يظنُّ نفسه أنّه يستطيع أن يدبّر الكون! أو أنّه هو إله الكون! **لا يمكن خصوصًا في مسألة الرّبوبيّة!** لكن حين تستحكم الظُّلمة في عقل الإنسان؛ يطيش عقله؛ فيتكلّم بأيّ كلام، ويتصرّف بأيّ تصرّفات!

فصارت هذه الآية دليل:

- **على أنَّ الأولياء يخرجهم الله {مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ} وإبراهيم –عليه السّلام– مثال ذلك.**
- **وعلى أنَّ من طغى بأيّ شيء –وهو طغا بماله– وظنّ نفسه شيئًا، هذا الطّاغوت ماذا فعل به؟ أخرجه من النّور –نور الفطرة– إلى الظّلمات.**

مدارسة القصّة الثّانية (٢٥٩):

قصّة الرّجل الّذي أراه الله قدرته وأخرجه {مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ}

يقول الله عزّ وجلّ: {أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}(١)

سنفكّر في هذا الرّجل الّذي مرَّ على القرية؛ كما فكّرنا في أوّل الكلام في الطّرفين: في إبراهيم -عليه السّلام- وفي الّذي حاجّ.

القصّة الأولى كانت مثالًا للأمرين معًا: لواحد دخل إلى الظّلمة؛ ولإبراهيم -عليه السّلام- الّذي كان في نور.

الآن نحن نُناقش شخصًا واحدًا الّذي مرَّ على القرية؛ **فهذا شاهد على ما ذكر الله من ولايته للمؤمنين** -هذا والله أعلم، هو الصواب- هذا لم يكن كافرًا، وإنّما كان مؤمنًا، لكن سنرى الظّلمة الّتي كان فيها، وبعد ذلك كيف أخرجه ربّنا إلى النّور؟

هذا الرّجل {مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ}، {خَاوِيَةٌ} بمعنى: خالية، حوائطها ساقطة، وسقوفها ساقطة، بمعنى: ظاهر أنّها خَرِبَة.

{قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا} كيف يعمّر الله هذه القرية بعد خرابها؟! أي أنّه استبعد إحيائها، استثقل إحيائها؛ وكأنَّ هذا كان وقوعه في الظّلمة، وكأنَّ هذه اللّحظة الّتي كان فيها في ظلمة، لكن نرى الآن ولاية الله:

بعد ذلك كلّ الّذي سيأتينا هو من ولاية الله أنّه أخرجه من هذه الظّلمة وأراه الدّليل على الإحياء الحقيقي في نفسه، وفي طعامه، وفي حماره.

---

(١) سورة البقرة: ٢٥٩.

سنفكّر ونقول: إنّ الإنسان يكون في ظلمة -لا تقل عن نفسك إنّك ما عندك ظلمة!- لكن يكون هناك أصل للإيمان في قلبه؛ فالله ماذا يفعل لك لمّا تظهر هذه الظّلمة؟ بسبب الولاية يخرجك منها، وهذا الشّاهد على ذلك.

الآن ماذا حصل؟ {فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ} المفترض بعقولنا أن يَنْدَرِس تماما، ولا يبقى حتى أثر منه! {ثُمَّ بَعَثَهُ} أحياه، ثمّ بعث بدنه، وروحه؛ وبعد ذلك ترين: أنَّ الله يسأله: {كَمْ لَبِثْتَ}؟ كم لبثت نائمًا أو ميّتًا؟ هو في نظره كم لبث؟ {يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ} بمعنى: أنّه يخمّن هذا الرّقم على حاله؛ لأنَّه قام، استفاق وهو بكامل قوّته، استفاق من نوم وأُعيدت له قوّته -بهذه الطّريقة- لأنَّ الإنسان قبلما ينام يكون مُتعبًا، وحين يُطيل في النّوم يجد نفسه قد عادت له قوّته. لكن كأنَّه رأى نفسه أطال قليلًا في النّوم، فقط قليلًا.

قال الله عزّ وجلّ: {بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ} وإنّما سأله الله -عزّ وجلّ- ليُظهر حتّى عجزه عن الإحاطة بشئونه! انظري كيف أنّه قام، وما هو بقادر على أن يدرك أين هو؟ وهذا من أدلّة عجزنا! لأنّنا تمرّ علينا أيّام ممكن أن نقوم فيها من النّوم، ونحن لا نعرف من نحن؟! نعم، يمرّ علينا مثل هذا! وهذا يدلّ على عجزنا! وعدم إحاطتنا بشئوننا! هل واضح كيف أنّ هذا العقل محدود! وهو ظنّها مدّة يسيرة.

قال الله -عزّ وجلّ- له: {فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ} الآن هناك آية ثانية؛ الّتي هي الطّعام. الطّعام ماذا حصل له؟ {لَمْ يَتَسَنَّهْ} لم يتغيّر، ١٠٠ سنة والطّعام لم يدخل عليه فساد؛ فإذًا حفظ الله شيئًا، حفظه. الطّعام لا يستطيع أن يُكمل يوما وليلة! فيبقى ١٠٠ عام وَ{لَمْ يَتَسَنَّهْ} لم يتغيّر طعمه.

فتصوّري طرفين:

هذا مات واندرس تمامًا، وبعد ذلك أعاده الله؛ فتبيّن عدم إحاطته بالشّيء الّذي هو فيه. ومن أسباب عدم إحاطته، وأنّه لَبِث يومًا وليلة أو بعض يوم؛ لأنّه لمّا نظر للطّعام وجده لم يتغيّر، فتصوّر أنّها ستكون هذه هي المدّة! {فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ} فالطعام والشّراب كذلك، **معنى ذلك**: أنّ الشّراب أقرب إلى الفساد!

وفي مقابل هذا: سننظر الآن إلى الحمار كيف هو؟ {وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ} كأنّ الله -عزّ وجلّ- يسأله: كيف هو؟ فأبقاه الله -عزّ وجلّ- عظامًا نخرةً.

وبعد ذلك {وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ} بمعنى: فعلنا ما فعلنا من إحيائك لتكون آية.

{وَٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡعِظَامِ} عظام الحمار؛ لتشاهد كيفية الإحياء، كيف نرفع بعضها على البعض، نركّبها على بعض. هو رأى بعينيه الآن، كيف أنّ الله يُركّب عظام الحمار بعضها على بعض {ثُمَّ نَكۡسُوهَا لَحۡمٗا} بمعنى: نسترها باللّحم.

الآن بذلك هو يخرج من الظّلمة الّتي أصابته إلى النور، الظّلمة الّتي كانت حين قال: {أَنَّىٰ يُحۡيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعۡدَ مَوۡتِهَا}.

{فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ} اتّضح له الأمر، كالنّور الواضح: {قَالَ أَعۡلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ} فخرج {مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ} وهذا من لطف الله، واعتبري بهذا في كلّ أحوالنا، فليس شرطًا أن تكون هذه المُعجزة العظيمة، لكن نحن نذوق في حياتنا مثل هذا، ليس شرطًا بهذه الصّورة، لكن كم من المرّات كنّا في ظلمة، وكنّا في ضعف اعتقاد، أو كنّا في وسواس من الشّيطان، أو كنّا في طمع بسبب الدّنيا؛ وبعد ذلك الله أرانا {ٱلنُّورِ}؟!

فلا زلت أُكَرّر عليكم: أنت مؤمن لكنّك لست كاملًا! يأتي منك الخطأ، وتأتي لك الوساوس، وتأتي لك الأفكار الباطلة؛ لو فهمت هذا، إذًا تعلّق بوليّك! واطلب منه أن يخرجك {مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ} وابقَ على حذر، مادمت عرفت أنّك لست كاملًا! فحتّى نظرتك للنّاس لا تكون نظرة انتقاد، أنّه: (كيف يفكّر هكذَا؟! كيف يعتقد هكذَا؟!) لأنّ كلّ النّاس عندهم نقاط ظُلمة؛ فيحصل منهم الخطأ؛ والله يخرجهم {مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ} كما يخرجك أنت {مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ}!

لكن أنا أؤَكِّد عليكم هذا الأمر: لأنّ هناك مشكلة كبيرة تحصل لأهل الاستقامة مع نفسهم: يحصل لهم يأس وإحباط بعد زمن؛ لأنّهم عاشوا فترة وهم يعتقدون أنفسهم: أنّ كلّ شيء نور! وأنّ كلّ شيء واضح! وأنّ كلّ شيء مفهوم! وأنّهم مستقيمون! وأنّهم لن يخطئوا! وأنّهم لن يحصل منهم كذَا وكذَا! وينتقدون الّذين يخطئون! وبعد ذلك يصدمون في أنفسهم أنّهم مليؤون بالأخطاء! ويحصل لهم إحباط! ويمكن يحصل لهم حتّى ارتداد عن الطّريق المستقيم!

ولذَا للأسف الشديد، إذَا انتشرت حالات الانتحار؛ فهذه بنفسها مصيبة عظيمة! انتشارها يدلّ على ضعف الإيمان، لكن كيف إذا كان الّذي ينتحر هو في نفسه مستقيم! إلّا وتكون هذه الفكرة هي الّتي في خاطره: بأنّه مثالي، مثالي! يرى نفسه: مثالي! إلى أن يجد نفسه قد ابتعد عن المثاليّة؛ فيعاقِب نفسه!

وهذا لضعف تصوّرنا: أنَّ النّبيّ الكريم -صلّى الله عليه وسلّم- وهو من هو عند ربّه -صلّى الله عليه وسلّم- كان يُكثر من قول: (يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ)[١] والله -عزّ وجلّ- وصف حال **أولي الألباب** كما في أوّل آل عمران يقولون: {رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً}[٢].

فنسأل الله -عزّ وجلّ- وهو مقلّب القلوب، أن يثبّت قلوبنا على دينه، ونسأله -سبحانه وتعالى- أن يرشد الشّباب والشّابات إلى ما يحبّ ويرضى، ويحفظ عليهم دينهم، اللّهمّ آمين.

بقيت علينا قصّة واحدة -إن شاء الله- ربّي يُيَسِّر لنا الأسبوع القادم.

جزاكم الله خيرًا

السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته

(١) أخرجه الترمذي (٣٥٩٨).

(٢) سورة آل عمران: ٨.

مدارسة سورة البقرة

"دارسة إجماليّة"

أ. أناهيد بنت عيد السميري

اللّقاء العشرون: الخميس ١٤ رجب ١٤٤٠ هـ

"تابع مدارسة المقصد الثّالث (١٦٣_٢٨٣)"

بسم الله الرّحمن الرّحيم

مقدّمة

السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على سيّدنا محمّد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

بسم الله، توكّلنا على الله، كنّا في اللّقاء الماضي قد انتهينا من مناقشة آية الكرسي، ثمَّ انتقلنا للكلام حول ولاية الله –عزّ وجلّ– وكيف أنَّ الله –عزّ وجلّ– يُخرج النّاس {مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ} ثمَّ ورد في السّورة ثلاث قصص تدلُّ على هذا المعنى: أنَّ الله يُخرج أولياءه {مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ}، في مقابل أنَّ أولياء الطّاغوت، يخرجهم الطّاغوت {مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ}.

وكانت القصّة الأولى في السّياق تدلّ على هذا المعنى، الّتي هي: قصّة إبراهيم –عليه السّلام– مع الملك الّذي أنكر ربوبيّة الله، يعني تطوَّر من إنكار الألوهيّة إلى إنكار الرّبوبيّة؛ فجمعت هذه القصّة: بين إبراهيم –عليه السّلام– الّذي آتاه الله النُّور، وبين الملك الّذي أخرجه الطّاغوت، الّذي هو: المُلك –في هذه الحالة كان المُلك هو الطّاغوت– أخرجه من نور الفطرة إلى الظّلمات.

وأتت بعد ذلك القصّة التّالية لذلك، وهي: قصّة الرّجل الّذي مرَّ على قرية، وكيف أنَّ الله –عزّ وجلّ– من آثار لطفه، أراه عيانًا أنّ الله –عزّ وجلّ– على كلّ شيء قدير.

بَقِيَت علينا قصّة واحدة في هذا السّياق؛ الّتي هي: قصّة إبراهيم عليه السّلام.

مدارسة مفاهيم القصّة الثّالثة (٢٦٠) قصّة إبراهيم عليه السّلام:

الله –عزّ وجلّ– يخرج أولياءه {مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ} ويزيدهم نورًا

قصّة إبراهيم، تحتاج إلى كثير من المفاهيم السّابقة، والمفاهيم اللاّحقة.

دعونا نقرأ الآيات، ونبدأ بالمفاهيم:

يقول الله عزّ وجلّ: {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}(١)

أوّل سؤال يخطر على أذهاننا عندما نقرأ هذه الآيات: كيف يسأل إبراهيم –عليه السّلام– مثل هذا السّؤال؟ على أساس أنّنا متصوّرون أنّ هذا سؤال شكّ، أو أنّ هذا هو الّذي يخطر على أذهاننا؟

فهنا سنضع ثلاثة أمور، لابدّ أن تكون في عقيدتنا، سأمْلِيكم إيّاها إملاء، أُخرجها من ذمّتي إلى ذمّتِكُم؛ لأنّ الأمر ما هو باليسير!

هذا جزء من إيمانك بالرّسل؛ فلابدّ أن تكون عقيدتك تامّة الوضوح أنا أُخرج هذا الكلام من ذمّتي إلى ذمّتِكُم؛ بحيث لا يمرّ عليكم الكلام مرّة أخرى عن إبراهيم إلّا والأمر غاية في الوضوح، وتستطيعين أيضًا نقلها إلى غيرك.

المفهوم الأوّل: ما هي عقيدتنا في الرّسل؟

الرّسل من أصفياء الله –سبحانه وتعالى– فمن المؤكّد أنّ الشّيطان ليس له عليهم سبيل لا بالتّشكيك ولا بغيره:

نبدأ بالنّقطة الأولى: عقيدتنا في الرّسل:

(١) سورة البقرة: ٢٦٠.

أوّلا: الله –عزّ وجلّ– يقول في سورة الحجر: {إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ}[١] والرّسل من أصفيائه –سبحانه وتعالى– فمن المؤكّد أنَّ الشّيطان ليس له سلطان على أولياء الله، لا بالتّشكيك ولا بغيره.

أنا أؤَكِّد عليكم هذه المسألة؛ لأنَّنا سنلقى ربّنا، ونُسأل خاصّة عن عقيدتنا في الأنبياء؛ لأنَّ أهل الإيمان سيكونون يوم القيامة: شهداء مع الرّسول –صلّى الله عليه وسلّم– على تبليغ الأنبياء لأممهم؛ فما نلقى الله، ونحن في نفوسنا خطأ في عقيدتنا، في الأنبياء.

إذًا أنت متأكّدة أنّه لا يمكن للشّيطان أن يكون لهسلطان على أولياء الله، ومن ثَمَّ لا يمكن أن يشكّككهم، أو غير ذلك، ومن ثَمَّ فإنّ هذه الآية لا يمكن أن يكون معناها الشّكّ، هذا المهمّ الّذي لابدّ أن تفهميه.

المفهوم الثّاني: مسألة شكّ إبراهيم: ما معنى الحديث (نَحْنُ أَحَقُّ بِالشَّكِّ مِنْ إِبْرَاهِيمَ)؟

معنى الحديث أنَّه لو كان إبراهيم شاكًّا لكنَّا نحن أحقّ بالشّكّ ونحن لا نشكّ.

الآن: ما معناها؟ نأتي للمسألة الثّانية، ونسمع حديث الرّسول صلّى الله عليه وسلّم: الموجود في "الصّحيحين" وغيرهما: (نَحْنُ أَحَقُّ بِالشَّكِّ مِنْ إِبْرَاهِيمَ)[٢].

هذا النّصّ لا يفهمه النّاس فتزيد المسألة تعقّدًا أكثر! كأنّ النّصّ يدلّ على أنّ إبراهيم شكّ، ونحن أحقّ بالشّكّ منه!

ومعنى الحديث: أنَّه لو كان شاكًّا؛ لكنَّا نحن أحقّ بالشّكّ، ونحن لا نشكّ فكيف به؟!

فالنّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم– يتكلّم عن نفسه، وعن كلّ من سار على طريق النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم.

وهذا يدلّ على كمال يقين إبراهيم عليه السّلام.

فالرّسول –صلّى الله عليه وسلّم– أراد بهذه الجملة النّبويّة أن يدلّ على كمال يقينه؛ فلا تفهميها بالعكس! كأنَّ النّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم– يقول: إنّ الّذي مثل إبراهيم لا يشكّ.

---

(١) سورة الحجر: ٤٢.

(٢) أخرجه البخاري (٤٢٨٦).

وكيف يبدأ الكلام؟ كأنّه يقول: نحن لا نشكّ، ونحن أحقّ بالشّكّ من إبراهيم؛ لأنّنا دون إبراهيم مرتبة- يقصد النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- فإذَا نحن لا نشكّ؛ فإنّ إبراهيم من باب أولى.

المفهوم الثّالث: مسألة شكّ إبراهيم: كيف تفهم الآية لتصرف عنك الشّكّ في أنّ إبراهيم -عليه السّلام- شكّ؟

إنّ سؤال إبراهيم -عليه السّلام- بنفسه ليس دليلًا على أنّه شكّ، لكن سؤال ربّ العالمين له {أَوَلَمْ تُؤْمِنْ} ربّما يوهم أحدًا أنّه شكّ بينما هو سؤال كاشف يبيّن سبب طلب إبراهيم عليه السّلام.

نأتي إلى النّقطة الثّالثة الآن والمهمّة، وهي: فهم الآية بصورة تصرف عنك مفهوم الشّكّ، في أنّ إبراهيم -عليه السّلام- شكّ.

أنا أسألك الآن: من أين تقرئين الآيات؛ فتظنّين أنّ إبراهيم شكّ؟ ما هو الشّيء الّذي في الآيات يجعلك تظنّين أن إبراهيم شكّ؟ سؤال الله عزّ وجلّ: {أَوَ لَمْ تُؤْمِنْ}؟ هذا السّؤال من ربّ العالمين هو الّذي ممكن أن يُفهمك، أو يُوحي لك أنَّه هناك شكّ. **وهذا السّؤال من ربّ العالمين، نسمّيه: سؤالًا كاشفًا**، {أَوَ لَمْ تُؤْمِنْ}: سؤال كاشف. يكشف عن حقيقة العقيدة، {أَوَلَمْ تُؤْمِنْ} يعني: ما مصدر سؤالك؟ هذا السّؤال يُسمّى سؤال كاشف، يُقصد به: كشف حقيقة ما في قلب إبراهيم عليه السّلام.

بذلك اتّفقنا على اتّفاقين في النّقطة الثّالثة: أنّ سؤال إبراهيم -عليه السّلام- بنفسه {رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَى} ليس دليلًا على أنّه شكّ، لكن سؤال ربّ العالمين له؛ الّذي هو صفة كاشفة لما يتضمّنه السّؤال، ربّما يوهم أحدًا أنّ إبراهيم -عليه السّلام- شكّ. كأنّه يُقال: ما سبب سؤالك؟ ما سبب طلبك؟ {أَوَلَمْ تُؤْمِنْ} فلماذا طلبت؟ فالجواب {بَلَى} آمنت. فإذًا لماذا طلبت؟ {لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي}.

المفهوم الرّابع: ما دلالة الآية؟ ماذا نتعلّم من سؤال إبراهيم عليه السّلام؟

نتعلّم أنّه لابدّ في كلّ يوم أن يكون هناك زيادة منّا في طلب الثّبات وفي طلب الطّمأنينة.

ماذا كان جواب إبراهيم؟ {لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي}.

من هنا سنأخذ قاعدة مهمّة جدًّا لنا في الحياة وهي: أنَّ كلّ شأن يمرّ علينا من شئون الحياة، نجعله سببًا لطمأنينة قلوبنا، أي نفتّش فيه تفتيشًا، يُسبّب لنا: طمأنينة قلوبنا.

بجملة مختصرة: طمأنينة القلب مَطْلَب يُسعى إليه، المفترض أن يكون هذا هدفًا، بحيث أنّ هذه الحياة الّتي تجرين وراءها، وتحسبينها شيئًا، ستصير بالضّبط وكأنَّك تجرين وراء ظِلّك! وستعيشون وترون؛ فليس هناك مشكلة لأنّ هذا الكلام يظهر كلّما تقدَّم الإنسان في العمر، ظهرت له هذه الحقيقة.

لكن المهمّ الآن أن تعرفوا ما هو الهدف الصّحيح، بغضّ النّظر إن كنتم وصلتم إلى القناعة به الآن في هذه المرحلة أم لم تصلوا؛ **الهدف الصّحيح: أنَّ كلّ يوم يزيد عليّ، يزيد قلبي طمأنينة للحقّ، مهما عاداه المعادون.** مثلًا: من الجمعة الماضية إلى هذه الجمعة ألم يمرّ علينا حدث يؤكِّد لنا ما قاله -سبحانه وتعالى- في سورة البروج {وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ}[1]؟ ألم تعيشوا هذا الموقف؟ أكيد عشتموه، ورأيتم كيف أنّ العداء ليس إلّا للإيمان! يخرج يقتلهم كأنَّه في لعبة! لكن هو تحقيقًا وبيانًا لقوله تعالى: {وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ}.

بعد هذا الحدث لا يأت أحد يقول: (لا! والله إنّهم لا يكرهوننا! بل هم يحبّوننا، ولا يوجد من هو أحسن منهم!) لا! **وإنّما الّذي قاله ربّنا في القرآن، هو الحقّ المبين.**

فحين تقرئين سورة البروج اليوم، غير لمّا كنت تقرئينها الأسبوع الماضي؛ المفترض أن يكون المعنى زاد بيانًا ويقينًا، يكون أكثر طمأنينة للقلب: أنَّه فعلًا هناك أُناس يعيشون، يعادون النّاس لمجرّد ما يحملونه من عقيدة! فلمّا ربّنا يأمرك أنت بالبراءة من أهل الكفر، والولاء لأهل الإيمان؛ لابدّ أن تقتنعي بذلك، وقد جاءك ما يدلّك؛ أَوَ لَمْ تؤمني؟! يعني: قبل هذا، ألم تكوني مؤمنة؟ بلى.

الآن وصلت إلى أيّ درجة مع هذا الحدث؟ إلى درجة طمأنينة القلب: أنَّه حقًّا {مَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ}.

وهكذا هي أيّام الحياة المفترض أن تكون أيّامًا، وأحداثًا، تزيد طمأنينة القلب؛ حتّى يلقى الإنسان ربّه، ويدخل قبره؛ فيُسأل من ربّك؟ فيكون كامل الطّمأنينة لعقيدته، ويكون تامّ الثّقة في أنَّ هذا هو الصّواب.

---

(١) سورة البروج: ٨.

على كلّ حال؛ الّذي يعيش وهو يعتقد أنَّ قلبه أهمّ من بدنه، وأنَّ الاستقامة هي الطّريق، وأنَّ الهوى يُرْدِيه إلى الأسفل، وأنّ كلّ يوم يستجيب فيه لهواه، معناه: أنَّه يسقط من العلوّ؛ الّذي يفكّر بهذه الطّريقة فإنّه – بأمر الله، بأمر الله– يثبت على الطّريق المستقيم.

أمَّا الّذي يرى أنَّ هوى نفسه هو الحاكم، وأنَّه في كلّ يوم يخرج له هَوًى لنفسه؛ فيستجيب له! فإنّ هذا لابدّ له أن يتردّى! وَالّذي يكون في كلّ يوم عنده شهوة جديدة يجري وراءها؛ فإنّ هذا في نهاية المطاف لابدّ أن يجد نفسه ضائعًا! إلّا أن يلطف الله –عزّ وجلّ– به.

انظر: إلى حال إبراهيم –عليه السّلام– وانظر كيف خطّط لك الطريق: المفترض أن يكون في كلّ يوم هناك:

- **زيادة في طلب الثّبات.**
- **وزيادة في طلب الطّمأنينة.**

كان الله –عزّ وجلّ– معه، أخرجه {مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ}[1].

هل يعني ذلك أنّه كان في الظّلمة؟ نقول: لا! وإنّما الآن لابدّ أن تتصوري: أنَّ نفس هذه الدّرجات، عندما ترتقي للدرجة التّالية؛ يزداد الإنسان نورًا؛ لأنَّه هو نفسه إبراهيم –عليه السّلام– الّذي في أوَّل قصّة، هو الّذي ردّ على الملك، وقال له: {رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحْيِۦ وَيُمِيتُ} فهل يُعقل أن تأتي القصّة الّتي بعدها مباشرة تقول أنَّه كان في شكّ؟! لا! مستحيل.

فإذًا –إن شاء الله– تكون عقيدتنا في المسألة واضحة، وأنّك لا يُمكن أن تعتقدي أنّ إبراهيم –عليه السّلام– شكّ؛ بل إنّ النّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم– قال: (نَحْنُ أَحَقُّ بِالشَّكِّ مِنْ إِبْرَاهِيمَ) كما ورد في "الصّحيحين" **ومعناها**: أنّ إبراهيم لم يشكّ؛ فإنّ كان إبراهيم شكّ فنحن أولى بالشّكّ، ونحن لا نشكّ، وإبراهيم من المؤكّد أنّه لا يشكّ. وتأكّدنا كذلك لمّا قرأنا، قلنا: (أين الكلمة الّتي تدلّك على أنّه شكّ؟) **يعني**: سؤاله لا يدلّ على الشّكّ أبدًا، يقول: {رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ} كيف؟ أي أنّه متأكّد أنّ ربّنا هو الّذي يُحي الموتى، وسؤاله: (كيف؟) لكن ربّ العالمين سأله سؤالًا يكشف حقيقة مقصده –الحمد لله– هكذا تبيّن.

---

(١) سورة البقرة: ٢٥٧.

المفهوم الخامس: ما هي دلالات الآية؟ في هذه الآية صُوَرٌ من البلاغة العظيمة وكذلك لابدّ أن تتصوّري موقف إبراهيم –عليه السّلام– وماذا حصل معه من بذل للجهد؟

تفهّمك {ثُمَّ} وتقول لك أنّه لأجل أن يطمئنّ قلبك فلن يكون هذا وأنت نائمة على سريرك إنّما يحتاج هذا إلى جهد في البدن وجهد في القلب.

دعونا نأخذ جملة، جملة من الآية لأجل أن نفهمها:

في هذه الآية صُوَرٌ من البلاغة العظيمة؛ وكذلك لابدّ أن تتصوري موقف إبراهيم –عليه السّلام– وجهده؛ لأنّك تقرئين آية واحدة، لكن لابدّ أن تتصوّري بالضّبط ماذا حصل معه:

الجملة الأولى: {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَى} فإذًا سؤاله واضح، هو متأكّد، متيقّن أنَّ الله يحيي الموتى، ويريد أن يتحوّل من علم اليقين إلى عين اليقين، يعني يراها بعينه.

الجملة الثّانية: {قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ}: عرفنا ما هو مقصد هذا السّؤال.

الجملة الثّالثة: {قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي}: أيضًا عرفنا أنَّ هذه إحدى الغايات الّتي يعيش الإنسان عليها؛ كلّ يوم تزيد فيها أيّامه؛ تزيد هذه الغاية وضوحًا في ذهنه، ورغبةً فيها.

الجملة الرّابعة: {قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ} ماذا سيأخذ؟ أربعة طيور. ماذا سيفعل بهذه الطّيور؟

الجملة الخامسة: {فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ} بمعنى: هل يجمعها فقط؟! وماذا يفعل بها أيضًا؟ {فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ} بمعنى: يضمُّها إليه، وبعد ذلك مباشرة ماذا يفعل؟

الجملة السّادسة: {ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا}: ماذا تضمّن هذا الكلام؟ خذها، وقطّعها – هذا كلّه محذوف الآن– واخلطها، وماذا بعد ذلك؟ لاحظوا: {ثُمَّ} **معناها**: أنّ هناك مسافة. هذه المسافة ماذا سيحصل فيها؟ {ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا}، {ثُمَّ} أعطتنا مساحة؛ أنّه بعدما خَلَطها مع بعضها، سيأخذ جزء منها، ويصعد الجبل الأوّل، ويضعها، وبعد ذلك ينزل، ويأخذ الجزء الثّاني، ويصعد الجبل الثّاني، ويضعها! معناها: يجعل {عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا}.

فـ {ثُمَّ} هذه فهّمتك: أنَّه نزل وصعد، نزل وصعد. وأيضا فإنّ {ثُمَّ} تقول لك: لأجل أن يطمئنّ قلبك؛ فإنّه لن يكون هذا وأنت نائمة على سريرك! إنّما يحتاج هذا إلى جهد: جهد في البدن، وجهد

في القلب. ولذَا فإنّ الإنسان لو ما كان في حياته إلّا أن يجتهد حتّى يصل إلى اليقين؛ سيكون إنسانًا مُجْهَدًا؛ لأنَّ هذا اليقين يحتاج إلى جهد في التّفكير، وفي العمل.

وكلّما عملنا عملًا، علينا أن يكون جهدنا في التعلّق بالله، نفترض أنّك تريدين: أن يُوصلك أحدٌ إلى الدّرس، إلى مشوار؛ فأنت تجتهدين في الاتّصال والبحث أكثر ممّا تجتهدين في قول: (يا رب!) على أساس ماذا؟ على أساس ماذا هذه المشاعر؟

المشكلة ليست في اتّصالك، لكنّي أريدك أن تقارني بين جهدك في الاتّصال، وجهدك في الدّعاء! قارني بينهما وسترين: **أنَّ الّذي يأتي لنا بالطّمأنينة، هو: أن يكون جهدنا في التّعلق بالله، أكبر من جهدنا في الأسباب.** خذ بالأسباب، أصلا لو قلت لكم غير هذا فإنّكم لن تقبلوا! لأنّ الإنسان بطبيعته حارث همَّام، لا يمكن أن لا يأخذ بالسّبب! لو قلنا: لا تأخذوا بالسّبب! فإنّك لن تستجيبي؛ لأن هذه هي طبيعتك؛ **لكن المقصود: قارني بين جهدك في السّبب، وجهدك في التّعلّق بالله، وستعرفين من هذا: أنّنا لا نجتهد في التّعلّق بالله!** وهو قيل له: خُذْ {ثُمَّ ٱجۡعَلۡ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٖ مِّنۡهُنَّ جُزۡءٗا} حتّى أنّه هذا ليس في الأرض! وكان بالإمكان أن يكون في الأرض؟! صحيح؟! لكنّ الله -عزّ وجلّ- جعله في الجبال! فيصعد الأوّل، ثمّ ينزل ويصعد الثّاني، ثمّ ينزل، بهذه الطّريقة.

الجملة السّابعة: {ثُمَّ ادۡعُهُنَّ يَأۡتِينَكَ سَعۡيٗا}: {ثُمَّ} وبعد أن وضعهم جميعهم، تصوّري: المسافة بعد هذا كلّه! سيسير زمنًا، ويصعد، ويُناديهم. ماذا قال الله عزّ وجلّ؟ {ثُمَّ ادۡعُهُنَّ يَأۡتِينَكَ سَعۡيٗا} إذًا سيدعو الطّير. ماذا ستفعل الطير؟ مباشرة: {يَأۡتِينَكَ سَعۡيٗا} **معنى ذلك:** ستأتي سريعة، وليست بطيئة، وهذا فيه إشارة إلى أنَّ أمر الله {كُن فَيَكُونُ}[1]: ما بين {كُن} ووقوعها شأن، ولا وقت! مجرّد أن يُناديها، بأمر الله ستأتي.

فالمقصد الآن: أنَّ إبراهيم -عليه السّلام- لمَّا رأى هذا، تبيَّن له عين اليقين كيف يحيي الله الموتى. ولذَا في بعض الآثار، يُقال: أنَّ سبب هذا السّؤال لإبراهيم عليه السّلام: أنَّه وجد على شاطئ البحر حيوانًا ميّتًا؛ فتأتي الحيوانات البرّيّة تأكل منه، ثمَّ تأتي موجة البحر وتأكل الأسماك من نفس ذَاك الحيوان، يحصل مدٌّ؛ فيصير هذا الحيوان في البحر تأكل منه الأسماك؛ ثمّ يحصل خلاف ذلك وينحسر البحر فتأكل حيوانات البرّ من نفس ذَاك الحيوان.

(١) سورة البقرة: ١١٧.

فهو الآن تصوّر أنّه كيف سيعاد هذا؟ فقيل له: هات أربعة طيور واخلطهنَّ؛ ثمّ انظر كيف تفترق حين يناديها ربّ العالمين! وكلّ طير يعود إلى شأنه كما كان؛ فهذا لا يُعجز الله.

الجملة الثّامنة: {وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}: ولذلك خُتمت الآية بقوله تعالى: {أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ} أمره نافذ، {حَكِيمٌ}: يضع كلّ شيء في موضعه.

إذًا ناقشنا ثلاثة أمور هنا:

الأمر الأوّل: عقيدتنا في الرّسل.

الأمر الثّاني: مسألة شكّ إبراهيم.

الأمر الثّالث: دلالة الآية.

كان هذا شيئا مهمّا؛ لأجل ذلك أطلنا فيه، وهو: **عقيدتنا في الرّسل.** وهذه القصّة إنّما هي نموذج لإخراج الله -عزّ وجلّ- النّاس {مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ}أي أنّها تنضم للثّلاث قصص. وهذه القصّة خاصّة تبيّن كيف يترقّى الإنسان من نور إلى نور.

القصّة الأولى: كانت نموذجًا يبيّن: كيف أنّ الطّاغوت يجعل أهله في الظّلمات، وكيف أنّ الإيمان يجعل أهله في النّور؟

القصّة الثّانية: دلّت على: كيف أنّ الله من لطفه ينقل النّاس {مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ}.

القصّة الثّالثة: بيّنت كرم الله في نقل العبد من نور إلى نورٍ أعلى منه.

فصارت ثلاثة نماذج.

مدارسة الأمثال الثّلاثة (٢٦١- ٢٦٦)

سننتقل الآن إلى الآيات: كأنّنا سنعود مرّة أخرى لمسألة الإنفاق الّتي كانت قبل آية الكرسي.

آية الكرسي هنا هي بمثابة الاستئناف، أو بمثابة الجملة المبيّنة لصحّة عقيدتك في الجهاد، والإنفاق.

سنقرأ، وبعد ذلك يظهر لنا في النّقاش:

يقول الله عزّ وجلّ: {مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٢٦١) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٢٦٢) قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ (٢٦٣) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (٢٦٤) وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٢٦٥) أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ}(١)

نرى الآن الآية (٢٥٤) {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ} (٢): ماذا يقول الله -عزّ وجلّ- فيها؟ {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا} {أَنْفِقُوا} هذا فعل أمر.

إذًا هذه الآية تستطيعين أن تقولي فيها: أنَّ الله -عزّ وجلّ- أمرهم بالإنفاق؛ ووعظهم بماذا؟ {أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ} وعظهم من أيّ شيء؟ {مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ} وعظهم بيوم القيامة، أنفقوا الآن قبل أن يأتي يوم القيامة.

وأتت بعدها آية الكرسي، إلى أن وصلنا إلى قصّة إبراهيم، ثمّ عدنا مرّة أخرى.

---

(١) سورة البقرة: ٢٦١- ٢٦٦.

(٢) سورة البقرة: ٢٥٤.

الآية (٢٦١): {مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ} معناها: أنَّ الآية (٢٦١) مرتبطة تمامًا بالآية (٢٥٤) يعني لازلنا نتكلّم عن الإنفاق، يعني ربّنا لايزال يخاطبنا في الإنفاق.

الآن هذه الآيات الّتي في الوسط، الّتي بتعبير النّحويّين، وغيرهم، تُعتبر: **جملة اعتراضيّة**، ما هي **الجملة الاعتراضية**؟ من آية الكرسي، وما بعدها، إلى أن تصلي إلى القصّة.

و**الجملة الاعتراضية**، لا تظنّوها معترضة لأنّها اعتراضيّة هكذا في الوسط، بل هي من آثار البلاغة: أنّه هناك أمر متعلّق بما نناقشه؛ كأنَّه يُقال: قبل أن نُكمل النّقاش اسمع هذا؛ لأنَّه سيساعدك في النّقاش التّالي.

فنحن ربّنا يخاطبنا في أيّ شيء؟ في الإنفاق؛ وفي أثناء الكلام عن الإنفاق، قال لنا: هذه أوصاف الله، {لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ}[1] أخبرنا عن ولاية الله، وكيف أنّه يُخرج أولياءه {مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ}، وأخبرنا عن صور، ونماذج لذلك؛ فما فائدة هذا بالنّسبة للإنفاق؟ جواب هذا السّؤال يكون:

أوّلا: أنّك تفكّرين: آية الإنفاق هذه الّتي في (٢٥٤) جاءت بعد ماذا؟ لأجل أن تتذكّري اتركي الآية (٢٥٣) الّتي هي: {تِلۡكَ ٱلرُّسُلُ} لأنها خاتمة للسياق السابق ارجعي لما قبلها: **أسباب النّصر والهزيمة** (٢٣٨) هذه كانت بداية الكلام عن الجهاد؛ بدليل أنّه أتى الأمر بالصّلاة: {فَإِنۡ خِفۡتُمۡ}، لكن أتى نقاش حالة الخوف، وبعد ذلك أتانا الكلام عن اللاّتي يموت أزواجهنّ وهم على ذمّتهم، أو المطلّقات منهنَّ، وقلنا: أنّ هذه حالة –كما ذكر بعض الفقهاء– مُتعلّقة بالّذي يموت بالجهاد؛ سواء الزّوجة الّتي على الذّمّة أو المطلقة لها حالة معيّنة مختلفة عن غيرها.

إذًا أوّل الكلام كان النّقاش عن الصّلاة بالنّسبة للجهاد، وأنّ أهمّ شيء يطمئنك، هو: الصّلاة.

وبعد ذلك أتى أمر ثانٍ وهو: أنَّ الّذي تركته ورائك، اطمئنّ عليه.

ثمّ الآية (٢٤٣) ماذا قالت لنا عن الجهاد؟ لازلنا نقول على الجهاد {أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَارِهِمۡ} أنَّ الجهاد ما به؟ ليس سببًا للموت. ولا تنسي خالد ابن الوليد أبدًا! خالد ابن الوليد قاتل، قاتل، قاتل، لكنّه لم يُكتب له أن يموت شهيدًا، فليس شرطًا أن يكون القتال سببًا للموت؛ ولذلك وهو على فراش الموت، قال: (لا نامت أعين الجبناء) لماذا يقول ذلك؟ يقول: (الجبان الّذي يعتقد أنَّه لو خرج للجهاد سيُقتل؛ فليأت ويرى حالتي! كم قاتلت، لكن في النّهاية متّ على فراشي!).

---

(١) سورة البقرة: ٢٥٦.

إذًا هذه الآية (٢٤٣) لازالت تقول: لا تخف من الجهاد؛ الجهاد لا يسبّب الموت! الموت إذَا كان مكتوب فإنّه سيقع {وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ}[١]؛ ولأجل ذلك مباشرة بعدها: {وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}.

هكذا اتّفقنا: نوقشت:

- الصّلاة.
- ومسألة المتعة للزّوجة؛ الّتي مات عنها زوجها، والمطلّقة.
- ومسألة أنَّ الجهاد ليس سببًا للموت.
- وبعد ذلك أتى الكلام صريحًا: {وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ}[٢].
- وأتى بعده الكلام عن النّفقة {مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ}[٣] ومن هنا بدأ الكلام عن الإنفاق في سبيل الله.
- جاء بنو إسرائيل –وهم النّموذج الآن– قصّة طالوت، وكيف كان في القصّة دليل على أسباب النّصرة، وأسباب الهزيمة.
- معك الآية (٢٤٥) لا تنسيها {مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا} وبعد ذلك أسباب الهزيمة، وأسباب النّصرة من القصّة.
- إلى أن وصلنا مرّة أخرى في الآية (٢٥٤): {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ} إذًا {أَنْفِقُوا}: هذا فعل أمر، سيكون تابعًا لأيّ شيء؟ {مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا}. إذًا من هناك بدأنا بالكلام عن القتال، ويُقصد بالإنفاق هنا: الإنفاق في سبيل الله، في سبيل نصرة الدّين.

وجاءت **آية الكرسي**، ماذا تقول لنا بعد هذا كلُّه؟ هذا هو السّؤال الّذي تركناه سابقًا، تقول: أنت ستنفق وتقاتل، ستبذل أهمّ شيئين عندك: ستبذل مالك ونفسك؛ فلابدّ أن تكون متيقنًا أنَّك على الحقّ، وأنك في سبيل الله، لكن لن تبذل مالك، ونفسك، ويكون في نفسك شكّ في أنّ هذا الحقّ!

---

(١) سورة النساء: ٧٨.

(٢) سورة البقرة:٢٤٤.

(٣) سورة البقرة:٢٤٥.

فجاءت الآيات تقول: هذا وصف الله عزّ وجلّ، وأنّه: {لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ}، فقد تبيّن الرّشد! وأنَّ هذا حال الأولياء، وكيف أنّهم تُكشف عنهم الظّلمة.

الآن عندما تحفظين الآيات لا تنسي: أنّ آية الكرسي، وما يلحقها، كالجملة المعترضة في وسط الكلام عن القتال؛ كأنَّه يُقال: بَذْلُكَ لنفسك ومالك في مكانه؛ {قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ} أنت تستثمر في أفضل مكان.

لأجل ذلك ستتصوّرين مباشرة بعدما ننتهي من الكلام عن إبراهيم عليه السّلام؛ الّذي هو المثال الثّالث، سنعود مرّة أخرى: {مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ} ستتصوَّرين لماذا رجع الكلام عن الإنفاق مرّة أخرى.

يعني: الكلام عن آية الكرسي وما يلحقها إنّما لبيان أنّ بذلك لنفسك ومالك إنّما هو في مكانه، وإذَا قبله الله؛ فإنّه سيعاملك هكذا: جاءت هنا ثلاثة أمثال.

ضُرب ثلاثة أمثال، لثلاثة أحوال:

المثل الأوّل: في الآية (٢٦١): لمن هذا المثل؟ {ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ} ضُرب المثل للمنفقين، المخلصين، للمنفق المخلص في إنفاقه.

المثل الثّاني: في الآية (٢٦٤): لمن المثل؟ ضُرب لمن؟ هذا المثل فيه شخصين: يُقال للمنَّان: لا تمنّ لأنَّ مَنَّكَ يجعلك كأنّك مُراءٍ؛ فصحيح أنّ المثل ضُرب للمُرائي، لكن تحذيرًا للمنَّان.

هيّا انظري إلى الآية: اقرئيها جملة، جملة؛ لأجل أن تصلوا إلى هذا المعنى:

الجملة الأولى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى}: النّهي عن إبطال الصّدقات {بِالْمَنِّ وَالْأَذَى}.

الجملة الثّانية: {كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ}: بعد ذلك جاءت (الكاف) تقول ماذا؟ {كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ} ستكون إذَا مَننت بنفقتك، كمن لم يكن مخلصًا! فالاثنان صارا يشبهان بعضهما، وضُرب لهما مثل.

ما هو هذا المثل؟ {فَمَثَلُهُ}: مثلُ من الآن؟ المُرائي. هذه الآية مركّبة؛ لو عُدنا إلى جذر المسألة: المثل للمُرائي أصلًا، وبعد ذلك يُقال للمنَّان: لا تكن مثل المُرائي؛ الّذي مثله كذَا.

انظري: إلى الكاف في التّمثيل: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا}، اقرئي الآية:

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى} النّهي لمن الآن؟ للّذين آمنوا بأن لا يبطلوا صداقتهم {بِالْمَنِّ وَالْأَذَى}. **يعني**: هنا المنَّان. هذا المنَّان سيُشْبِه من؟

{كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ}: إذًا شُبِّه المنَّان بمن؟ بالمُرائي، هكذا انتهينا من أوَّل تشبيه.

الجملة الثّالثة: {فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا} الآن: {فَمَثَلُهُ} الضمير عائد على من؟ على المُرائي، أي أن المنَّان سيشبه المُرائي، والمُرائي هذا مثله، فصارت كأنّها تركيبه من صنفين:

إذًا الأوَّل: مَثَلٌ للمخلص.

والثّاني: مَثَلٌ للمنَّان والمُرائي، وبعد ذلك أنت تتصوّرين العلاقة من الكلمتين: (الكاف) و {فَمَثَلُهُ}: أنّ المُرائي هذا مثله، والمنَّان يشبهه، فأنت يا أيها المُتصدِّق، المُؤمن، المُخلص، لو أنت مَنَنْتَ ستصير صورتك كصورة المُرائي، والمُرائي هذا وصفه.

نأتي الآن إلى المثل الثّالث والرّابع، الآية (٢٦٥) والآية (٢٦٦): وهما مَثَلَان متقابلان، ممكن اعتبارهم مثلا واحدًا؛ لأنّ هناك مقارنة، وممكن أن نعتبرها أربعة أمثال، سنرى!

انظري: الآية (٢٦٥) والآية (٢٦٦): فالآن هذا هو تفكيرنا، أوّلا: لأيّ شيء ضُربا؟

{وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ}.

قارني بين هذه الآية، والآية السّابقة؟ الّتي هي آية وصف المنّان.

{وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ} ما هو غرضهم؟ {ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ} هذا هو الغرض الأوّل: طلب مرضات الله. والغرض الثّاني: {وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ}.

فهذه هي الكلمة الّتي ستفهّمك العلاقة بين هذه الآية والآية السّابقة. ما معنى {وَتَثْبِيتًا}؟ أي يُوَطِّنُون أنفسهم على حفظ الطّاعة. أي أنّ الأوّل مَثَل المُرائي، هذا أصلًا دخل الطّاعة وهو ما يريد وجه الله! فانتفى عنه الأمر الأوّل؛ أنّه: {ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ}.

الّذي يُشبهه: المنَّان. ما هي مشكلته؟ دخل {ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ}؛ مشكلته ليست في بداية عمله، لكنّه خسر المرحلة الّتي بعدها! الّتي هي المُحافظة على العمل!

ففي هذه الآية الآن، فيها الغرضان المهمَّان عند كلّ إنفاق. سنقول: إنفاق، وبعد ذلك سنعمِّم على كلِّ العبادات. ما هما الغرضان من الآية؟

الغرض الأول: {ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ} أن يطلب الإنسان مرضاة الله من كلّ عمل.

الغرض الثّاني الّذي من المفترض أن يُلاحظه الإنسان هو: أن يثبِّت نفسه، بمعنى: يوطِّن نفسه على حفظ العبادة من الفساد، يرى ما الّذي يفسد العبادة، ويحافظ عليها. من جملة ذلك، هنا في هذا الموقف: ترك المنّ والأذى.

إذًا كلّ عبادة يجب أن يكون فيها شأنان:

١. **أن تبتغي مرضات الله.**

٢. **وتثبِّت نفسك بحيث أنّك لا تأتي بِمُفْسِدٍ للعبادة.**

يعني: تحاور نفسك، بحيث أن تتأكّد أنّك قاصد وجه الله؛ لأن المنّ والأذى كأنّه يهزّ قصد وجه الله، **يعني**: تشبه المُرائي في مثل هذه الحال.

إذًا هذه الآية مرتبطة بالآية الّتي تسبقها.

سنأتي للآية (٢٦٦)، أنا سأترك التّشبيه، وأبحث فقط عن الأغراض من الأمثال، فالآن نحن نبحث عن الأغراض:

- مثل ضرب للإخلاص؛ أنّ حبّة تأتي بسبع سنابل، السّبع سنابل تأتي بمائة حبّة.
- بعد ذلك جاءنا مثل، وضّح فيه مشكلتي: الرّياء والمنّ؛ كيف أنّهما يفسدان العمل الصّالح.
- ثمّ ضُرِب مَثَلٌ لضدّهم الّذي يجمع بين أمرين: بين ابتغاء وجه الله، وبين التّثبيت لنفسه.

فصارت الآن ثلاثة أغراض. نأتي للغرض الرّابع.

{أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ}

هذا مَثَلٌ ضُرب لمن؟ هذا كان ماشيًا على خطّ مستقيم. فكّروا في المَثل نفسه، اتركوا أقوال الطّرف الثّاني، أخبروني: الآن هو ماشي على الطّريق المستقيم، كيف ذلك؟ عنده {جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ} لاحظوا: أنّ كلّ الكلام عن الانفاق: شُبِّه بالزّرع: هذا الآن ماشي، عنده جنّة،بعد ذلك لمَّا أصبح متقدّمًا في العمر، غاية في الحاجة، أتاه إعصار فيه نار، فأحرق هذه الجنة.

الجنّة: كيف ستصوّرينها من خلال كلّ ما فهمته سابقًا؟ آثار إنفاقه؛ لأنَّ الآيات تدرَّجت معك، قالت لك: إنَّ الإنفاق نفسه مثل الحبَّة الّتي تنبت سبع سنابل؛ فإذًا حين ترين الزّرع، تصوَّري الإنفاق: أنَّ هذه الشّجرة الكبيرة، الّتي قد امتلأت غصونًا، وأشجارًا، وأوراقًا، وثمارًا، جاءت من حبّة واحدة، يعني من ريال واحد، من حبّة تمرة، من لقمة أخرجتها وأعطيتها لغيرك؛ فهكذا تصوّريها.

فهذا لم يكن عنده بذرة واحدة، أو ريال واحد؛ وإنّما عنده شيء كثير أنفقه! لكن ما الّذي صار فجعل {إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ} فأحرقها؟! انظري إلى المَثّل السّابق؛ لأجل أن تتصوّري؛ الآية (٢٦٤).

هل لاحظتم الآن أنّ كلّ الكلام عن الإنفاق مشبَّه بالزّرع، **أوَّل مثل**: حبَّة أُلقيت في الأرض؛ عندما تُلقى في الأرض فإنّها لن تصعد إلى فوق، وتثبت؛ إلّا إذا كان لها جذور، وهذه الجذور هي: **الإخلاص**.

لكنّ المُرائي كيف ضُرب له مثل؟ {صَفْوَانٍ} حجر أملس عليه تراب؛ هل تصوّرتم كيفيّته؟ هذه مناطق في الأرض. لماذا يحرث المزارعون الأرض؟ هم يحرثونها تكون في مناطق فيها حجر صلب، وليس ترابًا؛ فيحرثونها؛ لأجل أن يطمئنّوا أنَّهم لا يزرعون في أماكن فيها حجارة صلبة؛ لأنَّه الآن هو ليس أحدًا يزرع في الجبل، وإنّما في الأرض، تأتي مناطق فيها حجارة صلبة، في وسط منطقة كلّها تراب.

فتصوَّري الآن: هذا المخلص بذَر في كلّ المنطقة الّتي فيها تراب؛ المُرائي بذر في منطقة فيها صخرة، وفوقها تراب؛ لكنّه لم يغرس في داخل الأرض وإنّما رماها هكذا! لمَّا جاء المطر، ماذا فعل؟ أزالها لأنَّها أصلا سطحيّة، ما لها جذر في الدّاخل؛ لابدّ أن يكون لها جذر في الدّاخل؛ لأجل أن تدلُّ على **الإخلاص**.

إذًا المُرائي الّذي ينفقه كأنَّه زرع، لكن ليس فيه جذر لزرعه؛ فأقلّ موقف سيكشف حقيقته.

فالّذي نحن بصدد مُناقشته الآن في الآية (٢٦٦): هل هذا عنده جذور لمزرعته أم لا؟ عنده جذور، إذًا أكيد أنّه ليس مُرائيًا؛ لأنّ هناك جذور لزروعه. بَقِيَ ماذا؟ أنّ الزّروع نبتت، وانتشرت، وصارت، وبعد ذلك أتى المنّ أذهبها بعد جمالها، وبهائها.

وهذا معناه: أنَّك تتصدّقين بالكلمة الطيّبة، وتتصدَّقين بالعلم، وتتصدَّقين بالمال، تتصدَّقين بأيّ شيء؛ وبعد فترة تغضبين على هذا المتصدَّق، وتمنّين عليه! قبل ذلك كان الله يربّيها لك؛ أليست الصّدقة تقع في يد الله، ويربّيها الله مثلما (يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ)[1]؟ (فلوه) هذا نِتَاج الخيل، تكون صغيرة وبعد ذلك ربّنا يكبّرها.

هذا زرعه كَبُر، وكَبُر، وفي نهاية الأمر؛ علّق تعليقًا سخيفًا، منَّ به على غيره، أو جاء مثلًا: بعد الصّدقة، ورآه مثلًا: بعد سنة أو بعد سنتين، والثّاني ما أبدى له ترحيبًا، ولا أظهر له اهتمامًا؛ ففي نفسه يقول: (حرام فيك الصّدقة الّتي أعطيتك إيّاها!)!

هنا ندخل في حوار طويل: هل الّذي أقوله في نفسي، سأحاسب عليه، أو لا أحاسب عليه؟ هذه قصّة طويلة في نهايتها: أنَّه لو كانت إرادة مستقرّة في نفسك، أنَّك تمنُّ على النّاس؛ أكيد لها أثر! وهذه من الذّنوب العظيمة!

لكن دعونا نترك هذا النّقاش، ونفترض أنَّك تكلّمت بلسانك؛ ماذا سيحصل في هذه المزرعة الكبيرة الّتي زُرِعت لمدّة سنتين، والله –عزّ وجلّ– سقاها من الأجور؟ كأنَّه أصابها {إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ}.

إذًا معنى ذلك: هذه الأمثال ضُرِبت للمخلص من جهة، وللمُرائي، وبعد ذلك للمنَّان؛ فصارت ثلاثة، لكن الثّاني والثّالث تقابلا: المُرائي مع المُخلص، **يعني:** في الوسط، انظري في المثل الثّالث؛ الّذي هو: {جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ} **هذا المثل كأنَّه الحالة؛ الّتي يجب أن تكون فيها أيّها المخلص: كن حذرًا دائمًا من أمرين: من أن تهزّ إخلاصك، أو من جهة أخرى تقع في المَنّ. أو كأنّنا نقول:**

وأنت داخل على العمل: لابدّ من ابتغاء وجه الله.

بعدما تنتهي من العمل: لابدّ أن تُثبّت نفسك؛ فلا تذهب للرّياء من جهة، ولا تذهب للمَنِّ من جهة أخرى.

فهي ثلاثة مقاصد:

---

(١) أخرجه البخاري (١٤١٠).

وصف المخلص: أتى في البداية وصف له، وأتى في المثال الثّالث وصف له.

وصف المُرائي.

وصف المنَّان.

وهذا كلّه يُرْجعك **لآية الكرسي**؛ أنّه لو كان عندك يقين لسهل عليك الإخلاص، وكنت ستمتنعين من المَنّ؛ فلابدّ أن تكون **آية الكرسي** مقدِّمة لهذا كلّه أنَّه: أنت تعاملين ربّ العالمين، العظيم، الغنيّ – سبحانه وتعالى– عن خلقه؛ فحين تعاملينه فكّري في الأجر الّذي سيترتّب لك، ولا تفكّري في كونك أنت الّتي فعلت! وإنّما بالإعانة! بالرّزق: {وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ}[1]! وليس من عندك!

مدارسة الآية (٢٦٧)

انتهينا من هذه الثّلاثة أمثال، نبدأ الآن فيما بعدها، الآية (٢٦٧):

يقول الله عزّ وجلّ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ} [2]

الآن الّذي مضى كان بيانًا للإنفاق الّذي يَتْبَعُهُ المَنّ والأذى، والّذي لا يتبعه المَنّ والأذى.

وهنا بيان لنوع المال الّذي يجب أن يُنفق، ما هو نوع المال؟ الطّيّبات. كلّ هذا كأنَّك تناقشين فيه: **آداب الإنفاق**؛ يعني الإنفاق في سبيل الله من أعظم الاختبارات! بذل النّفس، وبذل المال، من أعظم الاختبارات! فلابدّ أن تكوني سائرة على الأدب الّذي شرّعه الله.

(١) سورة البقرة: ٣.

(٢) سورة البقرة: ٢٦٧.

مدارسة الآية (٢٦٨)

يقول الله عزّ وجلّ: {ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةٗ مِّنۡهُ وَفَضۡلٗاۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ} (١)

الجملة الأولى: {الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ}: هذا بيان واضح للمانع من الإنفاق؛ الّذي هو وسوسة الشيطان.

الجملة الثّانية: {وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ} في كلّ شأنكم يأمركم بالفحشاء، **بمعنى: أنّ أيّ كلام يقوله، لا تصفوه إلّا بالفحشاء! وأيّ وعود يعدكم إيّاها؛ ما هي إلّا فقر!**

الجملة الثّالثة: {وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ}: وهذا كلّه بيان: أنّك لو عرفت الرّحمن؛ لبذلت نفسك، ومالك في سبيله؛ لأنَّه -سبحانه وتعالى- يعدكم بهذا الإنفاق، مغفرة منه.
تصوَّري الموقف: عندما تنفقين؛ لابدّ أن يوسوس لك الشّيطان: (أنَّه بهذا نقص رصيدك! ونقصت أموالك! نقص الّذي عندك!) في نفس الوقت، وكما مرَّ معنا سابقًا: أنَّ هناك في القلب: (لِلشَّيْطَانِ لِمَّةً، وَلِلْمَلَكِ لِمَّةً)(٢)، (لِمَّةً) عندما تسمعين صوتًا! فالشّيطان {يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ} يقول لكم: (أنفقتم؟! إذًا سينقص رصيدكم!) في مقابل أنّ المَلك الّذي يعدكم الخير يقول لك: (هذه ستجدينها عند الله وافرة، مغفرة عظيمة، ستجدينها عند الله أعظم بكثير ممّا تظنّين).

ولذلك {وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ} على إنفاقكم {مَغْفِرَةً} وإذا حصلت المغفرة، تطيب الحياة، وتنزل البركات، بل ويعدكم أن تحصل لكم سِعَةٌ في نفوسكم، سِعَةٌ في أموالكم، سِعَةٌ في إيمانكم؛ لأن الله {وَاسِعٌ عَلِيمٌ}.

إذًا هذه معركة الإنفاق، لابدّ أن يكون فيها من وسواس الشّيطان ما فيها! ثمّ إنّ الشّيطان عنده نُوَّاب! إذَا انتهينا منه هو، ومن وسوسته، عنده نُوَّابه الّذين يأتون يقولون لك: (النّاس لا تستحقّ كلّ هذَا! والنّاس ما ينفع فيهم شيء! هؤلاء النّاس ينصبون عليك! إلخ...)! وهؤلاء النُّوَّاب ما أكثرهم!

---

(١) سورة البقرة: ٢٦٨.

(٢) أخرجه النسائي (٩٦٨١).

وفي كلّ الأحوال؛ فإنّك إن أنفقت، فوقعت في يد من يستحقّ؛ فأنت عند الله لك أجرك. وإذَا وقعت في يد من لا يستحقّ؛ فأنت متصدّق عند ربّ العالمين. فشأنك أنت: ليس من يكون؟ وإنّما شأنك: هل أنت نجحت في الاختبار أم لم تنجح؟!

وهذه مسألة يصعب بيانها، خصوصًا مع كثرة التّشويش اليوم على مسألة الإنفاق، لكن أنت لابدّ أن تنتبه أن أوَّل ما يبدأ الأعداء يحاربوك، يحاربوك في مسألة الإنفاق! ويضيّقون عليك مسألة الإنفاق! ولذَا فإنّه في كلِّ أزمنة العالم الإسلامي كان أعظم شيء يرفع قيمة العالم الإسلامي: **الأوقاف**؛ فحين تكون موجودة هذه **الأوقاف**، سواء كانت **أوقافًا** على طلبة العلم أو **أوقافًا** ... لدرجة أنّه من كثرة **الأوقاف** في العالم الإسلامي، كان عندهم **أوقاف** على كسر الصّحون! **بمعنى**: أيّ طفل صغير يكسر صحنًا – طبعا الصّحون في الزّمن الماضي كان له قيمة– هذا الوقف يُعطيه بديلًا عنه! يعني: في هذه المدينة المذكورة، هي في بغداد، وقف اسمه: **"وقف كسر الصّحون"** بمعنى: أنّ أيّ واحد يكسر صحنه من الغلمان، يأتي عند هذا الوقف فيبدله إيّاه بصحن آخر.

لهذه الدّرجة كانت **الأوقاف**! تسدّ كُلَّ خِلاَلِ [1] المسلمين، كلّ نقاط نقصهم.

فحين تتصوّرين أنّه على الصّحن هناك وقف؛ فماذا تتصوّرين على غيره من أبواب الخيرات؟! الشّيء العظيم! لكن لأجل أن يضعفنا العدوّ فإنّ أوَّل أمر: يُضعّفنا في القوَّة المادّيّة!

وطبعًا أنتم ترون كيف أنّ الإنفاق ارتبط بالإرهاب! فكانت النّتيجة أنّ النّاس قالوا: (الحمد لله جاءت من عند ربّنا)! وكلّ أحد توقّف وظنّ أنّه بذلك يصير معذورًا.

أنت بينك وبين الله، لكن أنا أقول لكم هذا الكلام، وأيّ شيء تملكينه، ويمكن أن يكون **وقفًا** وينفع المسلمين، أوقفيه واستثمريه عند ربّ العالمين، ما استطعت إلى ذلك سبيلًا –والحمد لله– المحاكم اليوم فيها مكتب خاصّ لتسجيل الأوقاف بكل يُسر وسهولة، سواء في محكمة جدّة وغيرها من المحاكم، هناك مكتب خاصّ تكتبين فيه كلّ الّذي تريدينه في هذا **الوقف**، ويتمّ تسجيله –والحمد لله– والّذين يأتون بعدك لا يستعملونه إلّا في هذا الوقف.

(١) معنى الكلمة في معجم المعاني الجامع _ **خَلّة**: (اسم) الجمع: **خِلال**: الجمع: خَلٌّ، الخَلَّةُ: **الحاجةُ والفَقْر**.

فلا تستهينوا بما تملكون! وادعوا ربَّنا أن يفتح لكم شيئًا يبقى دارًا عليكم في قبوركم؛ لأنّ النّاس اليوم كلّ فترة يقولون لك: (أولادنا! وأولادنا!)؛ بينما أولادنا سيعيشون حياتهم، لكن أنت ستدخلين قبرك، وهم جزاهم الله خيرا لو تذكّروك وقالوا: (الله يرحمه!).

لكن لن ينفعك إلّا أن تترك لنفسك وقفًا يَدُرُّ عليك في قبرك؛ هذا هو الاستثمار الحقيقي الآن! أنّك تقومين بإيقاف **وقف** يدرّ عليك في قبرك؛ بحيث أنّه يكون كالعمل الصّالح المستمرّ. فهذه أحد الغايات، وهذه ليس فيها كثير وقليل! وإنّما فيها أنَّ الله يبارك ويرزق الإنسان من حيث لا يحتسب، نسأل الله أن يرزقنا **أوقافًا** مقبولة.

مدارسة الآية (٢٦٩)

بعد كلّ هذا الكلام عن الإنفاق، تأتي هذه الآية العجيبة:

يقول الله عزّ وجلّ: {يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ}(١)

الجملة الأولى: {يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ}: ماذا تتصورين: ما علاقة الحكمة بالّذي مضى؟ خصوصًا بالآية السّابقة: أنّ الشّيطان {يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ} ما هي العلاقة؟ **العلاقة: هو القرار الّذي ستأخذينه! يعني أنت ستكونين حكيمة؛ إذَا اتّخذت قرارًا صحيحًا؛ وما صدَّقت وسواس الشّيطان؛ وآمنت بوعد الرّحمٰن.**

وهذه الحكمة يؤتيها الله –عزّ وجلّ– {مَن يَشَآءُ}؛ فليس كلّ النّاس حُكماء! أنتم تعرفون أكيد، ويمرّ في خواطركم عن أشخاص عندهم ما ينفعون به أنفسهم في قبورهم الشّيء العظيم، لكنّهم ما أوتوا {ٱلْحِكْمَةَ}!

فهذا هو الفرق: أنّ الّذي عندك قليلًا كان أو كثيرًا، تُؤتى فيه {ٱلْحِكْمَةَ}؛ فتنفقه في سبيل الله. لكنّ الّذي لم يُؤتَ {ٱلْحِكْمَةَ}؛ يكون عنده الشّيء الكثير، لكنّه لا ينفعه!

ولذلك الله –عزّ وجلّ– قال:

الجملة الثّانية: {وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا}هذا هو الخير الكثير! أن تُؤتى {ٱلْحِكْمَةَ} وتتّخذ القرار!

وانظر الآن إلى خاتمة الآية:

الجملة الثّالثة: {وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ} يعني: أصحاب العقول السّليمة، هم الّذين يتذكّرون، ويتّخذون قرارات سليمة، والقرار السّليم: هو أن تفكّر في قبرك، ماذا سينفعك؟

(١) سورة البقرة: ٢٦٩.

وهنا لازلت أقول لكم: القليل والكثير ينفع الإنسان! ليس شرطًا أن يكون عندك الكثير! فممكن من القليل الّذي عندك، وعندك أختك الثّانية، والثّالثة، والرّابعة، نكوّن وقفًا ينفع المسلمين في أيّ باب من أبواب الحاجة؛ لماذا الأوقاف خاصة؟ لأنَّ الأوقاف تَستمرّ، وتُستثمر.

أكيد أنّكم سمعتم **خطبة** [١] الشّيخ فيصل الغزّاوي، قبل أسبوعين. كيف أنّه كان يتكلّم مثلا: عن "**عين زبيدة**"، هذه فيها من الخير ما فيها! وإلى زمن قريب وهذا الاسم لازال موجودًا وينفع الحجّاج، هل تعرفين كم؟! أكثر من **٨٠٠** أو **٩٠٠** عام والماء يجري، وأجورها تجري، فهي وُقِّفت إلى عملٍ صالح.

وعثمان رضي الله عنه كان له بئرٌ أوقفها، وإلى الآن، إلى هذا اليوم وخيرها موجود؛ فهذا كلّه إشارة إلى أنَّ القليل أو الكثير ممَّا يملكه الإنسان يوقفه، يبقى خيره نفعًا لجميع المسلمين. وهذه من الحكمة الّتي يؤتيها الله {مَن يَشَآءُ}.

وأعظم الأوقاف اليوم: ما كان وقفًا على نصرة الدّين في نشر العلم؛ الآن هذا أكثر شيء نحن نحتاجه، والأبواب – الحمد لله– في هذا الجانب مفتوحة من كلّ الجهات، وبكلّ اللّغات.

وأهل جدّة، وأهل مكّة، وأهل المدينة، هؤلاء الّذين يُجاورون الحُجّاج والمُعتمرين؛ قد جاء الخير إلى بابهم وطرقه، وقال لهم: هيّا! هلمّوا! {وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗا}، لكن الله يرزقنا الحكمة! الله يرزقنا الحكمة!

---

(١) خطبة الجمعة ١ رجب ١٤٤٠ هـ من الحرم المكي الشيخ فيصل بن جميل غزاوي. (**وقال إمام وخطيب المسجد الحرام**: من سنن الله الماضية؛ مكافأة صانعي المعروف وفاعلي الخير إلى الخلق بأفضل مما صنعوا، ومن إكرام الله لهم أن يبقى نفع أعمال البر التي عملوها في حياتهم وأثرها الحميد بعد مماتهم، فالخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه اشترى بئر رومة فجعلها وقفًا عامًّا للناس كافة في عصر النبي صلى الله عليه وسلم وما بعده من العصور، ومن بركة هذا الوقف.. **وقال الشيخ "غزاوي"**: الله جل جلاله هو الحي القيوم الدائم الباقي والخلق جميعًا ميتون فانون، وما عند الله من الأجر والثواب يبقى، والآخرة هي الحياة الدائمة الكاملة التي لا تفنى وأهلها لا يموتون فمن عمل لها وسعى لها سعيها كان من الفائزين المفلحين، والدنيا زائلة وأهلها زائلون؛ فكل ما كان للدنيا يزول ويفنى، هذا من الحقائق التي ينبغي ألا تغيب عنا وأن ترسخ في القلوب، نعم ما كان لله يبقى، فالإنسان الذي يعمل لله سيبقى عمله، وسيبقى أثره وسيبقى ذكره، قال الله جل ذكره {إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملًا}.)

مدارسة الآية (٢٧٠)

إذًا الآية السّابقة فيها بيان: أنَّ قرارك هذا، سيكون غاية في الحكمة. كذلك هناك شيء آخر سيشجّعك:

يقول الله عزّ وجلّ: {وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ}[١]

أين الحثُّ الآن؟ {فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ}، {وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ} قليلًا كان أو يسيرًا، كبيرًا كان أو عظيمًا، أيًّا كان! {فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ} **وإذَا قيل: {فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ} يعني: وسيجازيكم. بمعنى: أنّه لا يوجد هناك شيء ستفعله، وتقصد الله به، بنيَّة صحيحة، ويذهب عليك أو يضيع! أبدًا! ولو كان العزم على أن تفعل!**

ولذلك لا تنسوا حديث: (فَهُمَا فِي الْأَجْرِ سَوَاءٌ)[٢] الآن مثلًا: ليس لدينا أيّ شيء -الحمد لله خير وبركة- لكن نتمنّى صادقين أنّه: (لو رزقنا ربّ العالمين؛ نفعل مثل فلان، وفلان، وفلان؛ الّذين عندهم أوقافًا) وخصوصًا عندما تذهبين إلى الحجّ والعمرة -خاصّة الحجّ- ثمّ تأتي سيّارات كبيرة، مكتوب عليها: "**وقف فلان، يُطعم النّاس**" فتشعر بأنّ قلبكِ يكاد يخرج من مكانه: (أنَّك تُرزقين مثلما رُزق!) وإنّ هذا الإحساس: (فَهُمَا فِي الْأَجْرِ سَوَاءٌ)! فما أكرم الله!

فالمقصد الآن: حتّى لو لم يكن عندك أيّ شيء؛ فإنَّك تستطيع أن تصل إلى هذا الفضل العظيم، من فضل الله، وأن تكون دائمًا مُظهرًا لربّ العالمين صدقك؛ لأنّ الله هو الّذي يعلم الصّدق؛ فليس هناك مجال للمُخادعة، تُظهر للربّك أنَّ هذه هي أمنيتك: (إطعام الحجّاج، سُقياهم، تعليمهم، إكرامهم) وكلَّما زدت في هذه الأماني الصّادقة، شابهت أصحاب هذه الأموال؛ الّذين ربّنا أعطاهم.

فلا تظنّ أنَّ الله يظلم أحدًا! أبدًا! أبدًا! الآن سيستوي الّذي عنده، والّذي ما عنده، بصدق النيَّة! طبعًا الّذي عنده سيزداد في المضاعفة، لكنّ مُنطلق النيَّة ستأخذ عليه أنت أجرًا! وهذا فضل من ربّ العالمين.

عل كلّ حال؛ فإنّ كلّ هذا حثٌّ:

---

(١) سورة البقرة: ٢٧٠.

(٢) أخرجه أحمد (١٧٧٦٢).

- **حثّنا على أن نضع أحسن أموالنا.**
- **حثّنا على أن لا نستجيب لوسواس الشّيطان.**
- **حثّنا على أن ننفق قليلًا أو كثيرًا بأنَّ الله يعلمه.**

ومعنى ذلك: أنّك لو قصدت بقلبك، حتّى لو ما عندك؛ لابدّ أن تعرف أنّ الله يعلم: {وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ} [١] وهذا النّذر أحيانا يكون: (لو أعطاني الله سأفعل، وأفعل) وتكون صادقًا؛ فتكون النّذور في ميزان حسناتك.

مدارسة الآية (٢٧١)

نأخذ هذه الآية، ونتوقّف اليوم –وإن شاء الله– نُكمل الأسبوع القادم:

يقول الله عزّ وجلّ: {إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ}[٢]

هذه الآن كأنَّها: ثالث نقاش، **سنكتب ١، ٢، ٣، في مسألة الإنفاق:**

أوّلًا: بيّن الله أنَّ الإنفاق، منه ما هو مخلص، غير متبوع بمَنٍّ أو أذى، ومنه ما لا يكون كذلك؛ وذكر سبحانه الحكم على القسمين.

ثانيًا: ذكر سبحانه أنَّ الإنفاق، قد يكون منه جيّد، وقد يكون منه رديء؛ وذكر حُكم كلّ واحد من القسمين.

ثالثًا: وذكر سبحانه أنَّ الإنفاق قد يكون ظاهرًا، وقد يكون خفيًّا؛ وذكر حال كلّ واحد من القسمين: فإذًا ما حال كلّ واحد من القسمين أمامكم في الآية؟

⇐ {إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ}.

---

(١) سورة البقرة: ٢٧٠.

(٢) سورة البقرة: ٢٧١.

⇐ وفي مقابل القسم الثّاني: {وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ}.

الآن عندي ثلاثة أمور:

١) الإخلاص ويقابله الرّياء.

٢) الإحسان ويقابله:

⇐ **المنّ والأذى هذه حالة.**

⇐ **وبعد ذلك الطّيّب والرّديء وهذه حالة ثانية.**

⇐ **والإظهار والإخفاء وهذه حالة ثالثة.**

فهناك توسُّع عظيم في سورة البقرة، في ذكر الإنفاق. وهذا يرجعنا لأوَّل السّورة: أنَّه من صفات المؤمنين أنَّهم: {وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ}[1] فعالج الله في نفوسنا مسألة الإنفاق.

وفي سورةٍ مِثْلَ سورة البقرة، يُناقش مسألة الإنفاق بهذه الطريقة؛ دليل واضح على أنَّه: دليل على صدق الإيمان: إقامة الصّلاة، والإنفاق ممَّا رزقنا، دليل على صدق الإيمان.

نسأل الله يرزقنا الإيمان، ويجعلنا ممَّن أنفق في سبيله، وتقبَّل منَّا، اللّهمّ آمين.

سبحانك اللّهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلّا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

جزاكم الله خيرًا

السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته

(١) سورة البقرة: ٣.

مدارسة سورة البقرة

"دارسة إجماليّة"

أ. أناهيد بنت عيد السميري

اللّقاء الحادي والعشرين (الأخير): الخميس ٢١ رجب ١٤٤٠ هـ

"إتمام مدارسة المقصد الثّالث والرّابع والخاتمة"

بسم الله الرّحمن الرّحيم

المقدّمة: مراجعة ما سبق

السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على سيّدنا محمّد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

هذا لقاؤنا الأخير في الكلام عن سورة البقرة.

بسم الله، توكّلنا على الله، كنّا وصلنا المرّة الماضية إلى نهاية الكلام عن **الإنفاق**. دعونا نراجع قليلًا، وبعد ذلك نبدأ في الدّراسة الجديدة.

الآن ابتداء من **آية الكرسي**: كيف ستربط الآيات الّتي بعدها؟ بعدما درستم **آية الكرسي**، أتى: {ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ}[1] وبعد ذلك أتت ثلاث قصص في بيان الإخراج من الظّلمة إلى النّور:

كانت الأولى قصّة النّمرود: هذه قصّة الملك الّذي {ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ}[2] فكان بسبب المُلك حصل له الطّغيان؛ فالله -عزّ وجلّ- أرانا كيف أنّ الّذي يُوالي الطّاغوت، يدخل في الظّلمة. الطّاغوت هنا هو المال. طغى المال به فسبّب له الكِبْر! طغى المال فجاءه العَمى! خرج {مِنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ}.

وإبراهيم -عليه السّلام- في النّور؛ لأنّه وليّ الله عزّ وجلّ؛ فالله -عزّ وجلّ- ألهمه الحجّة ليُجيب بها. فهذه كانت القصّة الأولى.

بعد ذلك جاءت القصّة الثّانية أيضا تُشير إلى مسألة إخراج الله -عزّ وجلّ- العبد {مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ} ، كيف كان موقفه لمّا سَأَلَ: {أَنَّىٰ يُحۡيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعۡدَ مَوۡتِهَا}[3].

{فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ} ثمّ أحياه، ثمّ أراه؛ فكان هذا إخراج من {مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ} بلطفه -سبحانه وتعالى- حصل اللّطف هنا. وبعد ذلك بقيت عليك قصّة إبراهيم.

---

(١) سورة البقرة: ٢٥٧.

(٢) سورة البقرة: ٢٥١.

(٣) سورة البقرة: ٢٥٩.

في قصّة إبراهيم، الله -عزّ وجلّ- أخرج إبراهيم من الدّرجة الأدنى للدّرجة الأعلى في النّور، في قصّة إبراهيم كما اتّفقنا أنّ إبراهيم -عليه السّلام- لم يشكّ، وقد تناقشنا في هذا بالتّفصيل، وتيقّنّا أنّ سؤاله ليس سؤال شاكٍّ. {أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ} [1] سؤال لا يعني الشّكّ. ومن ثمّ كان موقف إبراهيم -عليه السّلام- نموذجًا للتّرقّي في النّور من علم اليقين إلى عين اليقين.

وانتهت هذه الثّلاث قصص مرتبطة بقوله تعالى: {ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ}[2] نفس هذا المقطع كلّه؛ الّذي هو: **آية الكرسي، وما بعدها**، مرتبطة بماذا؟

فكّري في الآية الّتي قبلها: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم}[3] {أَنفِقُواْ} وجاء التّنبيه على أنّه هناك: {يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ}.

إذًا معنى هذا: أنّ كلّ هذا السّياق أتى في الكلام عن **الإنفاق، يعني**: أنت وقتما تنفق ستنفق في الحقّ؛ لأنّ هذه الآية انتهت بقوله تعالى: {وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ} والظّلم هنا: الظّلم المُستقبح -طبعًا- لأنّهم عبدوا غير الله؛ فوضعوا الطّاعة والتّعظيم في غير موضعه! هذا مثلما قال لقمان: {إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ}[4] لماذا؟ لأنّه وضع حقّ الله في غير موضعه، والظّلم تستقبحه كلّ النّفوس.

فيصير معنى هذا: أنّ **آية الكرسي، وما بعدها**، بيان لاستحقاق الله -عزّ وجلّ- للطّاعة، والتّعظيم، ومن ثمّ بيان لاستحقاقه -سبحانه وتعالى- أن يُجَاهَدَ في سبيله؛ لأنّ هذا **الإنفاق** كان جزءًا من أيّ مفهوم؟ **الإنفاق جزء من مفهوم الجهاد**. لذلك سنرجع إلى: الآية (٢٤٤) والآية (٢٤٥).

لا تنسوا: بأنّ هذه هي بداية المفهوم. فإذًا الآية (٢٤٤) والآية (٢٤٥) فيها إشارة إلى شيئين:

الأوّل: **أمر بالقتال**.

والثّاني: **الإنفاق، يعني**: {مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا} [5] **المقصد**: القرض الحسن: الّذي هو المال الّذي يُنفق في سبيل الله، في القتال، في الجهاد.

وبدأ من هنا السّياق إلى أن وصلنا إلى **آية الكرسي**، ولازال الكلام عن **الإنفاق** في الجهاد.

---

(١) سورة البقرة: ٢٦٠.
(٢) سورة البقرة: ٢٥٧.
(٣) سورة البقرة: ٢٥٤.
(٤) سورة لقمان: ١٣.
(٥) سورة البقرة: ٢٤٥.

وجاءت في الوسط قصّة طالوت، والكلام عن أسباب النّصر، وعاد مرّة أخرى السّياق يأمرنا **بالإنفاق** وذكر أنّ **الإنفاق** سيكون في مكانه. **يعني: آية الكرسي، وما بعدها**، تقول لك: **الإنفاق** في سبيل الله إنفاق في مكانه، {وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ} (١).

وانتهت **آية الكرسي، وما بعدها**، وعدنا مرّة أخرى: {مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ}(٢) هذا يؤكّد لك أنّ كلّ السّياق في **الإنفاق**. **فأنت لابدّ أن تفهمي: أنّ أصل الجهاد مقصوده: إخراج النّاس {مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ}** هذا أصل مقصد الجهاد؛ وليس القتل؛ وإنّما أصل مقصد الجهاد إخراج النّاس {مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ}.

ولذلك من سُنّة الشّريعة في الجهاد؛ أنّها إذَا أتت على ديار القوم، دعتهم إلى الإسلام، إذَا قبلوا الإسلام انتهى الموضوع، وإذَا لم يقبلوه؛ فإنّ الجنود الّذين يمنعون النّاس من قبول الإسلام، ومن معرفة الإسلام هم الّذين يُقاتلون. إذَا دخلوا على هذه البلاد: فإنّهم لا يقتلون طفلًا، ولا امرأةً، ولا عابدًا؛ حتّى لو كان يعبد على كفره وشركه يعبد في معبده، لا نمسّه؛ وإنّما نفتح الباب فقط؛ لأجل أنّ يعرف النّاس الإسلام من الخلطة بأهل الإسلام.

فما قصد الجهاد، و**الإنفاق** في سبيل الجهاد؟ إخراج النّاس {مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ} لأجل هذا جاءت **آية الكرسي، وما بعدها**، في وسط هذا النّقاش.

وأتت الأمثلة على مسألة **الإنفاق**، وفي هذه الأمثال الّتي ضُربت على **الإنفاق**، أتى الكلام عن: **شروط الإنفاق**: أن يكون خالصًا لله، أن لا يكون هناك رياء وسمعة من جهة، ومَنّ وأذى من جهة أخرى.

هكذا انتهينا من كلّ الأمثال الّتي ضُربت.

وبعد ذلك الآية (٢٦٧) والآية (٢٦٨) كلّها تُبيّن آداب **الإنفاق**. إلى أن وصلنا أنّ هذا المُنفق لا ينفق إلّا إذَا كان ذَا حكمة؛ ولذلك: {يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ}(٣) بعد مسألة **الإنفاق**، إشارة إلى أنّ الحكيم هو الّذي سينفق في مكانه.

---

(١) سورة البقرة: ٢٥٤.

(٢) سورة البقرة: ٢٦١.

(٣) سورة البقرة: ٢٦٩.

مدارسة السّياق (٢٧٢- ٢٨١)

يقول الله عزّ وجلّ: {لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ (٢٧٢) لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ (٢٧٣) ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٢٧٤) ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰا۟ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰا۟ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟ ۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ (٢٧٥) يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ (٢٧٦) إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٢٧٧) يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٢٧٨) فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ (٢٧٩) وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٨٠) وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ}[١].

بسم الله، كلّ هذا سيعيدنا مرّة أخرى إلى الكلام حول **الإنفاق**، وبهذا يكون هذا الجزء كلّه اتّصاله بآية البرّ.

مرّة أخرى: اتّصاله بآية البرّ الّتي هي الآية (١٧٧) في أيّ جزء؟ لا تجيبوا إجابات بدون تركيز! الآية (١٧٧) ماذا كان فيها من الأمور؟ صحيح أنّ الآية (١٧٧) في داخل الشّرائع، لكن الشّرائع أصلا لم نبدأها من الآية (١٧٧) وإنّما بدأناها من الآية (١٦٣). {وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ}[٢] من هنا بدأ الكلام عن الشّرائع، ثمّ إنّ هذه كانت كلّها مقدّمة للشّرائع إلى أن أتت آية البرّ الّتي هي الآية (١٧٧): {لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ}[٣].

---

(١) سورة البقرة: ٢٧٢- ٢٨١.

(٢) سورة البقرة: ١٦٣.

(٣) سورة البقرة: ١٧٧.

فإذًا قسمناها إلى قسمين: عقائد وأعمال:

العقائد: كانت واضحة الّتي **هي: أركان الإيمان.**

الأعمال: كانت فيها ثلاث قيم أساسيّة بالتّرتيب:

١. **الصبر.**

٢. **الإحسان.**

٣. **الوفاء.**

كانت هذه الثّلاث قيم الظاهرة في الشّرائع؛ فكان:

- **كلّ ما يتّصل بالحياة الزّوجيّة داخل تحت قيمة الوفاء.**
- **بالشّرائع ما يتّصل بالشّرائع الّتي كانت تُخالف الهوى، مثل: أوّل شريعة تناقشنا فيها: القصاص، الوصيّة، الصّيام، الحجّ، كلّ هذه الشّرائع كانت دائرة حول الصّبر.**
- **إلى أن وصلنا إلى الكلام عن الجهاد، والصّلاة، والإنفاق؛ فالجهاد، والصّلاة، والإنفاق اجتمعوا في نقطة واحدة، أوّل ما انتهى الكلام عن الحياة الزّوجيّة أتى قوله تعالى: {حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ}[١] وبعد ذلك جاءت الآية الّتي بعدها: {فَإِنۡ خِفۡتُمۡ}[٢] فجاء الأمر بالصّلاة خاصّة في وقت الجهاد؛ لأنّ {فَإِنۡ خِفۡتُمۡ} معناها في حال الجهاد. وأتى بعدها الكلام عن المرأة الّتي مات عنها زوجها، واتّفقنا أنّ الكلام هنا خاصّ بالمرأة الّتي مات عنها زوجها في الجهاد. فاجتمع في كلّ هذا السّياق ثلاثة أمور: الصّلاة، والجهاد، والإنفاق. هذه الثّلاثة جمعت الثّلاث قيم، الّتي هي: الصّبر، والإحسان، والوفاء.**

الآن من هنا، من الأمر المباشر للقتال أن: قاتلوا، واستقراض الله لعباده، من هنا بدأ الكلام الواضح جدّا عن مسألة **الإنفاق** في سبيل الله.

---

(١) سورة البقرة: ٢٣٨.

(٢) سورة البقرة: ٢٣٩.

إلى أن وصلنا إلى هذا الموطن، في هذا الموطن يزيد الأمر بيانًا أنّ هذا **الإنفاق** في سبيل الجهاد. انظروا إلى الآية (٢٧٢) وأخبروني أين يظهر **الإنفاق** في سبيل الجهاد؟

الكلام عن الّذين لم يهتدوا. من الّذين لم يهتدوا؟ الكفّار {لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ} إذًا أنت ذاهب لأجل أن تكرههم على الدّين! لا! لأجل أن تجبرهم على الهداية! لا! لكن أنت تفعل ما تستطيع. ولذلك قيل: {وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ} لمن؟ {فَلِأَنفُسِكُمْ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ} **معنى هذا**: أنّ هذا **الإنفاق** يُقصد به وجه الله لإقامة شريعة الله، لكن لا تتصوّر أنّه بعد الجهاد تحصل انتقالة من الكفر إلى الإيمان! لا! أنت {لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ} وإنّما فقط تأتي بالأسباب؛ الّتي من بينها **الإنفاق**.

وستأتي هذه الآيات كلّها: الآية (٢٧٣) والآية (٢٧٤) كلّها تمدح المنفقين.

في آخر الآية (٢٧٢) أين مدح المُنفقين؟ {وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ} هذا من باب الحثّ على **الإنفاق**، ومعرفة أنّه إذَا كان الله سيوفّيك، وهو -سبحانه وتعالى- الغنيّ الحميد، فإذًا أبشر، **ومعنى ذلك**: تطميع المؤمنين في فضل الله، ينفقون طمعًا في فضل الله.

في الآية (٢٧٣) أين الحثّ على **الإنفاق**؟

انظري في آخر الآية (٢٧٢)، وأوّل الآية (٢٧٣).

- في الآية (٢٧٢): {وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ}.
- وفي الآية (٢٧٣) أيضًا: {وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ}. وإذَا كان {بِهِۦ عَلِيمٌ}؟ سيجازيكم أعظم الجزاء. كلّ هذا حثّ لهم، وفي نفس الوقت، مدح لهذه العبادة.

في الآية (٢٧٤)؟ {ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} بعد كلّ هذا الكلام، كيف لا تنفق في سبيل الله؟!

الأولى في الآية (٢٧٢): {وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ}.

والثّانية: في الآية (٢٧٣): {وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ}.

الثّالثة: في الآية (٢٧٤): {فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ}.

كلّ هذا حثّ على **الإنفاق**. وهنا كما مرّ معنا لا يُشترط في **الإنفاق** القليل أو الكثير، المهمّ أن يبقى قلبك معلّقًا بأن تنفق ما تستطيع، وأنت تنتظر من ربّ العالمين؛ أن يُوفّي إليك هذا، لأنّه عليم؛ فمن ثمّ سيعطيك، وسيكون أثر **الإنفاق**: {فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ}.

معنى ذلك: لو يريد شخص أن يُعالج الخوف في قلبه، ماذا يفعل؟ يُنفق، لماذا؟ نحن الآن نريد أن نربطه بالأجر؛ لأنه قيل: {لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ}. إذَا كان ترتّب على **الإنفاق** أنّه: {لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} بدون ما يرتبط بالآخرة فقط، **معناها**: {لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} متى؟ في الدّنيا وفي الآخرة؛ فالّذي عنده خوف أو حزن من أجل أن يُعالجه: يستعمل **الإنفاق**، قصدًا أنّ يعامله ربّنا بهذه المعاملة.

والّذي خوفه أكبر وأعظم من الآخرة؛ هذا أولى أن يكون أكثر إنفاقًا؛ لأنّ الأجر المترتّب أنّه: {لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ}.

والّذي ينفق خفية: {ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً} سيكون قلبهم معلّق بأنّ الله {عَلِيمٌ}.

المقصود من هذا كلّه: أنّ هذا الجزء كلّه من ضرب الأمثال، إلى **الإنفاق**، إلى ترتيب الأجور؛ لحثّ المؤمنين على النّجاح في اختبار المال. وهو أعظم الاختبارات.

ولذَا انظروا هذا الجزء الأخير للبقرة: فإنّه بعد أن نكمل البقرة، نأتي نستفتح آل عمران تسمعين: {زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ}[1] الّذي عُولج غالبها وخصوصًا المال في آخر البقرة، في آخر البقرة عُولج هذا الشّأن، أيّ واحد بخيل، يكون اكتشف نفسه أنّه بخيل، يحبّ الدّنيا وبخيل في **الإنفاق**، ماذا يفعل؟ يأتي إلى هذا الجزء من سورة البقرة ويفهّم نفسه إيّاها، يفهّمها، يفهّمها، إلى أن يخرج من نفسه الشّحّ.

ولذَا فإنّك لو أردت شاهدًا على أنّ القرآن شفاء من كلّ داءً: خذي البخل داءً، وخذي كلّ هذه الآيات دواءً، وانظري كيف ستخرجين بنتيجة.

لأنّ كلّ الأمثال الّتي ضربت، وما بعدها كلّها حاثّة على أن تنفق؛ فلو كنت صادقًا في فهم المعاني سيُعالج الفؤاد، لكن المهمّ تكون صادقًا في فهم المعاني، وليس قراءة بلسانك!

(١) سورة آل عمران: ١٤.

بعد هذا كلّه، الآن يأتينا حثّ على **الإنفاق** بمفهوم المخالفة، إذَا كان السّابق الأمر بالصّدقة، و**الإنفاق** مباشرة؛ فإنّ هنا النّهي عن الرّبا.

الرّبا يكثّر المال في ظنّهم؛ فلماذا يُنهى عنه؟ في الآية (٢٧٥) هناك أكثر من سبب، وبعد ذلك الآية (٢٧٦).

يعني: الرّبا يزيد المال، وممكن صاحبه حين يزيد ماله؛ يتصدّق، فلماذا يُنهى عنه؟ هناك كلمة واحدة في الآية ستبيّن لك: {ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّ}. إذًا الّذي يدخل في الرّبا، سيحصل له شراهة، يعني من المستحيل مثل هذا أن يُنفق! فلا تتصوّري أنّه لو كثر ماله سينفق؛ لا! وإنّما هو يزداد سُكْرًا بالمال! وأصلا فإنّه لا يدخل أحد إلى الرّبا؛ إلّا ويصاب بهذه المصيبة؛ أنّه يزداد سُكْرًا بالمال! لأنّه يرى أرقامًا تتضاعف فيزداد بها طمعًا!

معنى ذلك: أنّ الرّبا كالدّاء إذَا أصاب الإنسان؛ لا يمكن أن يحصل منه إنفاقًا حقيقيًّا!

تصوّري: فإنّ الّذي يُرابي ليس كالّذي يبيع ويشتري؛ فالّذي يُرابي الآن يقارن لو أخرج هذا المال، وأعطاه إلى فقير، أو أخرج هذا المال في سبيل الله أيّا كان؛ فإنّه لو أخرج نفس المال، وجعله في الرّبا، ماذا سيحصل؟! عندما يقارن سيرى الرّيال الواحد في الرّبا سيتضاعف أضعافًا كثيرة ربويّة. في مقابل أنّ الرّيال عندما سيتصدّق به سيصير خسرانًا. بينما البيع ليس فيه هذه الدّرجة من السّكر.

فالرّبا صاحبه يكون قد بلغ درجة الشّراهة في المال، والطّمع به، ويرى أنّه في كلّ مرّة يكون حريصًا على المال أكثر؛ يكون هناك نتائج ربويّة أكثر، فمن ثمّ يُستبعد عن هذا أن يفكّر في أحد غير نفسه!

ولذلك وصفهم الله أنّهم عندما يقومون {لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّ} من كثرة الشّره، والتّعلّق بهذا المال.

{ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْ} والحقيقة أنّ البيع ليس مثل الرّبا، والله أحلّ البيع وحرّم الرّبا؛ ونوقش هذا الأمر.

على كلّ حال؛ فإنّه على هذه الصّفحة كاملة: النّقاش دائر حول: ما هو ضدّ الإنفاق.

ضدّ الإنفاق أن يدخل الإنسان في الرّبا، مالك الّذي وهبك ربّك إيّاه، عليك أن تنفقه كما أمر الله، فالسّير الأوّل: أن تنفقه في سبيل الله.

وليس هناك مانع من البيع والشّراء، الممنوع: الرّبا.

سيأتيني السّبب الثّاني الّذي يجعل الرّبا جريمة في المال:

أنّه لابدّ أن تعرف أنّه أمام السّابق: {وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ}، {وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٞ} وأمام {فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ} وما سبق من الكلام عن مضاعفة أجور المتصدّقين؛ فإنّه أمام المضاعفة، والأجور العظيمة، أتى الخبر الواضح: أنّه ماذا يفعل الله في الرّبا؟ يمحقه، في مقابل أنّ الله – سبحانه وتعالى– {يُرۡبِي ٱلصَّدَقَٰتِ} فهكذا في الآية (٢٧٦) تأكّدت أنّ هناك الرّبا، وأمامه الصّدقة، **معنى ذلك**: الّذي يُرابي: هذا لا يفكّر إلّا في نفسه، في مقابل أنّ الّذي يبيع ويشتري هذا يحصل منه أنّه يفكّر في غيره، والسّبب أنّ الرّبا يسبّب الشّراهة للمال، بدون جهد، وبدون تعب، تحصل له مضاعفة للمال؛ فهذا يسبّب له الشّراهة.

إذًا أنت ماذا تعتقدين؟ أنّ المال ابتلاء، زُيّن في نفوس النّاس، أُذن لك في البيع، وحُرّم عليك الرّبا، أُذن لك في البيع، واختبرت **بالإنفاق** والصّدقة، وإذَا حصل **الإنفاق** والصّدقة سيحصل أنّ المال يربو، يزيد، زيادة نافعة لصاحبها. هذه الزّيادة النّافعة ممكن يظهر أثرها هنا في الدّنيا، ويمكن أن تبقى محبوسة في الآخرة، لكن لابدّ أن يجد من أثر الصّدقات بركات.

في مقابل أنّ الرّبا ماذا يحصل له؟ المحق.

المهمّ فإنّ الّذي لابدّ أن تخرجوا به من هذا النّقاش: أنّ أمام الصّدقات هناك الرّبا.

المُتصوّر: أنّ أمام الرّبا هناك البيع، صح؟ لكن الآية (٢٧٦) ماذا تقول؟ {وَيُرۡبِي ٱلصَّدَقَٰتِ}، **إذًا معنى ذلك**: كأنّه هناك مقارنة بين الرّبا والصّدقة، المُتصوّر الرّبا والبيع، في الحلّ والحُرمة السّابقة قيل:

- الرّبا والبيع: {أَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ} هذا في الحلال والحرام.
- في الأثر: {يَمۡحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرۡبِي ٱلصَّدَقَٰتِ} **يعني** متصوّر أنّ الّذي ماله حلال سيزداد في حلّيّة هذا المال بالصّدقة، **بالإنفاق** في سبيل الله.

تأتي الآية (٢٧٧) والآية (٢٧٨)، كلّها ترشد المؤمنين: ماذا يجب عليهم أن يفعلوا تجاه المال؟

خصوصا أنّك تتصوّرين: أنّ هؤلاء أتوا من الجاهليّة الّتي فيها الرّبا، فقيل: {إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ} **يعني**: كأنّي

أقرأ مرّة ثانية الآية (٢٧٤) مرّة أخرى تأكيدًا لهذا المعنى، وتقديما لما بعده، أليس: {ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ} يفعلون هذه الأفعال؟

والآية (٢٧٨) ماذا فيها؟ {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ} الآن الّذين ذُكروا قريبًا، من إيمانكم؛ يجب عليكم أن تتّقوا الله، وتتركون: {مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ}

الله وصف المؤمنين في الآية (٢٧٧) أنّهم: يؤمنون، وينفقون.

وبعد ذلك حذّرهم من أن يُبقوا على شيء من الرّبا، لماذا حذّرهم؟ لا تنسوا أنّهم قد جاؤوا من جاهليّة، كان الرّبا فيها منتشرًا.

{فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ} **معنى ذلك**: أنّ هذا إثم عظيم {وَإِن تُبۡتُمۡ فَلَكُمۡ رُءُوسُ أَمۡوَٰلِكُمۡ لَا تَظۡلِمُونَ وَلَا تُظۡلَمُونَ}

ما هي علاقة الآية (٢٨٠) بما مضى؟ لقد كان الرّبا أصلًا يأتي من باب الدّين. لأجل ذلك ستأتي آية المُداينة. ما هي علاقة آية المُداينة بالرّبا؟ فمن هنا بدأت العلاقة. هم كيف كانوا يُرابون؟ هذا يقترض منهم قرضًا، مالًا، لأجل أن يُوسّع على نفسه في أيّ مسألة، لا يستطيع أن يردّ لهم القرض؛ فيقولوا له: (اجعله معك، وايتِ به بعد سنة مُضاعفًا، لا مانع من تأخيره) مع كلّ تأخير ماذا يفعلون؟ يُضاعفونه، أو يزيدونه.

إذًا أصل رباهم دخل في الدّين، وهذا هو نفسه الموجود الآن! البنوك الرّبويّة ماذا تفعل؟ تُقرضك قرضًا، وتقول لك: (لا مشكلة! سدّديه على ١٠ سنوات، فقط أنّك لا تعطيني نفس هذا المال؛ وإنّما أعطني زيادة عليه)! فهذا هو عين الرّبا! فالرّبا يبدأ بالدّين، أصل الرّبا يبدأ بالدّين.

كيف عُولجت مسألة الدّين؟ عُولجت مسألة الدّين بطريقة فريدة:

- أوّل الأمر هاتان الآيتان العجيبتان: الآية (٢٨١) والآية (٢٨٢).
- وبعد ذلك أتت آية المُداينة الطّويلة.

دعونا نرى: الآية (٢٨١) والآية (٢٨٢) توصل المؤمن إلى أيّ شيء؟ لأجل أن تمنع الرّبا، بعدما أخبرت المؤمنين:

١. أنّ الله يمحق {ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرۡبِي ٱلصَّدَقَٰتِ}.

٢. وأخبرتهم أنّ المؤمنين الكُمّل هم الّذين يُنفقون في سبيل الله وأنّهم إذَا أنفقوا فهم {لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ}.

٣. وأمرتهم مباشرة بترك الرّبا، وحذّرتهم أنّهم إذَا لم يفعلوا {فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ}.

٤. بعد كلّ هذا نبّهتهم إلى الطّريقة السّليمة الّتي يتعاملون بها مع الدّين، مع المَدين. الطّريقة السّليمة الّتي تمنع الرّبا.

فإذًا لن تنسوا أبدًا: أنّ الكلام عن الدّين، أتى بعد الكلام عن الرّبا.

والسّبب: أنّ الرّبا لا يقع في الواقع إلّا بسبب الدّين! إلّا بسبب المُعاملة الخاطئة في الدّيون! يعني: هنا يتمّ وصف نفسيّة هذا الإنسان الّذي يأتي يُدين النّاس ويُعطيهم، ما هي نفسيّته؟ عندما يدخل في الرّبا فإنّ نفسيّته نفسيّة الاستغلال! نفسيّة المُستغلّ الّذي وجد عندك حاجة فهو يستغلّ هذه الحاجة!

فلأجل ذلك ستسمعين هذا الكلام الآن: ماذا قال الله عزّ وجلّ؟ {وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ} من هو؟ صاحب الدّين، وليس الّذي جاء! فالّذي جاء قد أخذ المال وانتهى الأمر، وجاء يقول: (أنا ليس لديّ الآن لأجل أن أُسدّد).

فإذًا انظري حالته! فما قيل لك أيّ واحد يقول لك هكذا، اقبلي منه! وإنّما قيل: {وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ}، وَ {ذُو عُسْرَةٍ} بالنّسبة للتّجّار، وبالنّسبة لمن يقوم بالأعمال أمر واضح، معروف؛ لأنّ السّوق يكون قد رَكَدَ، تكون قد حصلت خسارات واضحة، **يعني**: ليس شيئًا خفيّا؛ وإنّما في السّوق الأمر مشهور، معروف.

{وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ} ماذا تفعلون معه؟ انظروه، **بمعنى**: اصبروا عليه {إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ}. كذلك هناك حثّ جديد.

ولأجل ذلك فنحن نقول: يظهر الصّبر، ويظهر الإحسان. أليست لدينا ثلاث قيم؟ **الصّبر، والإحسان، والوفاء.**

سيظهر هذا كلّه: أوّل الأمر: أنت اصبر عليه، اتركه حتّى تتيسّر أموره، لا تره فريسة، وبسبب الشّره في المال، تهجم عليه وتستغلّه! لا! ليس هذا ما تفعله مع أخيك المؤمن! إنّما انظره فإذَا استطعت وتمكّنت في نفسك أن تتصدّق؛ سيكون: {خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ} يعني: {إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ} حقيقة الدّنيا، وحقيقة الآخرة؛ فسترون أنّ الصّدقة {خَيْرٌ لَّكُمْ} من المُطالبة بالدّين. يعني: الصّدقة هنا بمعنى: التّنازل

عن حقّك عنده، يعني: أوّل الخير أنّك أقرضته، وقد ورد في بعض الآثار –وإن كان البعض يضعّفها، لكن هناك من المحدّثين من يُقوّيه– هذا الحديث الّذي هو: أنّ القرض خير من الصّدقة ١٨ أجرًا! يعني: إذَا كانت الصّدقة تُضاعف بعشرة أضعافها، فالقرض يُضاعف بثمانية عشر ضعفاً! يعني: الّذي تُقرضينه، ثمّ تعودين تأخذينه مرّة أخرى. والسّبب أنّ **القرض الحسن** يمنع الرّبا، **يعني**: منعًا للرّبا أُجر الّذي يُقرض **قرضًا حسنًا** على الّذي يتصدّق في أوّل الأمر.

تخيّل: لو أنّك تريد أن تتصدّق بما هو زائد عندك؛ ستنفق بالعفو؛ تخرج ١٠٠ ريال! ١٠٠٠ ريال! لكنّه يأتي يقول لك: (أنا أريد ١٥٠ ألفًا) هذه ١٥٠ ألفًا لم تكن أنت في البداية لتقوم بإنفاقها، ستعطي ١٥٠ قرضًا وتكتب الدّين، وبعد ذلك هو سَيُرجعه لك طبعا؛ لابدّ أن يُرجعه لك، وليس أنّ المقصد في النهاية أن تتنازل عنه، لا! ليس على هذه النّيّة؛ وإنّما على نيّة أنّه سيعود لك؛ فإنّك تأخذ **١٨** أجرًا مضاعفةً عن الصّدقة. طبعًا السّبب: لماذا ارتفع أجر القرض على أجر الصّدقة؟ منعا للرّبا! وهذه الآيات تُفهّمك هذا المعنى، تُفهّمك أنّ القرض الحسن يمنع الرّبا.

الآن لماذا أصلًا سوق الرّبا ينتشر؟ لأنّ أهل الأموال تقاعسوا عن القرض الحسن! طبعا هم يقولون لك: (نحن نتقاعس بسبب أنّ النّاس لا يردّون!) لكن حين تقرئين آية المُداينة تفهمين أنّ هناك طريقة صحيحة للمداينة تضمن حقّك، غير الكتابة؛ الّذي هو أسلوب الرّهن، سيتبيّن في الآيات، طبعا نحن نقرأها ونفهم أحكامها، لكن الّذي يفكّر في هذا الموضوع يقرأ آية المُداينة يفهم الأمر، ويفهم أنّ الشّريعة حفظت عليه حقوقه، وأنّه وقتما يتخلّف عن هذا إذَا نفسك لم تقبل أنّ تتصدّق بالقرض؛ تنزع حقّه، والدّين والشّرع والحكم معك.

لكنّ فتح باب القرض الحسن يقفل باب الرّبا. ولذلك: {وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ} نصبر عليه {وَأَن تَصَدَّقُواْ} عليه، بأن تتنازلوا عن دينكم {خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ}.

ولاحظي: فإنّ الآية الّتي بعدها ستزيد الأمر بيانًا. هذه الآية أتت في نفس السّياق، أنت عندما تتعاملين مع هذا المدين فكّري في لقاء الله، ولذلك الله –عزّ وجلّ– قال: {وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ} تقواكم لهذا اليوم يجعلكم تفعلون ما تستطيعون لتكونوا ناجين.

إذًا: خُتم الكلام عن الرّبا، وافتتح الكلام عن معاملة الدّين، تأتينا آية الدّين.

ابقوا الآن مركّزين: أنّ الدّين والرّبا أتيا في داخل الكلام عن الأمر بالإنفاق، والأمر بالإنفاق أتى متعلّقا بالجهاد، والأمر بالجهاد أتى متعلّقا بما قبله من الأمور الّتي **هي**: الثّلاث القيم الأساسيّة، الّتي **هي**:

١) الصّبر.

٢) والإحسان.

٣) والوفاء.

الصّبر، والإحسان، والوفاء، الّذين كانوا ظاهرين في آية البرّ. وهذه أطول مناقشة حصلت، **يعني**: السّورة فيها مناقشات تفصيليّة:

١. مسألة القصاص.

٢. مسألة الميراث.

٣. وأتى بعدها الصّيام.

٤. والحجّ.

٥. وأتت بعدها الحياة الزّوجيّة الّتي **هي**: الوفاء

٦. وأتت بعدها الصّلاة وما يدخل بعدها من الجهاد والإنفاق في سبيل الله.

٧. وأتت الأموال في هذا السّياق.

مدارسة آيتا الدّين (٢٨٢ــ٢٨٣)

الآن تأتينا آيتا الدّين اللّتان **هما**: الآية (٢٨٢)، والآية (٢٨٣)؛ **فإذًا**: ستكونان ختام جزء الشّرائع.

يعني: كلّ هذا السّياق من الآية (١٦٣) إلى الآية (٢٨٣) **هو**: الشّرائع في سورة البقرة.

اقرئي الآيتين، وبعد ذلك نتناقش:

يقول الله عزّ وجلّ: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ وَلۡيَكۡتُب بَّيۡنَكُمۡ كَاتِبُۢ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَلَا يَأۡبَ كَاتِبٌ أَن يَكۡتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُۚ فَلۡيَكۡتُبۡ وَلۡيُمۡلِلِ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبۡخَسۡ مِنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ سَفِيهًا أَوۡ ضَعِيفًا أَوۡ لَا يَسۡتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلۡيُمۡلِلۡ وَلِيُّهُۥ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَٱسۡتَشۡهِدُواْ شَهِيدَيۡنِ مِن رِّجَالِكُمۡۖ فَإِن لَّمۡ يَكُونَا رَجُلَيۡنِ فَرَجُلٞ وَٱمۡرَأَتَانِ مِمَّن تَرۡضَوۡنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحۡدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحۡدَىٰهُمَا ٱلۡأُخۡرَىٰۚ وَلَا يَأۡبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْۚ وَلَا تَسۡـَٔمُوٓاْ أَن تَكۡتُبُوهُ صَغِيرًا أَوۡ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقۡوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَرۡتَابُوٓاْ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةٗ تُدِيرُونَهَا بَيۡنَكُمۡ فَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَلَّا تَكۡتُبُوهَاۗ وَأَشۡهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعۡتُمۡۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٞ وَلَا شَهِيدٞۚ وَإِن تَفۡعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقُۢ بِكُمۡۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ (٢٨٢) وَإِن كُنتُمۡ عَلَىٰ سَفَرٖ وَلَمۡ تَجِدُواْ كَاتِبٗا فَرِهَٰنٞ مَّقۡبُوضَةٞۖ فَإِنۡ أَمِنَ بَعۡضُكُم بَعۡضٗا فَلۡيُؤَدِّ ٱلَّذِي ٱؤۡتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥۗ وَلَا تَكۡتُمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَۚ وَمَن يَكۡتُمۡهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٞ قَلۡبُهُۥۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ}(١).

سنتكلّم بالإجمال عن آية الدّين: هذه الآية علاج لمسألة الرّبا، وبيان لحفظ حقّ صاحب الدّين، وسلامة المدين الّذي يأخذ المال. **يعني**: هذه الآية ستمنع الرّبا في المجتمع، ستحفظ حقّ صاحب المال، ستحفظ سلامة الطّرف الثّاني الّذي يأخذ المال؛ فلا الّذي يأخذ المال يُفترى عليه، ولا المأخوذ منه يُظلم، كيف حصل هذا كلّه؟

أوّلا: لاحظوا النّداء: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ} فبسبب ما معكم من الإيمان ستستقيمون على أمر الله، وسنختار بعض الكلمات من الآية؛ لأجل أن يتبيّن كيف يظهر كمال هذا التّشريع:

(١) سورة البقرة: ٢٨٢ــ٢٨٣.

أوّلًا: {إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ} لابدّ أن يكون للدّين {أَجَلٍ مُّسَمًّى} هذا أوّل الأمر، **يعني**: من الخطأ الكلمات الفضفاضة الّتي هي: (متى تيسّر لك! متى سهّل لك! هات المال! لا!) وبعد ذلك أنت تنتظر أن يتيسّر لك ويسهّل لك بعد سنة، وهو يكون في قصده بعد عشر سنوات، ومن هنا تبدأ الإشكالات! **فإذن معنى ذلك**: أنّه لابدّ أن يكون {أَجَلٍ مُّسَمًّى} حدّد الّذي يتسهّل لك، ويتيسّر لك، حدّده لن تخسر، حدّده حتّى أعرف ما هي توقّعاتك؟ ومن هنا تبدأ المشاكل؛ أنّه ليس هناك كلام واضح، وقد مرّ معنا سابقًا أنّ كثيرًا من الحقوق، تذهب بهذه الطّريقة:

مثلا: يأتي بالكهربائي وبعد ذلك يقول له: (كم ستعطيني؟) يقول له: (سأرضيك! لن تخرج إلّا وأنت راضٍ)! هذا الكلام الفضفاض هو الّذي يأتي بالمشاكل، وهو الّذي يجعل لصاحب الحقّ حقًّا، **يعني**: للمدّعي عليك حقًّا. **إذًا لابدّ**: {إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى}.

يأتي الأمر الثّاني: الّذي هو الكتابة، وهذه من محاسن الشّريعة أنّها أمرت بالكتابة، والسّبب أنّ الأيّام واللّيالي تُذهب الحقّ من العقل، ماذا يبقى في عقلك من الحدث؟ الشّيء القليل؛ فلا يوجد هناك ثقة في ذاكرتك، لا في ذاكرة هذا، ولا هذا؛ وإنّما عليكم بالكتابة. **إذًا هذا**: حفظا للحقّ.

كما تعلمون: فإنّ الكتابة أوّلا لم تكن متفشّية في الزّمن الماضي مثل هذا الزّمن. هذا شيء، وشيء آخر، أنّه ممكن أن تحصل الكتابة فيحصل فيها ظلم، **يعني**: أنا أكتب وأزيد صفر فقط، وانتهى! فيكون المبلغ هائل! والثّاني يأتي يوقّع! **يعني أنا أقول**: أنّه الآن في الوقت المعاصر كِلاَ الطّرفين متعلّمين، لكن ممكن يحصل خلل في الأمانة! فبمجرّد إضافة صفر واحد تختلّ المسألة؛ فالشّريعة حلّت هذه القضيّة بأن يأتي كاتب عادل، **يعني**: يأتي كاتب ثالث غير الطرفين، **وكذلك**: يأتي على ذلك شهود.

ولذلك الآن فإنّه في المحاكم يُكتب رقمًا، ويُكتب كتابة؛ بحيث أنّه لا يحصل هناك خطأ أبدًا من أيّ نوع. من الّذي يُملي؟ الّذي عليه الحقّ. لماذا ليس الأوّل؟ لكي يشهد على نفسه، أوّل شيء لن يظلم نفسه، وفي نفس الوقت يشهد على نفسه. ولأجل هذا وُصُّوا بأنّه {لَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْـًٔا}؛ {يَبْخَسْ} **بمعنى**: يُقلّل، يُنقص.

وبعد ذلك أتت مناقشة للشّهود: أتت أوّلا حالة {فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا} هنا الآن الوليّ بدلا عنه، وهذا لن تتصوّريه إلّا إذَا كنت تتكلّمين عن استثمار لمال يتامى، **مثلا** أو استثمارات بحيث يكون هذا تقدّم في العمر ويريد أن يستثمر لأولاده فيصعب عليه أن يحصل منه الإملاء؛ فيأتي الوليّ لسبب أو لآخر يكون صعبًا عليه.

ثمّ تأتي مسألة الشّهادة. إذًا: كم من أمر الآن؟

الأمر الأوّل: أوّلا تأتي مسألة الشّهادة {إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ مُسَمًّى}.

الأمر الثّاني: الكتابة.

الأمر الثّالث: الشّهادة.

وبعد ذلك: رُتّبت مسألة الشّهادة.

طيّب هناك أمور يصعب كتابتها: انظري آخر الآيات: {إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً} ما وصفها؟ {حَاضِرَةً} ماذا تفعلون بها؟ {تُدِيرُونَهَا بَيۡنَكُمۡ} **يعني:** هذه حالة أخرى يصحّ فيها عدم الكتابة، لكن يبقى فيها الإشهاد. **هذه معناها:** أنّه أنا أعطيك بضاعة، وأنت تعطيني مالها بعد بيعها؛ هذه في أحيان كثيرة لا يكون فيها كتابة، يصعب أن تحصل فيها كتابة، فماذا يُقال؟ **يُقال:** أهمّ شيء: {فَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَلَّا تَكۡتُبُوهَا} لكن لابدّ أن يكون هناك شاهد.

على كلّ حال؛ فإنّه في الوضع الحالي النّاس يستعملون الكتابة حتّى في التّجارة الّتي تدور؛ لأنهم بسهولة الآن يخرجون من مخازنهم، فبسهولة يكتبون.

{وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ} **والمقصد بذلك:** أنّ الله -عزّ وجلّ- من فضله عليكم؛ أنّه يعلّمكم ما يصلح دنياكم وأخراكم {وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ} **وكلّ هذه الأمور منهج إذَا انتُهج بطريقة صحيحة؛ يسلم المجتمع من المشاكل.**

هل هذا المنهج يمكن أن يسقط بين النّاس الّذين تكون علاقتهم جيّدة وواثقين من بعضهم البعض؟ لا! ما يسقط أبدًا! لابدّ من الكتابة، والإشهاد. **والسّبب:** أنّ احتمال ذهاب العقل موجود، والموت احتمال موجود، والخيانة موجودة.

فتكتبين إلّا إذَا كان في نيّتك أنّك تتنازلين أصلا، لكن في الأصل لابدّ أنّ المَدين الّذي يأخذ منك المال أن يكتب ويُشهد، والسّبب؟ لأجل أن تبرأ ذمّة الّذي يكون عنده المال؛ فلا بدّ أن يكتب، لابدّ أن يكون هو أحرص من صاحب الدّين على الكتابة، لإبراء الذّمة فإنّ ذمّته لن تخلو لو مات الإنسان وأهله لا يدرون بأنّه عليه دين، وجاء صاحب الدّين يُطالبهم، وقالوا: (لا! نحن لن نعطيك!) فتخلوا ذممهم هم، لكن ذمّة الميّت تبقى عليه.

فأنت تصوّري: هؤلاء جاءهم ميراث، كلّ واحد سيأتي يقول لهم: (عندي دين عنده) سيتنازعون في أموالهم! **فالصّحيح:** لو أنت صاحب الدّين وليست معك ورقة تثبت، ولا أنا المَدين كتبت ورقة؛ ما الّذي سيحصل؟ أبنائي لن يُعطوك مالك! هم ذمّتهم ستكون بريئة، لكن ستبقى في ذمّة الميّت. **فلمّا نتقابل يوم القيامة سيأخذ حقّه؛** فأنت الّذي أخذت الدّين يجب أن تكون أكثر حرصًا من صاحب المال على أن يبقى هناك ما يُثبت ذلك.

لكن الأشياء البسيطة، وهي طبعا تختلف حسب كلّ مجتمع، يعني مثلا: ١٠٠ ريال، أو ٢٠٠ ريال، أو ١٠٠٠ ريال، الّتي هي أصلا تدور من العادة، والّتي إذَا لم تأتِ بها؛ أكيد أنا سأسامحك؛ فهذه ليس فيها ضرر لو ما كتبتها، **لكن المقصود:** الأموال الّتي يُعتبر فيها ضرر لو ما حصلت الكتابة؛ تبقى في ذمّة المَدين إلّا إذَا سامح الطّرف الثّاني، وليس كلّ النّاس سيسامحون!

تأتي الآية (٢٨٣) تُشرّع مسألة الرّهان المقبوضة: يعني: إذَا لم تكن هناك كتابة؛ هناك الرّهن؛ وهذا حلّ يكون في مكانه بالنّسبة لكثير من القروض، ويحلّ الكثير من المشاكل، يحفظ الطّرفين، **يعني الآن:** هناك أرض جامدة، وهناك سيولة تبتغيها؛ فيمكن أن أرهن الأرض حفظًا لحقّك، وآخذ المال، ففي حالة عدم قدرتي على السّداد يصير الرّهن من حقّه.

في الأصل فإنّ الآيات هنا في الكلام عن السّفر أنّه إذَا ما وجدنا من يكتب؛ لأنّ الرّهن مقابل الكتابة، لكن يمكن أن يكون هناك كتابة، وهناك رهن أيضا؛ فقد قيل: {وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا۟ كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ} **يعني:** صارت الكتابة، ويقابلها الرّهن. **لكن معنى ذلك:** أنّ الرّهن يجوز وله شروط طبعًا.

الرّهن مُشرّع، وعلى كلّ حال فنحن لسنا في موقف فقهي، نحن فقط نفهم أصل الآيات؛ هذا الموقف الفقهي يتّصل حتّى بالمذاهب، **يعني:** ممكن يحصل هناك خلاف بين المذاهب في شرعيّة شيء، **لكن المقصود:** أنّ الآيات أوصلتنا إلى السّلامة التّامّة في المجتمع، **هذا هو المهمّ أن تفهميه:** أنّ الآيات تُحافظ على الأخوّة الإيمانيّة وهذا مقصد كلّ المعاملات.

كلّ فقه المعاملات له مقصد أساس: المحافظة على الأخوّة الإسلاميّة بحيث لا يصير بيني وبينك مشكلة، إلى درجة أنّي أكتب الموعد الّذي اتّفقنا عليه أن أسدّد فيه؛ لا أتركها هكذا بحيث أنّ هذا يسبّب مشكلة في نفسك أو في نفسي.

هذا أهمّ شيء نفهمه من الآيات: أنّ الشّريعة شرعت المعاملات مبنيّة على مقصد المحافظة على الأخوّة الإسلاميّة؛ فلا تصير الأموال تفسد الّذي بيني وبينك. فإذًا هذا متبيّن الحمد لله.

الآن نكون بهذا انتهينا من المقصد الثّالث.

مراجعة مقاصد سورة البقرة الّتي تمّت دراستها

دعونا نراجع معًا: لأجل أن نتأكّد أنّ المقاصد الثّلاثة واضحة؛ لأنّها ستأتي الآية الّتي بعدها وتكون المقصد الرّابع، ثمّ الخاتمة.

سورة البقرة كلّها، **عبارة عن:** مقدّمة، وخاتمة، وأربعة مقاصد.

سنبدأ بالمقصد الأوّل: من الآية (٢١) إل الآية (٣٩). ضروري أن تتذكّروا من الآية كم إلى الآية كم! فيها: دعوة النّاس كافّة إلى دين الإسلام. ابتدأت بقوله تعالى: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ}[1] وانتهت بقصّة آدم عليه السّلام.

ثمّ يأتي المقصد الثّاني: الّذي هو دعوة بني إسرائيل أو أهل الكتاب إلى الإسلام، من الآية (٤٠) إلى الآية (١٦٢).

هل هناك فرق بين دعوة النّاس، وبين دعوة بني إسرائيل؟ نعم. ما هو الفرق؟ أنّهم أهل كتاب، **معناها:** أنّني لا أحتاج معهم أن أقرّر التّوحيد؛ فالتّوحيد مقرّر عندهم، **في مقابل:** أنّ غير أهل الكتاب التّوحيد غير مقرّر عندهم. **التّوحيد، يعني:** وجود الله، توحيد الرّبوبيّة، وأيضًا توحيد الألوهيّة، على فرق بين اليهود، وبين النّصارى.

هذا كان: المقدّمة، والمقصد الأوّل، والمقصد الثّاني. انتهينا من المقصد الثّاني في الآية (١٦٢).

الآية (١٦٣) ابتدأ المقصد الثّالث: وهو الكلام عن الشّرائع الّتي ابتدأت بالكلام مرّة أخرى عن التّوحيد، **يعني:** انتهى الكلام عن: دعوة النّاس إلى التّوحيد، وابتدأ الشّرائع بالكلام عن: دعوة النّاس إلى التّوحيد: {وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ (١٦٣) إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ}[2] إلى آخر الآيات.

---

(١) سورة البقرة: ٢١.

(٢) سورة البقرة: ١٦٣_١٦٤.

انتهينا من الآية (١٦٣)، إلى الآية (٢٨٣)، كلّ هذا الجزء **هو**: الشّرائع. طبعا الشّرائع فيها: مقدّمة، وبعدها جاءت آية البرّ الّتي هي آية محوريّة للشّرائع، وبعد ذلك انقسمت الشّرائع إلى الأقسام الّتي تناقشنا فيها كثيرًا.

مدارسة المقصد الرّابع (٢٨٤)

الآن سيأتينا المقصد الرّابع: آية واحدة الّتي **هي**: (٢٨٤). ما هو المقصد؟

ذكر الوازع والنّازع الدّيني الّذي يبعث على ملازمة تلك الشّراع وينهى عن مخالفتها.

معنى ذلك: ما الّذي يوصلك إلى درجة الإحسان؟ ذكر الوازع الّذي يجعلك تستقيم على الدّين، **بمعنى**: كيف تصل إلى درجة الإحسان؟ الّتي هي الآية (٢٨٤):

يقول الله عزّ وجلّ: {لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُۖ فَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ}[١].

واضحة دلالة الآية: أنّ ما يجعلك تستقيم على هذه الشّرائع الّتي ذُكرت سابقًا **هو**: يقينك باطّلاع الله على ظاهرك الّذي تُبديه، وعلى وما تُخفيه.

إذًا كيف يترقّى الإنسان في مدارج الكمال الإنساني؟ كلّ مرّة يزيد يقينه بأنّ الله ينظر إليه؛ لأنّه – سبحانه وتعالى– سواء أخفيت أو أعلنت، هو مطّلع على ذلك، **الّتي هي**: درجة المراقبة (أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ)[٢] **الّتي هي**: درجة الإحسان.

درجة الإحسان هناك خطأ في فهمها: من جهة أنّ الإنسان يتصوّر أنّه سيصلها بعد زمن! **بينما الحقيقة هي**: أنّك في كلّ عمل تعمله؛ إذًا نجحت أن تستحضر في هذا العمل أنّ الله ناظر إليك، أنّ الله يراك، أنّه يعلم ما تُبدي وما تُخفي؛ فقد أحسنت في هذا العمل.

بمعنى تصوّري الآن: أنّك مصلّية، تقرئين الفاتحة –اتركي بقيّة الصّلاة دعيني فقط أفكّر في الفاتحة– : إذًا صلّيت وأنت تعتقدين أنّ الله مطّلع على سرّك، **يعني**: ماذا يدور في قلبك، وعلى ما تقولينه بلسانك،

(١) سورة البقرة:٢٨٤.

(٢) أخرجه البخاري (٥٠).

فاستحيت من الله أن تقفي بين يديه، وقلبك يدور في الدّنيا، على الأقلّ في الفاتحة تكونين أحسنت في الفاتحة؛ **فإذًا**: أين حصل الإحسان؟ في الفاتحة.

بعدها قرأت سورة، تريدين أن تبدئي سورة من المعتاد قراءتها، وأنت أصلا لا تدري ماذا تقرئين! ثمّ بعد ذلك أحسست أنّه من العيب أن ينظر إليك الله، وأنت تقرئين الشّيء المعتاد من أجل أن لا تجمعين قلبك فيه، فعدت وقرأت سورة أخرى، تحتاجين إلى جمع قلبك فيها؛ **صار الآن**: أنّك أحسنت في الفاتحة، وأحسنت في السّورة، **وهكذا يجمع الإنسان في معاملته للرّحمن أعمال إحسان بهذه الطّريقة، بمعنى**: أنّك لا تتصوّري أنّ الإحسان درجة تعتليها مرّة واحد، لا تعتليها مرّة واحدة! ليس بهذه الطّريقة! **وإنّما كلّ عمل تعمليه ابذلي جهدك أن تحسني فيه**، وهذا الأمر إذَا درّبت نفسك عليه، خصوصًا الآن ونحن مقبلون على شهر رمضان، إذَا درّبت نفسك عليه، سيسهل عليك في رمضان، طبعًا يُعتبر هذا الوقت متأخّرًا، لكن لا بأس أحسن من ألّا تبذلين! أحسن من أن تتفاجئي في رمضان أنّه مطلوب منك قلبك، بينما كنت أنت طوال السّنة قد ضيّعت قلبك!

فالآن بقدر ما نستطيع أن نفهم: أنّ الإحسان في معاملة الرّحمن يكون باستحضار القلب في الأمور ولو جزئيّا، يعني: ليس معنى الإحسان أنّه درجة، بعدما تنتهي من الّتي قبلها تصعدين إليها! ليس بهذه الطّريقة! وإنّما هو يمشي معك جزئيّا، جزئيّا، جزئيّا، إلى أن تُصبحي مُحسنة، وإذَا لم تقدري في كلّ شيء على الأقلّ في جزء من الشّيء. الآن انتهينا من هذا الكلام.

هكذا انتهينا من الآية (٢٨٤)، وهكذا تبيّن لنا أنّ الله يحاسبنا على ما نبديه، وعلى ما نظهره {فَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ} وهذه الآية كثيرًا ما يظنّ العامّة من النّاس أنّها منسوخة من جهة العمل.

أوّلا: لابدّ أن تعرفي: أنّ الأخبار لا تُنسخ؛ الّذي يُنسخ: الأحكام؛ فهذه الآية ليست منسوخة؛ إنّما الصّحابة حصل في نفوسهم تأثّر شديد من الآية، فلم تُنسخ، **بمعنى**: تُرك العمل بها، لا! لا تفهموا هكذا؛ **لأنّ هناك قاعدة مهمّة في النّسخ: عندما يأتي خبر عن الله فإنّه لا يُنسخ**.

ماذا تعتقدين؟ هل الله يحاسبنا على ما في قلوبنا؟ نعم، أكيد يُحاسبنا على ما في قلوبنا؛ وإلّا ما قيل لنا: {إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ}[1]، ولا قيل لنا: {إِذَا بُعۡثِرَ مَا فِي ٱلۡقُبُورِ (٩) وَحُصِّلَ مَا فِي

(١) سورة الشعراء: ٨٩.

ٱلصُّدُورِ}[1] **يعني**: إذَا لم يكن هناك حساب على الّذي في القلب، **إذًا**: كيف يكون {حُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ}؟! وغير ذلك كثير في نفس السّياق الّذي تقرئينه هناك دليل:

اقرئي آخر الآية (٢٨٣): {فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ} **يعني**: القلب يأثم.

فمعنى أن تظنّي: أنّ القلب لا يُحاسب! هذا خطأ كبير جعل قلوب النّاس مَرْتَعًا للآثام! وكلّ واحد ينام على فراشه ويتخيّل، وتأتيه ظنون السّوء، ويجمّع أفكارًا، وكلّ هذا في قلبه! ثمّ بعدها ينام ويقول: (الحمد لله، أنا لم أفعل شيئًا، كلّه في قلبي، أهمّ شيء ما تكلّمت! ولا!...) من قال لك هذا الكلام! قلبك هذا مكان نظر الرّبّ: (إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ)[2]، {وَإِن تُبْدُواْ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ} فكلّه يحاسبكم عليه الله.

على ماذا لا يُحاسبون؟ هناك شيء لا يحاسبون عليه، **وهي**: الخاطرة الّتي تمرّ ولا تستقرّ.

والخاطرة الّتي تمرّ وتكاد تستقرّ فتدافعها؛ تأخذ أجرًا على المدافعة.

إذًا ليس هناك شيء اسمه: قلبي ليس مكانًا للحساب؛ بل أصلًا القلب ممكن أن يكون مكانًا للتّردّي! {وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ}[3] والظّنّ لا يكون إلّا في القلب.

وممكن الإنسان يكون في نفسه ذاهبًا لإنجاز شيء مشروعًا، يعني: يحقّ له، لكن في قلبه هناك شيء خبيث؛ فالله يردّه خائبًا، بسبب ما قام في قلبه، يعني: هو هكذا يقول: (أنا لو وجدت هذه الوظيفة، سأجعلهم يرون! سأفعل فيهم كذا! وكذا!) ويقدّم، وتكون كلّ الشّروط منطبقة عليه، لكن لأجل هذا الّذي قام في قلبه؛ فإنّ ربّنا لا يوفّقه؛ وهذا طبعًا من رحمة الله أن يحصل له هذا.

المقصد: أنّك لا تكذب على نفسك؛ فإنّه لا معاملة بينك وبين الله إلّا بالقلب؛ فأصل المعاملة بينك وبين الله بقلبك. ألست تناجيه؟ وتناديه؟ وتحتسب الأجر؟ وتنتظر حين تلقاه وتفرح بلقائه؟ وتتوب؟ ماذا يعني تتوب؟ تعزم في قلبك ألّا تعود.

---

(١) سورة العاديات ٩_١٠.

(٢) أخرجه مسلم (٤٧٧٩).

(٣) سورة فصلت: ٢٣.

فإذَا فُهمت هذه الآية أنّها منسوخة؛ سينهدّ الدّين! ويصير القلب أخبث مكانًا في الإنسان! -نعوذ بالله من ذلك!- **لكن الصّحيح**: أنّ الّذي يَخطر ولا يَستقرّ، ويَخطر ويُدَافَعُ؛ هذا من عند الله -عزّ وجلّ- نعمة أنّ الإنسان يؤجر عليه.

ولذلك: (إِنَّمَا الدُّنْيَا لِأَرْبَعَةِ نَفَرٍ) هذا الحديث الّذي مرّ معنا المرّات الماضية: (إِنَّمَا الدُّنْيَا لِأَرْبَعَةِ نَفَرٍ، عَبْدٍ رَزَقَهُ اللَّهُ مَالًا وَعِلْمًا فَهُوَ يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ، وَيَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ، وَيَعْلَمُ لِلَّهِ فِيهِ حَقًّا، فَهَذَا بِأَفْضَلِ المَنَازِلِ، وَعَبْدٍ رَزَقَهُ اللَّهُ عِلْمًا وَلَمْ يَرْزُقْهُ مَالًا فَهُوَ صَادِقُ النِّيَّةِ يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لِي مَالًا لَعَمِلْتُ بِعَمَلِ فُلَانٍ فَهُوَ بِنِيَّتِهِ فَأَجْرُهُمَا سَوَاءٌ، وَعَبْدٍ رَزَقَهُ اللَّهُ مَالًا وَلَمْ يَرْزُقْهُ عِلْمًا، فَهُوَ يَخْبِطُ فِي مَالِهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ لَا يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ، وَلَا يَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ، وَلَا يَعْلَمُ لِلَّهِ فِيهِ حَقًّا، فَهَذَا بِأَخْبَثِ المَنَازِلِ، وَعَبْدٍ لَمْ يَرْزُقْهُ اللَّهُ مَالًا وَلَا عِلْمًا فَهُوَ يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لِي مَالًا لَعَمِلْتُ فِيهِ بِعَمَلِ فُلَانٍ فَهُوَ بِنِيَّتِهِ فَوِزْرُهُمَا سَوَاءٌ)[1].

أربعة نفر، الاثنين الأوّليّين: رجل عنده مال سلّطه على هلكته فهذا سيأخذ أجرًا أن أنفقه في سبيل الله، والثّاني لمّا رأى عنده المال تمنّى أن يكون عنده مثله، من أجل أن يفعل مثله (فَأَجْرُهُمَا سَوَاءٌ) مع أنّه ما عنده لكن من أين جاء الأجر؟ من التّمنّي الّذي يكون مكانه القلب، **يعني**: لو كذب بلسانه، وقال: (أنا أتمنّى) سيذهب مع المنافقين؛ أليس في سورة التّوبة، الله -عزّ وجلّ- وصف لنا صنفًا من المنافقين قالوا لربّ العالمين أنّه لو ربّهم أعطاهم المال

{لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ}[2] أنّهم سينفقون! وبعد ذلك سيتصدّقون! وبعد ذلك لمّا أعطاهم المال لم يفعلوا {فَأَعۡقَبَهُمۡ نِفَاقٗا فِي قُلُوبِهِمۡ}[3].

فإذًا: لمّا كذب في أمنيته عوقب على ما في قلبه.

المهمّ فإنّ الشّواهد على أنّ القلب هو المكان؛ أكثر من أنّ نلمّها في جلسة أو جلستين أو ثلاثة، **لكن المهمّ**: أن يُفهم هذا الدّليل فهمًا صحيحًا.

الله -عزّ وجلّ- في هذه الآية (٢٨٤): بيّن لنا بيانا شافيًا كافيًا: أنّه لأجل أن تترقّى في مدارج الكمال الإنساني؛ لابدّ أن تشتغل بنظر الله إليك.

فإذًا انتهينا من الآية (٢٨٤)، نأتي الآن إلى الخاتمة:

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٣٥٣).

(٢) سورة التوبة: ٧٥.

(٣) سورة التوبة: ٧٧.

مدارسة الخاتمة (٢٨٥_٢٨٦)

هكذا انتهينا من المقصد الرّابع، نبدأ في الخاتمة:

يقول الله عزّ وجلّ: {ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ (٢٨٥) لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ}(١).

هذه الخاتمة ستعيدنا إلى مطلع السّورة؛ ففي مطلع السّورة الله -عزّ وجلّ- أخبر عن: أنّ هذا القرآن ينفع من؟ {الٓمٓ (١) ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ}(٢) **وأوّل وصف للمتّقين**: أنّهم مؤمنون بالغيب، أتى في آخر السّورة تفصيل لهذا الغيب؛ **فأخبر سبحانه وتعالى**: أنّ الرّسول، ومن معه، كلّهم آمنوا {بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ} فهذا دليل على أنّهم آمنوا بالغيب، كأنّ هذا تفصيل الغيب.

ثمّ إنّ من آمن؛ لابدّ أن يقع منه الاستسلام، فلذلك قالوا: {سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَا} وهم مستسلمون، ما همّهم، ولا شاغل لهم إلّا رضا ربّ العالمين، ولذلك يقولون: {غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ} **يعني**: مازال هذا ركن الإيمان باليوم الآخر، وهذا الرّكن يُمَيِّزُ دائمًا؛ **أنت انظري في أوّل السّورة، اقرئي صفاتهم**:

١. {ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ}.

٢. {وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ}.

٣. {وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ}.

٤. {وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ}.

٥. {وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ}.

---

(١) سورة البقرة: ٢٨٥.

(٢) سورة البقرة: ١_٢.

فدائمًا يُمَيَّزُ الإيمان باليوم الآخر، وهنا المُمَيَّزُ ظاهر: {وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ} **معنى ذلك**: أنّ هؤلاء جمعوا بين أربعة أمور:

أوّلًا: الإيمان.

ثانيًا: الاستسلام.

ثالثًا: الصدق في طلب رضا الله مع الشعور بالتّقصير.

رابعًا: الاهتمام بلقائه.

إذًا: مؤمنون، مستسلمون، طالبون لرضا الله ربّ العالمين، صادقون في الاشتغال بلقاء الله؛ **لأنّها صفة لهم:** {وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ}.

فهذه صفتهم؛ في مقابلها: وصف الدّين. ما هو وصف الدّين؟ أنّه -سبحانه وتعالى- قد يسّره على الخلق، **بل من التّيسير:** أنّ الله لا يُؤاخذهم بنسيانهم وخطئهم، وهم ماذا يفعلون؟ يدعون الله، يسألون الله؛ **فهذه صفة مهمّة جدّا في حالهم:** أنّهم كثيرو الدّعاء، **يعني:** عندهم قوّة المناجاة، فطلبوا هذه الطّلبات **الّتي هي:** أهمّ ما على العبد وألزم ما عليه.

إلى أن تصلي: {أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ}:

- وهذا يؤيّد الّذي مضى من الكلام عن الجهاد، والإنفاق.
- ويؤيّد ما هو آتٍ في آل عمران من الكلام عن غزوة أُحد وبدر، ستأتي في آل عمران.

وفي نفس الوقت هم يقولون: {أَنتَ مَوۡلَىٰنَا} نحن نحبّك، فأحبّنا، وانصرنا على من لا يحبّك؛ الّذين هم {ٱلۡكَٰفِرِينَ}.

والحمد لله ربّ العالمين، ربّنا تمّم علينا دراسة السّورة، نسأل الله أن ييسّر لنا.

جزاكم الله خيرًا.

السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الفهرس

اللّقاء السادس عشر: الخميس 9 جمادى الآخر 1440 هـ ٣

المقدّمة: دلالة ترتيب المقصد الثّالث: _____ ٤

بيان مفهوم أنّ الشّرائع مبنيّة على العقائد ولا تصحّ الشّرائع إلاّ إذا صحَّت العقائد _____ ٤

مدخل إلى متابعة مدارسة المقصد الثّالث: بيان دلالة ابتداء الشّريعة بالقصاص وعلاقته بآية البرّ (163) _____ ٦

مدارسة الحالة الرّابعة: الصّيام رمز لعبادة الصّبر على {ٱلضَّرَّآءِ} (187_188) _____ ٧

مدارسة الحالة الخامسة: القتال رمز لعبادة الصّبر {حِينَ ٱلۡبَأۡسِ} (189_195) _____ ١٠

مدارسة الحالة السّادسة: الحجّ رمز لعبادة الصّبر {حِينَ ٱلۡبَأۡسِ} (196_١٩٩) _____ ١٣

(1) انقسام النّاس في الحجّ من جهة إراداتهم من الله (200_202) _____ ١٤

(2) انقسام النّاس في الحجّ من جهة إراداتهم من الله (203_207) _____ ١٧

الأمر بالدّخول في {ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةً} وبيان السّبب في أمراض القلوب والإفساد في الأرض (208_210) _____ ٢٤

بيان فوائد في الآية (209) تتّصل بأسماء الله عزّ وجلّ _____ ٢٦

اللّقاء السّابع عشر: الخميس 16 جمادى الآخر 1440 هـ ٢٨

المقدّمة: دلالة ترتيب الآيتين في مقدّمة المقصد الثّالث: _____ ٢٩

(1) بيان مفهوم: أنّ الشّريعة لـمّا ابتدأت بآية في العقيدة، دليل على أنّ العقائد لا يُستغنى عنها أبدًا، وأنّ العقيدة يُنْتَقَلُ بها إلى غيرها ولا يُنْتَقَلُ عنها إلى غيرها _____ ٢٩

(2) بيان مفهوم: أنّه بعد العقيدة تأتي كلُّ الشّرائع مبنيَّة على هذه الثّلاث قِيَمِ العمليّة الأساسيّة: أن تُحْسِن في عبادة الله ومع الخلق، وأن تَفِي بالعهد، وأن تصبر على أداء ذلك كلّه _____ ٣١

مراجعة أقسام الشّخصيّات الأربعة _____ ٣٢

مدارسة الآيات (208_210) _____ ٣٩

مدارسة الآية (211) _____ ٤٥

مدارسة الآية (212) _____ ٤٥

مدارسة الآيات (213_215) _____ ٤٦

مدارسة الآيات (215_218) _____ ٤٨

اللّقاء الثّامن عشر: الخميس 23 جمادى الآخر 1440 هـ ٥١

المقدّمة: مراجعة دلالة ترتيب الأحكام الدّائرة حول مسألة الصّبر بعد "آية البرّ" الآية الجامعة للقيم ٥٢
مدارسة الآية (215): بذل المال ٥٩
مدارسة الآيات (216_218): بذل النّفس ٦٠
مدارسة الآيات (219_221) ٦٢
الحياة الزّوجية رمز لقيمة الوفاء بالعهد {وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا} (222_228) ٦٤
مدارسة الآيات (٢٣٨_239) ٦٥
مدارسة الآيات (240_242) ٦٦
مدارسة الآيات (243_245): تشجيع المؤمنين وإزالة أسباب الخوف وتلقينهم أسباب النصر ٦٧
مدارسة الآيات (246_252): قصّة بني إسرائيل: ٦٩
بيان أسباب النّصر وأسباب الهزيمة ٦٩
اللّقاء التّاسع عشر: الخميس 7 رجب 1440 هـ ٧٦
المقدّمة: مراجعة مفهوم الشّجاعة الإيمانيّة (238_251) ٧٧
مدارسة الآيات (250_252) ٧٩
مدارسة الآيات (253_255) ٨٢
مدارسة الآيات (256_257) ٩٣
مدارسة القصّة الأولى (258): ٩٧
قصّة إبراهيم -عليه السّلام- مع الّذي حاجّه فأخرجه الطّاغوت {مِنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ} ٩٧
مدارسة القصّة الثّانية (259): ١٠١
قصّة الرّجل الّذي أراه الله قدرته وأخرجه {مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ} ١٠١
اللّقاء العشرون: الخميس 14 رجب 1440 هـ ١٠٥
مقدّمة ١٠٦
مدارسة مفاهيم القصّة الثّالثة (260) قصّة إبراهيم عليه السّلام: ١٠٧
الله -عزّ وجلّ- يخرج أولياءه {مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ} ويزيدهم نورًا ١٠٧
مدارسة الأمثال الثّلاثة (261- 266) ١١٥
مدارسة الآية (267) ١٢٣
مدارسة الآية (268) ١٢٤
مدارسة الآية (269) ١٢٧
مدارسة الآية (270) ١٢٩
مدارسة الآية (271) ١٣٠

اللّقاء الحادي والعشرين (الأخير): الخميس 21 رجب 1440 هـ ١٣٢

المقدّمة: مراجعة ما سبق _____ ١٣٣

مدارسة السّياق (٢٧٢- ٢٨١)_____ ١٣٦

مدارسة آيتا الدّين (٢٨٢_٢٨٣)_____ ١٤٦

مراجعة مقاصد سورة البقرة الّتي تمّت دراستها_____ ١٥١

مدارسة المقصد الرّابع (٢٨٤)_____ ١٥٢

مدارسة الخاتمة (٢٨٥_٢٨٦)_____ ١٥٦